الدراسات الأفريقية والعربية

فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن:
المركز العراقي الأفريقي للدراسات الإستراتيجية

المجلد الخامس العدد (21) ديسمبر 2022

Iraqi - African Center for Strategies Studies
Tel: 00964776837196
(NGO) 1E78478
http://ciaes.net/
http://afroar.com

مجلة الدراسات الأفريقية والعربية

African & Arab Studies

International Scientific Periodical Journal Issued
by the Iraqi - African Center for Strategies Studies
ISSN: 2709 - 2828

تصدر عن:
المركز العراقي الأفريقي
Iraqi - African Center for Strategies Studies

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد
2018/1819
بالتعاون مع

وكيل المجلة في ليبيا
دار البيان للنشر والتوزيع

مخبر الحوكمة والتنمية
المستدامة بجامعة البليدة 2

وكيل المجلة بجمهورية مصر العربية
مؤسسة النيل للدراسات الأفريقية
والإستراتيجية

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية – ليبيا
2018/155

الترقيم الدولي بالمركز الدولي

(CJEPS) – فرنسا
ISSN: 2709 – 2828

معامل التأثير العربي لعام 2022-2023
2.82 بترتيب 12 من 2157 مجلة عربية

الهيئة التحريرية للمجلة

رئيس التحرير

د. دينا العشري (مصر)

مدير التحرير:

أ. رشا العشري (مصر)

سكرتير التحرير

د. عبدالناصر محمد مأمون (مصر)

أ.عبيد إميجن (موريتانيا)

أ. مصطفى دردق (السودان)

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد (السودان)

رئيس مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

أ.د. عزيز بن طالب (المغرب)

رئيس المركز الدولي للواحات والمناطق الجبالية

د. أحمد قاسم أحمد (تشاد)

مدير مركز البحوث والدراسات الأفريقية والترجمة بجامعة الملك فيصل

د. علاء حسين فرج عبيد (العراق)

مدرس دكتور جامعة المستنصرية

د. خالد خميس السحاتي (ليبيا)

محاضر بقسم العلوم السياسية – كلية الاقتصاد والعلو مالسياسية – جامعة بنغازي

د. خالدة سالم بابكر(السودان)

باحثة متخصصة في الشأن الأفريقي

أ.محمد عز الدين (مصر)

رئيس مؤسسة النيل للدراسات الأفريقية

المستشار الإعلامي للمجلة

د. روبي عبد العال

أ. رؤوف رضوان

التنسيق والمراجعة والإخراج :

أ. أيمن خليفة

تصميم الغلاف:

م. كمال سند

الهيئة العلمية الإستشارية للمجلة

رئيس الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. علاء التميمي

أ.د. عطية محمود الطنطاوي

أستاذ الجغرافيا الطبيعية بقسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية. وقائم بأعمال عميد كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر)

أ.د. محمود أبو العينين

أستاذ العلاقات الدولية ورئيس قسم السياسة والاقتصاد – كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر)

أ.د. مولاي إبراهيم سدرة

أستاذ التعليم العالي بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس (عميد كلية العلوم والتقنيات بالرشيدية) (المغرب)

أ.د. ناصر النائي آدم

عميد كلية الدراسات العليا – جامعة الملك فيصل (تشاد)

أ.د. ريم موسى

أستاذ العلوم السياسية وعميد كلية الدراسات العليا جامعة بحري (السودان).

أ.د. محمد المختار جي

استاذ وباحث أكاديمي رئيس مركز البحوث والدراسات الإفريقية بالسنغال وأمين عام للاتحاد العربي الإفريقي للتنمية المستدامة المتكاملة التابع لجامعة الدول العربية بالسنغال (السنغال)

أ. د. بلهول نسيم

- **أستاذ محاضر بقسم العلوم السياسية– جامعة البليدة 2 (الجزائر).**

أ.د. صالح زياني

أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة باتنة 1 (الجزائر).

أ. د. بن يزة يوسف

أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة جامعة باتنة 1 (الجزائر).

أ.د مصعب الجمل

رئيس جامعة سليمان الدولية – بريطانيا (سوريا)

الهيئة العلمية الإستشارية للمجلة

أ.د. عبد الكريم الوزان

عميد كلية الإعلام بالجامعة الإسلامية بمينيسوتا الولايات المتحدة الأمريكية، وعميد كلية الإعلام والاتصال بجامعة سليمان الدولية بريطانيا (العراق)

أ.د. حنان صبحي عبد الله عبيد

مدير العلاقات الدولية الخارجية لندن للبحوث – لندن بريطانيا ورئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الأمريكية مينيسوتا الولايات المتحدة الأمريكية (بريطانيا)

أ.د ناصر الفضلي

رئيس مركز لندن للبحوث (بريطانيا)

د. محمد علي عبد العزيز

مدير عام مركز لندن للبحوث (مصر)

د. زينب محمد حامد محمد أحمد

أستاذ التاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط – جامعة نواكشوط العصرية (موريتانيا)

د. مهدي دهب حسن دهب

استاذ العلوم السياسية . رئيس قسم العلوم السياسية المشارك بجامعة افريقيا العالمية (السودان).

د. تامر محمود عبدالوهاب

مستشار العميد ومدرس الأنثروبولوجيا الطبيعية بقسم الأنثروبولوجيا كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر).

د. محمد أدريس عبد العزيز

رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة طبرق (ليبيا).

د. سيد رشاد قرني

استاذ الدراسات اللغوية واللغة السواحيلية بقسم اللغات الافريقية كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر).

د. أوان عبد الله الفيضي

الأستاذ المساعد في كلية الحقوق– جامعة الموصل(العراق)

الهيئة العلمية الإستشارية للمجلة

- **د. رامي عاشور**

  دكتور العلوم السياسية والأمن القومي وزميل أكاديمية ناصر العسكرية العليا (مصر).

- **د. محسن الندوي**

  علوم سياسية وعلاقات دولية – رئيس المركز المغربي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية (المغرب).

- **د. عبد السلام بشير خليفة**

  دكتوراه في العلاقات الدولية ـ جامعة الزاوية (ليبيا).

- **د. عوض أحمد حسين شبا**

  نائب مدير مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر(السودان).

- **د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي**

  أستاذ مشارك – جامعة كسلا – كلية التربية – قسم الجغرافيا (السودان).

- **د. حسين محمد أحمد الربابعة**

  أستاذ مشارك جامعة البلقاء التطبيقية (الأردن).

- **د. منذر احمد صبحي شعشاعة**

  رئيس الاتحاد العربي الأفريقي الأوروبي للشباب (فلسطين)

- **د. محمد زيدان**

  استاذ بقسم الذكاء الاصطناعي بكلية الحاسبات والذكاء الاصطناعي بالغردقة ـ جامعة جنوب الوادي(مصر)

رؤية المجلة وشروط النشر بالمجلة:

"مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" فصلية دولية محكّمة تصدر عن "المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية" العراق – بغداد، بالتعاون مع مخبر الحوكمة والتنمية المستدامة بجامعة البليدة 2 الجزائر.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل والدول العربية، كما تسعى المجلة لتحقيق هدف المركز في التقارب العربي الأفريقي، والاهتمام بالقضايا التي تهم الطرفين اقتصاديًا وسياسيًا، وثقافيا واجتماعيًا، أملا في وجود دراسات وأبحاث تطرح رؤى وأفكار تسهم في تشكيل كيان أفريقي عربي يقف في وجه التحديات والأيدولوجيات الخاطئة التي تفرض على الساحة الدولية، لتكون أفكارنا نحن الأفارقة والعرب معًا يدًا وصوتًا واحدًا يسمع له العالم باهتمام ويسير خلفه وليس العكس.

➢ <u>شروط النشر</u>

- **أن يكون البحث أصيلا معدا خصيصا للمجلة، وألا يكون قد نشر جزئيا أو كليا أو نشر ما يشبهه في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.**
- **أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.**
- **أن يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسفت وورد، إلى البريد الإلكتروني: african.arabia@gmail.com**
- **يجب أن يكون البحث مكتوبا بلغة سليمة، مع العناية بما يلحق به من خصوصيات الضبط والرسم والأشكال.**
- **لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.**
- **يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة الى اللغات الأخرى، من غير الرجوع الى الباحث.**
- **تخضع الابحاث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتّها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:**

أ- يبلّغ الباحث بتسلّم المادة المرسَلة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.
ب- يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر موافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.
ت- الأبحاث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائيا للنشر.
ث- الأبحاث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

- **يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.**
- **يراعى في أسبقية النشر:**

أ- الأبحاث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.
ب- تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.
ج- تاريخ تقديم الأبحاث التي يتم تعديلها.
د- تنويع مجالات الأبحاث كلما أمكن ذلك.

- **تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.**

➢ كيفية اعداد البحث للنشر:

- **يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي اليها.**

➢ عنوان جهة الباحث

- **الملخص التنفيذي باللغة العربية- الإنجليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة ، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل اليها البحث**
- **تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.**

كما بجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة بيبليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش،

وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الاصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

- **تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.**
- **ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:**

أ- إذا ا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث وإسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب- إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن نتشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس(A4) ، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

- **نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو Simplified Arabic**
- **حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس ، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.**
- **حجم 11 عادي للجداول والأشكال ، وحجم 10 عادي بالنسبة للملخص والهوامش.**
- **نوع الخط في الأبحاث باللغة الانجليزية Times New Roman ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 14 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال ، 12 عادي للملخص والهوامش.**
- **يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسبة (2.5) من جميع الجهات.**

وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة.

والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الاكاديميين من الدول العربية، والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة.

حيث أن "المركز العراقي الافريقي للدراسات الاستراتيجية" جهة اصدار "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" كما تتولى دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية التوكيل الرسمي لإصدار المجلة في ليبيا ونشرها في كافة الدول العربية والافريقية، كما يتولى مؤسسة النيل للدراسات الأفريقية والاستراتيجية الوكيل الخاص المجلة بجمهورية مصر العربية..

Iraqi-African Center For Strategic Studies

Tel: 00964776837196/01220801268
(NGO)1E78478
http://ciaes.net/
http://afroar.com

تقرأ في هذا العدد

➢ الافتتاحية ..... بقلم: رئيس التحرير	12
➢ الفساد السياسي في ليبيا (الأسباب– الآثار–آليات المكافحة) إعداد/ د. محمد إدريس عبد العزيز(ليبيا).....	13
➢ دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد السياسي في تونس إعداد/ إبراهيم حسيني السيد محمد(مصر).....	40
➢ ملامح الحياة السياسية في إقليم برقة أبان حكم الأسرة القرمانلية 1711م–1835م إعداد / د. على رمضان أبوبكر(ليبيا).....	76
➢ أحكام تنظيم الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في القانون السوداني. إعداد / د. سيف الدين أحمد أحمد البدوي & د. يونس أحمد آدم القدال(السودان).....	103
➢ نظرية الحقول الدلالية في التأليف المعجمي العربي : كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري نموذجًا إعداد/ د.خالد بريمة يوسف مرجب(السودان).....	152
➢ واقع تطبيق ادارة الجودة الشاملة في الفنادق بمدينة بنغازي دراسة ميدانية علي الفنادق بمدينة بنغازي اعداد / د. خالد عطية الصغير(ليبيا).....	173
➢ الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر ودوره في المجتمع التشادي من 1942 – 2018م اعداد الباحث/ فيصل حسن محمد(تشاد).....	208
➢ تجليات فن السيرة في كتاب:" رجل شريف ماجد، سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا" إعداد/ د.شوقي صلاح نوح الفرماوي(مصر).....	231
➢ عبد الله الأمين، محمد سعيد العباسي، عمر البنّا ما بين الاصالة والمعاصرة إعداد: د.إيمان الطريفي & د.سامية حسين سعيد...	265

افتتاحية العدد

ينتهي العام 2022م، ولا يزال العديد من الأحداث مستمرة وفي مقدمتها الحرب الروسية الأوكرانية، والتي أثرت بشكل كبير على العالم وخاصة القارة الأفريقية، حيث نتجت عن هذه الحرب العديد من الأزمات وخاصة أزمة الغذاء، وقد تم مناقشة هذه الأزمة خلال قمة واشنطن، التي عقدت في الفترة من 13 إلى 15 ديسمبر 2022، وقد تم تسليط الضوء على القارة الإفريقية وما تعانيه من نقص في الغذاء، وكانت لمصر وخاصة الرئيس السيسي رؤية لتعزيز الأمن الغذائي في القارة من خلال خمسة محاور تتضمن الحاجة لمراعاة تأثير الأزمات الدولية على اقتصاديات أفريقيا، خاصة الدين الخارجي، مما يفرض وضع آليات لتخفيف عبء الديون عبر الإعفاء أو المُبادلة أو السداد المُيسر، فضلا عن تكثيف الاستثمارات الزراعية الموجّهة إلى إفريقيا لتطوير القدرات الإنتاجية والتخزينية عبر توطين التكنولوجيا الحديثة بشروط مُيسرة، بالإضافة إلى ضرورة الحفاظ على انفتاح حركة التجارة العالمية.. والتأكيد على أن اتفاقية التجارة الحرة الأفريقية توفر إطاراً لتعزيز التكامل بين دول القارة، وأكد الرئيس السيسي في ضرورة دعم الدول الكبرى للقارة الأفريقية لتعظيم الاستفادة منها بالاستثمار في البنية التحتية والمشروعات الزراعية.

وفي خضم الأحداث الجارية تحاول مجلة الدراسات الأفريقية والعربية تناول مجموعة من البحوث والدراسات المتميزة ، حيث أهتمت المجلة بعرض دراسة الفساد السياسي في ليبيا (الأسباب– الآثار–آليات المكافحة)، وكذلك دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد السياسي في تونس، بالإضافة لعرض دراسة ملامح الحياة السياسية في إقليم برقة أبان حكم الأسرة القرمانلية 1711م–1835م ، كما تناولت الشأن السوداني من خلا دراسة أحكام تنظيم الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في القانون السوداني،كما تناولت دراسة نظرية الحقول الدلالية في التأليف المعجمي العربي : كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري نموذجًا، ناهيك عن عرض دراسة واقع تطبيق ادارة الجودة الشاملة في الفنادق بمدينة بنغازي دراسة ميدانية علي الفنادق بمدينة بنغازي، بالإضافة لعرض دراسة الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر ودوره في المجتمع التشادي من 1942 – 2018م، وكذلك دراسة تجليات فن السيرة في كتاب:" رجل شريف ماجد، سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا"، وكذلك دراسة عبد الله الأمين، محمد سعيد العباسي، عمر البنّا ما بين الاصالة والمعاصرة.

ونأمل دائما أن تقدم مجلة الدراسات الأفريقية والعربية كل ما هو جدد وما يفيد الباحثين والدارسين في المجالات المختلفة وما يهم الشأن الأفريقي والعربي.

بقلم:
د. دينا العشري
رئيسة التحرير

الفساد السياسي في ليبيا

(الأسباب – الآثار - آليات المكافحة)

إعداد/ د. محمد إدريس عبد العزيز

أستاذ مساعد بقسم العلوم السياسية، جامعة طبرق، ليبيا.

ملخص:

كان الفساد ومازال مصدر قلق متزايد في ليبيا، فدائماً ما ينشر الإعلام وديوان المحاسبة الليبي، والتقارير الدولية قضايا فساد تتعلق بمسؤولين حكوميين كبار في الدولة بتهم تورطهم في صفقات فساد كبيرة تتعلق بالقطاعات المختلفة الذين يعملون بها، الأمر الذي يؤثر تأثيراً خطيراً ومباشراً، سواء على الديمقراطية أو التنمية الاقتصادية في ليبيا.

وعليه تناقش هذه الورقة الأسباب التي من شأنها زيادة مستويات الفساد، وآثار ممارسة الفساد السياسي على الديمقراطية والتنمية الاقتصادية، كما يتم من خلالها عرض أسباب ضعف مكافحة الفساد في ليبيا، وحاولت هذه الورقة وضع مجموعة من الآليات والتي من شأنها تعزيز مكافحة الفساد في ليبيا.

Abstract

Corruption was and still is a growing source of concern in Libya. The media, the Libyan Court of Accounts, and international reports always publish corruption cases related to senior government officials in the country, accusing them of being involved in major corruption deals related to the various sectors in which they work. This has a serious and direct impact on Democracy. Or Economic development in Libya.

Accordingly, this paper discusses the reasons that increase the levels of corruption, and the effects of the practice of political corruption on Democracy and Economic development.

It also presents the reasons for the weakness of combating corruption in Libya.

This paper attempts to develop a set of mechanisms that will enhance the fight against corruption in Libya.

مقدمة

إن الحديث حول الفساد السياسي في ليبيا يعتبر مسألة هامة باعتبار أن ليبيا تعيش الآن في مرحلة التحول الديمقراطي، فبقدر ما تمثل المرحلة الانتقالية الآن في ليبيا بلورة لنظام جديد أساسه الديمقراطية، بقدر مساهمتها في تهديد الوضع الأمني والاقتصادي وزيادة مستويات الفساد.

عندما تنهار الدولة القوية المتسلطة، عادة ما نلاحظ بأن مؤسساتها ومنظماتها لا تكتسب الشرعية السياسية الكاملة، مما يجعلها عاجزة عن القيام بوظائفها المختلفة تجاه مواطنيها، كما توفر هذه المرحلة الانتقالية– ما بعد انهيار نظام الحكم الفردي– بيئة مواتية وفرصة حقيقية لظهور القوى السياسية المحلية ورجال الأعمال الذين يعملون في السياسة والذين يستخدمون ثرواتهم الطائلة في الحصول على مناصب أو مكاسب سياسية بغرض حماية مصالحهم الاقتصادية الخاصة، وهذا ما تمر به الدولة الليبية الآن.

ويلاحظ أن مكافحة الفساد في ليبيا عادة ما تنقصها الجدية، بل وفي كثير من الأحيان ما يتم تعطيل عمل اللجان المتخصصة في مكافحة الفساد، والخطير في الأمر أن تعطيل عمل لجان مكافحة الفساد يتم عادة من قبل النخبة الحاكمة والقيادات السياسية التي تعتمد في وجودها واستمرارها في الحكم على ممارسة أعمال الفساد كأداة لاستخراج الموارد الأساسية في الدولة والسيطرة عليها، ومن ثم الثراء الفاحش والذي يُستخدم في الوصول إلى السلطة عن طريق تمويل النخبة الحاكمة أو تزوير الانتخابات أو الدفع للناخبين بغرض التصويت لصالح مرشح أو الامتناع عن التصويت لمرشح آخر... إلخ.

وتسعى هذه الدراسة إلى تقديم رؤية نظرية وتحليلية لظاهرة الفساد السياسي في ليبيا من خلال محاولة تفسير أسباب الفساد السياسي ومعرفة ما هي آثار الفساد السياسي على الديمقراطية والتنمية الاقتصادية في ليبيا.

وأخيراً معرفة الأسباب التي أدت إلى ضعف مكافحة الفساد في ليبيا، ومحاولة تقديم بعض الآليات التي من شأنها تعزيز مكافحة الفساد في ليبيا.

مشكلة الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة عن تساؤل رئيسي مفاده:

- ما هي العلاقة بين التحول الديمقراطي والفساد السياسي في ليبيا ؟

تساؤلات الدراسة:

1. ما هي أهم مُسببات الفساد السياسي في ليبيا؟
2. ما هي السمات السياسية للنظام السياسي بعد التحول الديمقراطي في ليبيا؟
3. ما هي آثار الفساد السياسي على الديمقراطية والتنمية الاقتصادية في ليبيا ؟.
4. ما هي العوامل والمحددات التي تعوق عمل آليات مكافحة الفساد في ليبيا؟.

أهمية الدراسة:

1. الحاجة إلى تتبع موضوع مكافحة الفساد السياسي بالبحث والتحليل.
2. ندرة الدراسات الأكاديمية التي تناولت موضوع مكافحة الفساد السياسي في ليبيا.

فرضية الدراسة:

هناك علاقة طردية بين الفساد السياسي والتحول الديمقراطي في ليبيا.

منهج الدراسة:

تستخدم الدراسة منهج (تحليل النظم).

تقسيم الدراسة:

تتكون هذه الدراسة من ثلاث مطالب أساسية، حاولت الدراسة في المطلب الأول معرفة الأسباب الحقيقية المُسببة للفساد السياسي في ليبيا، وتناولت في المطلب الثاني آثار الفساد على الديمقراطية والتنمية الاقتصادية في ليبيا، والمطلب الثالث تناول أسباب ضعف مكافحة الفساد..

المطلب الأول

أسباب ارتفاع مستويات الفساد في ليبيا

هناك العديد من العوامل التي أدت إلى ارتفاع مستويات الفساد في ليبيا، وهذه العوامل سيتم مناقشتها فيما يلي، من حيث دورها في تفسير أسباب ارتفاع مستويات الفساد في ليبيا.

أولاً: الانقسام المؤسسي:

لقد كانت البداية الحقيقية لحالة الانقسام المؤسسي وتعقد الأزمة الليبية في شهر نوفمبر 2014م، وهو تاريخ قرار الدائرة الدستورية في المحكمة العليا ببطلان انتخابات مجلس النواب الليبي، ومن ثم عودة المؤتمر الوطني العام السابق إلى المشهد كجهة تشريعية، ومنذ هذا اليوم والصراع محتدم وعلى أشده، ولازال النزاع حول الشرعية حديث الساعة[1].

ويؤدي الانقسام المؤسسي إلى ظهور الفساد السياسي المُبرهن عليه بفشل المؤسسات وعدم القدرة على إدارة المجتمع بإطار عمل يتضمن الضوابط والموازين

[1] علاء فاروق، ليبيا ... نحو الانقسام أم الاستقرار، ليبيا المستقبل، 2016/10/18 .
https://www.libya-al-mostakbal.org

الاجتماعية والقضائية والسياسية والاقتصادية، وقد ينتج عن الضعف في الهياكل المؤسسية عدم تنفيذ وتطبيق القوانين والسياسات التي يمكن أن تضمن المساءلة والشفافية بطريقة أخرى[1].

لقد ساهم الانقسام المؤسسي ووجود الحصانة أمام سيادة القانون، وتخفيض المعنويات، وعدم الكفاءة، إسهاماً كبيراً في بيئة دعمت انتشار الفساد ووصوله إلى نسب كبيرة للغاية[2].

إن مشكلة ليبيا الوطنية الحقيقية في الفساد المؤسسي الذي يشمل سياسيين من جميع الأطياف، فضلاً عن (الميليشيات) و (الأثرياء الجدد)، الذين استشروا بطريقة غير قانونية، في إطار حالة من الانقسام المؤسسي، ما يفسح المجال أمام سرقة الأموال العامة والأعمال الغير قانونية من كل نوع[3].

يستشري الفساد في ليبيا على نطاق واسع، خصوصاً في المؤسسات الليبية، حيث يتورط العديد من المسؤولين السياسيين في عمليات فساد، من خلال استغلال مناصبهم في المؤسسات الحكومية والقيام بتعيينات عشوائية لموظفين، ليست لهم أي خبرة أو مستوى تعليمي، فضلاً عن إهدار أموال الدولة على (الميليشيات) من أجل كسب ولاءاتهم، وغيرها من الممارسات التي تساهم في مزيد من تدهور الوضع سياسياً واجتماعياً واقتصادياً[4].

---

1) Mongoljingoo Damdinjav et. Al., " Institutional Failure in Kenya and A Way for Word" in Journal of Political Inquiry, (New York: New York University, Spring Issue, 2013), P. 7.

2) Aron G. Ringera, " Kenyans Arise! Fight Corruption Now), National Anticorruption plan (Kenya)", (Nairobi: NACP Secrtariat, 5th July- 14th September), 2005, P. 3.

3) ليبيا وتفشي ظاهرة الفساد المؤسسي، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات.
https://100psresearch.org/articles/view/182/?lang=ara.

4) المرجع السابق.

لقد أدى الانقسام المؤسسي عام 2014 إلى ارتفاع مستويات الفساد وذلك على النحو التالي[1]:

- لقد أدى الانقسام المؤسسي إلى قيام الحكومات بالإنفاق، أو الإعلان عن مشاريع وبرامج غير ذات جدوى، من أجل الحصول على ولاءات، أو لإثبات الشرعية، فكل طرف يحاول أن يجمع من حوله أطرافاً أخرى لإثبات وجوده وشرعيته.
- عدم وجود استراتيجية واضحة بشأن مكافحة الفساد.
- تسابق الحكومات المزدوجة في إبرام التعاقدات وإنفاق المال العام، دون أي نتائج تذكر في كافة القطاعات.
- تنامي ظاهرة غسيل الأموال بتهريبها إلى الخارج من خلال التوريدات الوهمية.
- استغلال الانقسام المؤسسي في التلاعب بقضايا التعويضات، والحسابات المصرفية، والتهرب من الضرائب، والتوسع في التعيينات، وازدواجية المرتبات ... إلخ.

ثانياً: التحول الديمقراطي:

في البلدان التي تمر بمرحلة انتقالية ينهار النظام الاستبدادي، ويوفر التحول إلى النظام الديمقراطي محفزات جديدة للفساد، خاصة مع تصاعد الحملات الانتخابية، وفي الصراع الجديد من أجل المناصب السياسية والخدمة المدنية، وذلك فإن التحول للنظام الديمقراطي جعل الأشياء أسوأ في عدد من البلدان، فعند الإطاحة بالنظام السلطوي القائم، وتصاعد رغبة شعبه في التمتع بحريتهم، يتضمن عادة هذا التحول بعض عمليات النهب واللصوصية، وعدم دفع الضرائب والجمارك ضمن حريتهم الجديدة، فبعد سقوط النظام الاستبدادي يتوسع الفساد بطريقة غير منضبطة ولا مركزية[2].

---

[1] حسين سالم مرجين، ظاهرة الفساد في ليبيا – الواقع وآليات المنع والمكافحة 2011-2018، 2019/3/13، الحوار المتمدن https://m: ahewar.org/s.asp?aid=6319878r=0.

[2] Inge Amundsenc" political corruption: an introduction to the issues", (Bergen: Chr Michelsen Institute Development Studies and Human Rights, Working Paper No. 7, 1999), P. 18.

وفيما يتعلق بليبيا، وبعد مرور عدة سنوات على الانتفاضة في فبراير 2011 التي كانت إحدى أسبابها محاربة الفساد في النظام السابق، ووفق تقارير محلية ودولية يتضح التنامي المرعب للفساد والعبث بمقدرات الدولة من حيث الحدية والانتشار إلى درجة أدت بليبيا إلى مشارف الانهيار الاقتصادي والإفلاس، لقد استفحل الفساد وهدر الثروات بعد 2011م، إما بسبب قوة الإكراه والتهديد أو المحاباة والمحسوبية لتكميم الأفواه وشراء الذمم وزرع الولاءات، أو لسلوكيات مرضية انتهازية، أو لقناعات ذاتية مبنية على وهم الادعاء بأحقية (المنتصر/ المحرر) في الاستيلاء على ممتلكات الدولة لتحقيق مصالح ذاتية، هذه السلوكيات الهدامة والمُعيقة للتنمية الاقتصادية، استشرت في مؤسسات الدولة إلى درجة تحولت من (ثقافة الفساد) إلى (فساد الثقافة) [1].

لقد أدى التحول في ليبيا إلى الأخذ بنظام التعددية الحزبية، وفي هذا التحول يتم السيطرة على موارد الدولة بطرق مشروعة وغير مشروعة للحصول على الأموال اللازمة للوصول إلى السلطة.

ثالثاً: انتشار الميليشيات بالقرب من مركز إصدار القرار:

لقد أدى الإخفاق السياسي ومناخ عدم الثقة في أجهزة الدولة خاصة الأجهزة الأمنية والتي كانت في نظر الثوار أداة القمع في ظل النظام السابق، أدى إلى تجذر ثقافة الميليشيات والاحتكام للسلاح، ومع المزايا المادية الكبيرة التي يتحصل عليها المنتسبون لهذه الجماعات المسلحة من الدولة أصبح من الصعب التخلي عن السلاح في ظل غياب بدائل مقنعة[2].

[1] أحمد علي الأطروش، المشهد السياسي والأمني في ليبيا- رؤية تحليلية استشرافية،(ندوة عقدت في طرابلس بتاريخ 2015/6/13 عن الانقسام السياسي في ليبيا)، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات.
https://100psresearch.org/projects/view/1/?/arg=ard

[2] أحمد سليمان، لماذا تزدهر الميليشيات في ليبيا؟، BBC عربي لندن، 11 أغسطس 2014.

طيلة الفترة التي أعقبت 17 فبراير بعد اندلاع الأزمة في البلاد، أصرت الميليشيات المختلفة على التمترس في العاصمة الليبية طرابلس، حيث دخلت في صراعات متواصلة على النفوذ والسيطرة في غياب جيش أو شرطة نظاميين، وفي ظل عجز حكومي متواصل عن وضع حد لسيطرة المسلحين وفرض سلطة القانون، وكان السبب الرئيسي لتمترس الميليشيات في العاصمة طرابلس، كونها مركز القرار، لا السياسي والدبلوماسي فحسب، وإنما المالي والاقتصادي بالأساس[1].

المشكلة في ليبيا أن الفساد ليس فساد تكنوقراط أو موظفين أو أصحاب نفوذ سياسي أو عشائر فقط، لكنه فساد مدجج بكل أنواع السلاح، وقادر على الدفاع عن نفسه ليس بالنفوذ أو شراء الذمم أو دفع الرشى أو غيرها من الطرق السلمية، لكنه قادر على الدفاع عن نفسه باستخدام الأسلحة الثقيلة في وجه كل حراك ضد هذا الفساد، وهذا ما حدث مع هذا الحراك حين أصبحت التقارير أو البيانات تتحدث منذ البداية عن مجموعات مجهولة تطلق الرصاص الحي على المتظاهرين، أو الحديث عن اختطاف بعض قيادات الحراك، اختطاف وليس قبضاً أو اعتقال كما يحدث في الدول التي مازالت تحتفظ ببعض الاحترام لنفسها، وهذه مصطلحات لا يمكن أن تسود إلا في دولة تحكمها المليشيات[2].

ويجب أن ندرك، أننا في ليبيا نحوم في فراغ مطلق بسبب غياب الدولة بمعناها العميق، بما في ذلك الكيانات التي تعتبر نفسها مؤسسات أمنية، فالصراع القائم بالبلاد حالة من العدم المؤسساتي، تجعل ممن يملك القوة صاحب الأمر المفروض خارج شرعية الدولة[3].

---

https://WWW.bbc.com/arabic/middleeast*2014/08/140809libya-militia.reasons.

[1] عبد الباسط غبارة، المليشيات في ليبيا.. سنوات النهب والاستثمار في الفوضى، بوابة أفريقيا الإخبارية، 30 June , 2019 .

https://www.afrigatenews.net

[2] سالم العوكلي، الفساد المسلح، بوابة الوسط، الثلاثاء 01 سبتمبر 2020.

https://alwasat.ly/news/opinions/294073?author=1.

[3] رافد علي، ليبيا ونظرية الألعاب، بوابة الوسط، الخميس 5 مايو 2022 .

لقد تغذت المليشيات على ضعف الدولة الليبية وضعف المؤسسات التي تشكلت عقب الثورة، وهي المجلس الانتقالي ومن بعده المؤتمر الوطني العام اللذين شهدا انقسامات سياسية حادة ألقت بظلالها على استقرار الأوضاع[1].

لقد أدى ضعف مؤسسات الدولة إلى بروز المليشيات كقوة حاكمة في البلاد تسعى إلى تحقيق مصالح خاصة وذاتية، وذلك باستخدام القوة والاقتحامات المسلحة للمؤسسات والأجهزة الحكومية، والوزارات السيادية بغرض الحصول على الأموال، أو فرض قانون، أو قرار معين لصالحها، أو لغرض التوظيف...إلخ.

وتمثل المليشيات المسلحة، أهم تحد للحكومات المتعاقبة في ليبيا منذ عام 2011، فبقدر استطاعة أي حكومة في ليبيا بتفكيك هذه المليشيات سيكون نجاحها في فرض الأمن والاستقرار ومكافحة الفساد.

رابعاً: تضخم المنتفعين من الفساد

لقد أدى تضخم المنتفعين من الفساد (نخبة حاكمة، رجال أعمال، كبار التجار، المليشيات المسلحة... إلخ)، إلى زيادة مستويات الفساد في ليبيا، حيث إن هؤلاء المنتفعين يريدون الحفاظ على الوضع القائم بغرض الاستمرار في تحقيق مصالحهم الخاصة عن طريق ممارسة الفساد في كافة مؤسسات الدولة.

وفي سياق ما يسمى بـ (نظرية إعادة توزيع الفساد)، نجد أن الدولة هي الجزء الأضعف في العلاقة بين الدولة والمجتمع، وهنا؛ يتم تنظيم العديد من المجموعات الاجتماعية والاقتصادية، أو المصالح والأفراد، لتكون ذات سلطة نفوذ أكبر لاستخلاص المزيد من النفع من الممارسات السياسية المتورطين فيها مع الدولة، كشريك منتفع أكثر

---

https:// alwasat.ly/news/opinions/357936?author=1.

[1] أحمد سليمان، لماذا تزدهر المليشيات في ليبيا، مرجع سبق ذكره.

من الدولة والنخبة الحاكمة، كما نجد أن المنتفعين الرئيسيين من الموارد المستخلصة والمستهلكة والمخصصة ليسوا النخبة السياسية، ولا النخبة المتأسسة على الدولة، وإنما يتم استهلاكها وتوزيعها على العديد من المجموعات والمصالح وفقاً لتشكيلات السلطة في كل دولة، وتعتمد نوعية الأشخاص في المجتمع الذين يستفيدون أكبر استفادة من هذا النوع من الفساد على التوزيع المحلي للقوى، فقد يكونون جماعات اثنية، أو إقليمية قوية، أو عشائر قوية بما يكفي أو مليشيات مسلحة، لاستخراج جزء أكبر من نصيبهم بكثير، من الدولة في الاستثمارات العامة ومشروعات التنمية، والحكم الذاتي الإقليمي والتمثيل في المؤسسات والهيئات الوطنية، ويكون الخاسر في هذه اللعبة هي الدولة[1].

خامساً: ضعف مؤسسات الدولة

تملك ليبيا العديد من قوانين مكافحة الفساد، ومع ذلك فإن التراخي في الإنفاذ يسمح بممارسات الفساد المنتشرة مثل الاختلاس والرشوة بين قطاع المشتريات العامة، وبالرغم من أن كل القوانين (القانون الجنائي الليبي، قانون الجرائم الاقتصادية، قانون إساءة استغلال الوظيفة العامة) قد ورد فيها إن "إساءة استخدام الموظف العمومي لمنصبه أو وظيفته للحصول على منفعة له أو لغيره" تعتبر جريمة، إلا أن ضعف الإطار المؤسسي الليبي المسؤول عن تنفيذ مكافحة الفساد، قد أعطى المجال للمسؤولين الليبيين لاختلاس الأموال[2].

كما ينظر إلى المؤسسة القضائية على أنها ضعيفة وتعاني من التدخل السياسي، لقد كان دور المؤسسة غامضاً أيضاً بسبب عدم وجود دستور دائم، حيث يلاحظ أن تنفيذ الأحكام القضائية ليس دائماً فعالاً.

---

1) Inge Amundsenc, op. cit, p.6
2) 10 Facts About Corruption in Libya- the Brogen Project .
https://brogenproject.org/10-facts-about-corruption-in-libya/

كما شهدت ليبيا حالة من الفوضى في فترة ما بعد الثورة، كثيراً ما حدت فيها قوة المليشيات من جهود السلطات لفرض القانون، وقد أدى وضع القضاء بعد ثورة 2012 إلى تفاقم الفساد وارتفاع مستوياته لدرجة لا يمكن التحكم فيه[1].

المطلب الثاني

آثار الفساد السياسي على

(التنمية الاقتصادية – والديمقراطية)

يمثل الفساد عائقاً خطيراً أمام تطور المجتمعات، لما له من تأثيرات سلبية على العملية الديمقراطية، كما أنه يؤثر سلباً على التنمية الاقتصادية، فمن الناحية السياسية، يُضعف الفساد الهيئات السياسية بإضعاف شرعية المسؤولين، حيث يؤدي الفساد إلى عدم دفع الضرائب والهروب من الجمارك، الأمر الذي يؤدي إلى تقلص إيرادات الدولة، ومن ثم عجز النظام السياسي عن القيام بوظيفته التوزيعية والأمنية، كما يؤدي الفساد إلى إفساد العملية الانتخابية عن طريق تزوير الانتخابات، وبالتالي يخلق ذلك عنفاً من قبل الجماهير الرافضة لنتائج الانتخابات، لأنها ضد إرادتها، ومن الناحية الاقتصادية يؤدي الفساد إلى البطالة والفقر وتفاقم عجز الميزانية وتراكم الديون الخارجية على الدول.

أولاً: آثار الفساد على التنمية الاقتصادية

يُضعف الفساد النمو الاقتصادي، ويضر بالكفاءة الاقتصادية ويضعف تشجيع الاستثمار الأجنبي، كما يؤدي الفساد إلى العجز في الميزانية وتقليل الموارد المتاحة

[1] Libya Corruption Report, " LAST UPDATED: May2020.
http://www.ganintegrity.com/protal/country-profiles/libya/

اللازمة لمشروعات البنية الأساسية والخدمات، وكذلك هجرة العقول من الدول النامية. وهنا نشير إلى إن المحسوبية تجعل من المستحيل أن تحقق الدول التي تعاني من تلك الكارثة أي استفادة ممكنة من المصادر البشرية .

كما يؤدي الفساد إلى خسارة الكثير من الإيرادات والمواهب البشرية المطلوبة للتنمية، وكذلك تشويه أولويات السياسة العامة، وإبعاد الموارد الشحيحة عما فيه مصلحة العامة[1].

وتشمل الآثار المدمرة للفساد هروب رؤوس الأموال، وإساءة استخدام الموارد المخصصة لأغراض التنمية، وعدم تقديم الخدمات وغيرها، الأمر الذي أسهم بشكل كبير في أزمة التنمية التي تواجه دول العالم الثالث اليوم[2].

وأخيراً وليس آخراً، فإن الفساد يقلل من فعالية استغلال الموارد الطبيعية، مما يؤدي إلى تعرض الدول لخطر الاعتماد على المصالح والأسواق الخارجية[3].

كما أن الفساد معوق للتنمية والاستثمار الأجنبي، الأمر الذي يجعل البلدان التي يكون فيها الفساد مُتوطناً والمؤسسات غير مؤثرة، تجتذب المغامرين أو المنبوذين أو الفاشلين في مجتمعاتهم فحسب، وليس المستثمرين الأكثر احتراماً، كما أن الفساد يشوه القرارات الرسمية، وهكذا يمكن إهمال الأولويات الإنمائية لبلد ما تفضيلاً لمشاريع يجدها المسؤولون والراشون أجزى من الناحية الشخصية، وهذا هو السبب وراء وجود الكثير من المشاريع في بلدان العالم الثالث ومنها (ليبيا) التي لم تستكمل بتاتاً أو التي كان ينبغي ألا تقام في المقام الأول، وعلى سبيل المثال؛ ثمة طرق ومصانع ومدارس ومستشفيات مهجورة، وهناك معدات وآلات لم تركب أبداً أو لا تعمل عندما تُركب، وهناك مصانع

---

[1] المرجع السابق.

[2] Business action Against Corruption (BAAC), Report on Benchmarking Anti-Corruption Initiatives in Africa, (African institute of Corporate Citizenship (AICC), 2007, p.6

[3] سوزان روز- أكرمان، الاقتصاد السياسي للفساد، في كيمبرلي آن آليوت (محرر)، محمد جمال (مترجم)، الفساد والاقتصاد العالمي، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 8000)، ص 238.

وأنشطة أعمال أخرى لم تستخدم البتة بطاقتها المثُلى؛ لأنها إما تكون غير مناسبة أو تفوق الطلب على منتجاتها أو خدماتها بكثير[1].

وفيما يتعلق بآثار الفساد السياسي في ليبيا، ووفقاً لتقرير الخبراء التابع للأمم المتحدة المنشئ بقرار 1973 لعام 2011م والموجهة إلى رئيسة مجلس الأمن في سبتمبر 2018، فإن الجماعات المسلحة تستمد فوائد كبيرة من الإتجار بالأشخاص وتهريب المهاجرين اللذين يؤججان عدم الاستقرار ويقوضان الاقتصاد الرسمي حيث تنظم الشبكات الإجرامية قوافل للمهاجرين وتستخدم الاستغلال الجنسي لتوليد إيرادات كبيرة، وهذا ما يطلق عليه (الفساد المنظم)[2].

وقد ورد في نفس التقرير السابق (تقرير خبراء الأمم المتحدة لعام 2018)، بأن " المؤسسة الوطنية للنفط " و " مصرف ليبيا المركزي " و " المؤسسة الليبية للاستثمار " تُعد أهدافاً للتهديدات والهجمات من المجموعات المسلحة مما أثر على أداء القطاعين النفطي والمالي، حيث قام أعضاء بعض الجماعات المسلحة العاملة اسمياً تحت إشراف وزارة الداخلية في الحكومات المتعاقبة، باختطاف وتعذيب وقتل موظفين من مؤسسات سيادية بما فيها (الوطنية للنفط) و(الليبية للاستثمار)، وعادة ما يطلق على هذا النوع من الفساد (الفساد المسلح) [3].

كما تضاعفت خلال الأعوام القليلة الماضية صفوف السلك الدبلوماسي ثلاث مرات، وأصبحت مليئة بالشخصيات التي لا تملك في أغلبها أي خبرة في المجال، ولا تتحدث أي لغة، ولكنها تتحصل على رواتب كبيرة بفضل ولائها للحكام الجدد[4].

---

[1] أوغسطين روز بندانا، أهمية دور القيادة في محاربة الفساد في أوغندا، في كيمبرلي آ، اليوت، مرجع سبق ذكره، 189.

[2] السياسة التشريعية الليبية لمكافحة الفساد، 16 يناير 2020، مركز دعم التحول الديمقراطي وحقوق الإنسان.
https:// daamdth.org/archives/7886.

[3] السياسية التشريعية الليبية لمكافحة الفساد، المرجع السابق.

[4] ليبيا وتفشي ظاهرة الفساد المؤسسي، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، May/8/2017
https:// 100psresearch.org/articles/view/182/?lang=ara.

بالإضافة إلى ذلك، هناك ممارسة واسعة الانتشار في كثير من الوزارات، تتمثل في وجود (موظفين أشباح) وفق تحقيق لديوان المحاسبة، فإن وزارة العدل ووزارة الداخلية لديها على التوالي 63% و 51% من الموظفين الذين لا وجود لهم، ولكن يتحصلون على رواتب شهرية بشكل منتظم[1].

إن التوسع في إنشاء بلديات جديدة على أطراف المدن، أدى إلى كثرة المصروفات، كما أدت إلى التكدس بالكادر الوظيفي (البطالة المقنعة)، فالكثير من الموظفين يأتون مرة واحدة في السنة أو الشهر أو الأسبوع إلى أعمالهم، التي يتقاضون عليها رواتب من الدولة، وبالتالي الإنتاجية صفر، وهذا هو عينه إهدار المال العام، وهو المشكلة الأخطر والأكثر تعقيداً من السرقة والاختلاس[2].

وقد ورد في تقرير ديوان المحاسبة عام 2018 أرقام مفزعة تشير بوضوح إلى حجم الفساد وتأثيره السلبي على الأوضاع الاقتصادية والسياسية في ليبيا، وجاء على النحو التالي[3]:

- أنفقت الدولة من عام 2012–2017 ما قيمته (270) مليار دينار لا يظهر لها أثر ملموس على الأرض.
- إنفاق (21) مليار دينار سنوياً على المرتبات، ووجود نحو (1.8) مليون موظف عمومي بمعدل إنتاجية لا يتعدى (ربع ساعة) يومياً.
- إهدار (80) مليار دينار على مشروعات تنموية من عام 2010 حتى عام 2018 دون تحقيق أي تنمية.
- إنفاق (5) مليار دينار سنوياً على قطاع الكهرباء والدولة تعاني من انقطاع الكهرباء.

---

[1] ليبيا وتفشي ظاهرة الفساد، المرجع السابق.

[2] أحمد سالم، الفساد وإهدار المال العام يقودان ليبيا إلى مصير مشؤوم، عربية INDEPENDENT . https:// WWW.independentarabia.com/node/5767/.

[3] ديوان المحاسبة يكشف عن أرقام مفزعة لحجم الفساد في ليبيا، العين الإخبارية، 2018/12/9 .

- إنفاق (8) مليارات دينار سنوياً على قطاع التعليم في حين أن العملية التعليمية تعاني من سوء الخدمات وتدني المخرجات.
- إنفاق (نصف مليار) دينار سنوياً على أعمال النظافة، والدولة والشوارع تعاني من القمامة.

إنفاق (نصف مليار) سنوياً على البعثات الدبلوماسية دون تحقيق أي مصالح للدولة.

لقد فشلت الحكومات الليبية المتعاقبة في إيقاف هذا النزيف المستمر، والذي ألقى بظلاله السلبية على كل مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وأدى في ما أدى إليه، إلى تسهيل تحول أشخاص عاديين وعناصر مسلحة إلى أصحاب ثروات ضخمة، في وضع وصفه المبعوث الأممي السابق " غسان سلامة" قائلاً: " هناك مليونير جديد كل يوم في ليبيا، وطبقة وسطى تتقلص"، واتهم في مقابلة مع قناة الجزيرة، الطبقة السياسية في ليبيا بأن لديهم كماً كبيراً من الفساد يندى له الجبين، إذ يستولون على المال العام، ثم يوظفونه في الخارج[1].

ثانياً: آثار الفساد على العملية الديمقراطية

الفساد يقوض الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وبالتالي يعمل على تعميق الفقر، وتأجيج الجريمة المنظمة، وتحجيم الجهود الرامية إلى تعزيز الأمن الإنساني، ويأخذ الفساد أشكالاً عديدة ويزدهر في جميع أنواع البيئات، وتنشر وسائل الإعلام في ليبيا حالات جديدة بشكل يومي لإساءة استخدام السلطة الموَكَّلة من أجل مصلحة خاصة. وتتراوح هذه الانتهاكات بين الرشاوي التي تشمل القادة السياسيين والشركات والأفراد والأثرياء، والفساد يقوض تقديم الخدمات الأساسية في مجال الإسكان والتعليم والشرطة، وهو نظام استغلال

[1] أبو القاسم علي الربو، كل هذا الفساد في ليبيا، العربي الجديد، 6 فبراير 2022.
https:// www.alaraby.com.uk/opinion.

النفوذ تجد جذوره في الطريقة التي عملت بها قوات الأمن والخدمات المدنية والأعمال في ظل النظام السابق، ولكنها استشرت بشكل أكبر بعد فبراير 2011[1].

عندما يقوم السياسيون الفاسدون بمكافأة قاعدتهم السياسية عن طريق الاستيلاء غير المشروع على الموارد العامة، فإن ذلك يولد شبكات للتبادل ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع مصطلح سياسة (الحماية)، حيث يتمسك القادة بمناصبهم، ومن خلال توزيع الأموال ومزايا شخصية أخرى، وعملاء يعرضون دعمهم السياسي من أجل الحصول على مكافآت، والتي لا يمكن التحصل عليها بسهولة في أي مكان آخر في الاقتصاد.

ويؤثر الفساد المستشري على النظام التوزيعي، والذي يقوم به القادة بشراء استمرارهم في المنصب من خلال توفير مصالح خاصة بدلاً من كونها عامة، هاتان العمليتان للفساد السياسي، إحداها للثراء والأخرى للبقاء، تقويان بعضهما الآخر، حيث إن السياسي البارع في الحصول على الإيرادات وجمع الرشاوي لديه أيضاً موارد أكثر توافراً لشراء الدعم السياسي[2].

وهنا يخدم الفساد مصالح الحكام، طالما يتم بعلم الحكام في ظل وجود دولة قوية قادرة على التحكم في الفساد وتوزيعه على من بمقدورهم المساهمة في الحفاظ على استمرار النظام، ومن ثم استقراره ولكن ممكن على المدى البعيد، أن يكون لهذا الفساد جوانب سلبية على النظام، وعلى الاستقرار السياسي، لأن هناك فئات كثيرة من المجتمع غير مستفيدة من هذا الفساد، وهذا من شأنه أن يتسبب في ثورات أو انقلابات أو حروب أهلية[3].

---

1) Andrew Faull, " Corruption and the South African Polico Service: A Review and its Implications", (Pretoria:Institute for Security Studies (ISS), Paper 150, September 2007), p.1
2) Hanne Fjede and Havard Hegre, " Political Corruption and Institutional Stability", in Studies in Comparative Development", (Oxford: Oxford University , vol. 49, Issue3, 2007), pp 4-5
3) Hanne Fjede and Havard Hegre, Ibid, p.5

وهذا ما حدث في ليبيا من قِبَّل النظام السياسي القائم الآن في محاولة لخلق قاعدة لحمايته، ولكن هذه القاعدة خرجت عن سيطرته، بل أصبحت هي المتحكمة في ممارسة الفساد وتوزيعه على من يُدين لهذه القاعدة بالولاء (سياسيين، مليشيات .. إلخ).

خلال فترة التحول الديمقراطي، عادة ما يكون الفساد خطيراً ومزعزعاً للاستقرار، فخلال فترات التغيير السريع، قد تكون المؤسسات التي تستطيع مكافحة الفساد ضعيفة أو متخلفة، وفي الوقت الذي يعتبر تحرير الاقتصاد وتفكيك قيوده التنظيمية مفيداً على المدى البعيد، فإنهما قد يناهزان الفساد على المدى القريب إذا ما تباطأت تنمية الهيكل المؤسسي، وإذا ما بدت مكاسب التحرير منحرفة بسبب الفساد[1].

إضافة إلى ما تسببت فيه الأزمة السياسية والأمنية في ليبيا من تردي الأوضاع على المواطنين على كل المستويات، ساهم الفساد الذي اخترق كل مؤسسات الدولة في تعميق الأزمة وأثر ذلك بشكل كبير على عملية التنمية الاقتصادية والتحول للنظام الديمقراطي، وجعل ليبيا على حافة الانهيار الاقتصادي، وفي أسفل الترتيب لمؤشرات الشفافية في العالم، وذلك على النحو التالي:

ترتيب ليبيا في مؤشرات مدركات الفساد في السنوات الماضية

(منظمة الشفافية الدولية مدركات الفساد في 180 دولة)

السنة	الترتيب	الدرجة من 100
2019	168	18
2018	170	17
2017	171	17
2016	170	14

[1] كيمبرلي آن إليوت، الفساد كمشكلة من مشكلات السياسة الدولية، مرجع سبق ذكره، ص 367.

2015	161	16
2014	166	18
2013	172	15
2012	160	21

هذا المقياس يتدرج من (100 – 0)، حيث تعادل الدرجة (0) أعلى مستوى من مستويات الفساد، في حين تعادل الدرجة (100) أدنى مستوى من مستويات الفساد.

وهكذا فإن الفساد يُعوق التنمية السياسية والاقتصادية، علاوة على تقويضه الفعالية والكفاءة الإدارية، والفساد يقوض شرعية القادة السياسيين والمؤسسات السياسية، من حيث أنه يجلب السمعة السيئة على قيادة البلاد، ويقلل من قدرة الحكومة على الاعتماد على تأييد الجمهور، وتضطر الحكومة؛ من جراء هذه الخسارة للثقة في النظام السياسي إلى اللجوء إلى القوة والتدابير القسرية للمحافظة على النظام العام.

إن الفساد مُعوق للديمقراطية، لأنه يخرب عملية الانتخابات الديمقراطية وإدارة الحكومة وإنفاذ القوانين والسلطة القضائية، والقلاقل السياسية والاضطرابات الاجتماعية الناجمة عن ذلك تعرقل التنمية، ويمكن أن تُفضي إلى ردود فعل عنيفة، ويجد كل تغيير في الحكومة تقريباً سواء أكان سلمياً أم بالعنف؛ تبريراً منطقياً بأنه ضروري للتخلص من الحكومة الفاسدة[1].

[1] أوغسطين روز بندانا، مرجع سبق ذكره، ص 195 .

المطلب الثالث

ضعف مكافحة الفساد في ليبيا

(الأسباب – والآليات المقترحة)

أولاً: أسباب ضعف مكافحة الفساد في ليبيا

هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى ضعف مكافحة الفساد في ليبيا مما أدى إلى زيادة مستويات الفساد، وذلك على النحو التالي:

1. لقد منحت الدساتير الليبية سلطة التعيين في المناصب السيادية العليا إلى رئيس الدولة، وهذا أدى إلى سيطرة النخبة الحاكمة على أجهزة العدالة وهيئة مكافحة الفساد وهذا بطبيعة الحال سبباً رئيسياً في إضعاف وعرقلة عمل هيئة ولجان مكافحة الفساد، كما أن غياب الأساس الدستوري لهيئة مكافحة الفساد يترك شكوكاً بشأن صلاحياتها، كما أن تحكم القيادات السياسية والبرلمانات في تشكيل هذه الهيئة وتحديد صلاحياتها يؤثر سلباً على عملها[1].
2. إن القوانين التي أنشأت بموجبها هيئة مكافحة الفساد لم تخول لها سلطة الادعاء العام، الأمر الذي يجعلها في نهاية الأمر تفشل في التحقيق في قضايا الفساد، وتضطر إلى إحالة قضايا الفساد إلى مكتب المدعي العام، كما لا يوجد قانون واضح ومحدد خاص بمكافحة الفساد، بل مجموعة من المواد القانونية وفي أكثر من تشريع، وهذا الافتقار لجبهة قانونية موحدة لمكافحة الفساد يخلق حالة من الغموض والثغرات لصالح الفاسدين.
3. لا يتم تشكيل لجان مكافحة خاصة للتحقيق بقضايا الفساد، إلا بعد أن تُعرف القضية من قبل الرأي العام، وهذا يوضح أن هناك تكتماً واضحاً من الحكومة على قضايا

[1] موناي م. مولوينج، مرجع سبق ذكره، ص ص 87-88 .

الفساد، الأمر الذي من شأنه تعطيل عمل هيئة ولجان مكافحة الفساد، حيث أنه من غير المنطقي تشكيل لجان مكافحة، خاصة بعد وقوع الفساد، لأن الفساد يكون قد حدث فعلاً، وما يلاحظ أن تشكيل لجان المكافحة يتم بعد مرور فترة طويلة في كثير من الأحيان، خاصة إذا تم تغيير الحكومة واستبعاد المتورطين في قضايا الفساد، حيث يلاحظ أن معظم قضايا الفساد لم يتم مقاضاة المسؤولين رفيعي المستوى من النخبة الحاكمة، وحتى وإن ثبت تورطهم في هذه القضايا من خلال التحقيقات[1].

ثانياً: الآليات المقترحة والتي من شأنها تعزيز مكافحة الفساد

1. العمل على خلق مجتمع قادر على المشاركة الفعالة في السياسة ومتابعة سلوك صانعي القرار الرسميين، وأيضاً مراقبة المسئولين الفاسدين، الأمر الذي من شأنه الحد من واقع الفساد، ويتم ذلك بتقليص الضعف الاقتصادي لدى المواطنين، وتوعيتهم لمعرفة حقوقهم، وذلك بوضع خطط لمقاومة الفساد طويلة الأجل[2].
2. لابد من التركيز على الرقابة من داخل المؤسسة، حيث أن لها دور كبير وفعال وهام في الحد من الفساد، وتعتمد إلى حد كبير على روح العمل الجماعي في الكفاءة البيروقراطية، والدفاع عن المصلحة العامة أكثر من المصلحة الخاصة، والتقيد بالضوابط الإدارية، وتشمل الضوابط الإدارية مختلف الهيئات المسيطرة والمدققة داخل إدارة الدولة في شكل المؤسسات والمبادئ المُعيَّنة خصيصاً، مثل: مكافحة الفساد، ولجان الحسابات العمومية[3].

---

[1] موناي م. مولينج، جون ن. ليستيدي، د. محمد عاشور، أ. وسام إبراهيم (مترجمان)، الفساد في أفريقيا جنوب الصحراء، نحو اقتراب أكثر شمولية، مختارات المجلة الأفريقية للعلوم السياسية، (القاهرة، برنامج الدراسات المصرية الأفريقية 2003)، ص 98.

[2] John Githongo, Keny's Fight Against Corruption: An Uneven Path to Political Accountability (Washington, D.C: Development Policy Briefing Paper No. 2, Cato Institute, Center for Global Liberty and Prosperity, March 15m 2007), P. 1

[3] موناي م. مولوينج، مرجع سبق ذكره، ص 96 .

3. يعتبر تأسيس " النزاهة " والذي يعني " استخدام السلطة العامة للمصلحة العامة " هو الوجه الآخر لمكافحة الفساد، وتبين من الخبرة المكتسبة من العمل مع الدول المتعاملة مع الفساد أنه من المفضل التركيز على الوقاية من خلال تأسيس النزاهة، والتي تقترح طريقة وقائية إيجابية مجربة، وعادة ما يكون من الأسهل حمل مجموعات وأصحاب المصالح على دعم المقاييس الوقائية من خلال نظام نزاهة وطنية، وليس مجرد مقاييس مهمة لمكافحة الفساد[1].
4. يساعد الفصل بين السلطات، مع توافر الضوابط والتوازنات على الحد من إساءة استعمال السلطة، فمتى توافرت رقابة متبادلة بين السلطات داخل الدولة، فإن ذلك يصب عادة في صالح المواطنين، وذلك عندما يسمح النظام البرلماني بمراقبة فورية من قبل السلطة التشريعية على السلطة التنفيذية، كما يخلق الفصل بين السلطات آليات لمعاقبة المسئولين الحكوميين عند إساءتهم لاستعمال السلطة، وهذا من شأنه تقليل مستوى الفساد[2].
5. تضمن المنافسة السياسية في ظل وجود انتخابات نزيهة إلى حد ما، تحمل السياسيين مسؤولياتهم في اتخاذ القرارات، في ظل توافر آلية عقابهم، مثل: فقدان حصانتهم، أو إمكانية إجبارهم على التخلي عن مناصبهم، الأمر الذي من شأنه أن يحفز السياسيين لتحصين سلوكياتهم عن طريق مواءمة مصالحهم مع مصالح ناخبيهم، وفي ظل منافسة سياسية، يكون على السياسيين مواجهة الناخبين باستمرار، لأن الأنظمة

1) Petter Langseth, (Prevention: An Effective Tool to Reduce Corruption), " Global Programme Against Corruption- Conferences", (Vienna: United Nations Office for Drug Control and Crime Prevention, Paper Presented at the ISPAC Conference on Responding to the Challenge of Corruption, Milan, December, 1999), p.7.

2) Kevin Casas-Zamor (et. Al.)," Political Integrity and Corruption – An International Perspective", (Washington, D.C International Foundation for Electoral Systems, 2008), P. 2

السياسية هنا تسمح بإعادة الانتخاب، وهذا بدوره يؤدي إلى ارتفاع الحوافز لدى السياسيين وتمسكهم بالحكم الرشيد الذي من شأنه الحد من الفساد[1].

6. استقلال القضاء عن السلطة التنفيذية، لأن القضاء المختص والمستقل هو أحد أساليب ضبط السلطتين التشريعية والتنفيذية، وهنا سنحتاج التشريعات الواجبة والأحكام المتخصصة للعمل بأحكامها وتنفيذها من السلطة المختصة (العقاب ذو المصداقية والملائم في وقته) [2].
7. تقارير المواطنين: غالباً ما يكون أفراد الجمهور أول من يشهد الفساد أو يعاني منه، لاسيما في مجال الخدمات العامة. للمساعدة في فضح الفساد، يمكن لأفراد الجمهور أن يكونوا وسيلة في الإبلاغ عن الفساد من خلال القنوات القياسية للإبلاغ عن الجرائم على المستوى الوطني أو البلدي، مثل الشرطة، لتشجيع تقارير المواطنين حول الفساد، طورت العديد من الحكومات طرقاً أكثر مباشرة للجمهور للإبلاغ عن الفساد، على سبيل المثال، يمكن لهيئات مكافحة الفساد المتخصصة إنشاء قنوات مخصصة للإبلاغ عن جرائم الفساد، يُطلب من الحكومات بموجب المادة (13) من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد إطلاع الجمهور على هيئات مكافحة الفساد وكيفية الإبلاغ عن الأفعال الفاسدة، بما في ذلك عدم الكشف عن الهوية[3].
8. تلعب الصحافة ووسائل الإعلام دوراً رئيسياً في تغطية الفساد وكشفه وكبحه. إن الإبلاغ عن الفساد " يقدم مساهمة قيمة في تحسين المجتمع " والصحافة الاستقصائية على وجه الخصوص "تحمل القدرة على العمل كعيون وآذان المواطنين"، ويمكن أن تكون التقارير الإعلامية وسيلة للكشف عن الفساد التي تدفع المنظمات ووكالات

---

1) Idem.
2) Bo Rothstein ad Markus Tegnhammar, " Mechanisms of Corruption: Interest vs. Cognition", (Goteborg: The Qob Institute Quality of Government, Working Paper Series No. 3, 2006), p. 11 .
3) anti- corruption module 5 key issues: detection mechanisms- auditing and reporting. https://www.unodc.org/euj/ar/anti-corruption/module-6/key-issues/detection-echanisms...auditing-and-reporting.html.

تطبيق القانون إلى إجراء تحقيقات (أو مزيد من التحقيقات) في مزاعم الفساد. ويمكن أيضاً استخدام تقارير الفساد في وسائل الإعلام لجمع المزيد من المعلومات حول الفساد وتقييم الحالات التي تم اكتشافه فيها وتتطلب مزيداً من التحقيق[1].

وأخيراً يجب القول: إن مكافحة الفساد لا تتم بآلية واحدة، أو من مصدر واحد فقط، لأن كل مصدر محتمل من المصادر التي يمكن لها أن تساعد في تقليص الفساد هي في الوقت نفسه مصدر محتمل للفساد، لذا يجب أن يتم مكافحة الفساد عن طريق أكثر من مصدر.

خاتمة الدراسة

لقد أدى التحول السياسي في ليبيا إلى الأخذ بنظام التعددية الحزبية والانتخابات للوصول إلى السلطة، وفي هذا التحول يتم السيطرة على موارد الدولة بطرق مشروعة أو غير مشروعة للحصول على الأموال اللازمة لتمويل الأحزاب السياسية أو تمويل الدعاية الانتخابية. أضف إلى ذلك تضخم المنتفعين من الفساد السياسي (نخب حاكمة، رجال أعمال، كبار التجار.. إلخ)، مما يؤدي إلى صعوبة القضاء على الفساد في الوقت الحالي واستمرار وزيادة مستوياته في المستقبل، حيث إن هؤلاء المنتفعين يريدون الحفاظ على النظام القائم الآن والذي من أهم سماته ضعف مؤسسات الدولة بغرض الاستمرار في تحقيق مصالحهم الخاصة، كما أن ضعف الإطارين التشريعي والمؤسسي في مكافحة الفساد، لاسيما من الناحية التنفيذية، من شأنه أن يُعثر جهود مكافحة الفساد.

1) Idem .

وختاماً لا يمكن إنكار وجود الفساد السياسي في ليبيا ما قبل التحول الديمقراطي، ولكن لم ترصد قضايا فساد قبل التحول الديمقراطي بحجم قضايا الفساد التي رصدت للحكومات المتعاقبة في ليبيا ما بعد التحول الديمقراطي، وهذا وفقاً للتقارير الدولية وتقرير ديوان المحاسبة الليبي.

ويمكن القول أنه لا يوجد رادع قوي للقضاء على الفساد في ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية القائمة في ليبيا.

وبناء على ذلك سوف يستمر ارتفاع مستويات الفساد بدرجات لا يمكن التحكم فيها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

1. أبو القاسم علي الربو، كل هذا الفساد في ليبيا، العربي الجديد، 6 فبراير 2022. https:// www.alaraby.com.uk/opinion.
2. أحمد سالم، الفساد وإهدار المال العام يقودان ليبيا إلى مصير مشؤوم، عربية INDEPENDENT . https:// WWW.independentarabia.com/node/5767/.
3. أحمد سليمان، لماذا تزدهر المليشيات في ليبيا؟، BBC عربي لندن، 11 أغسطس 2014. https://WWW bbc.com/arabic/middleeast*2014/08/140809libya-militia.reasons.
4. أحمد علي الأطروش، المشهد السياسي والأمني في ليبيا- رؤية تحليلية استشرافية،(ندوة عقدت في طرابلس بتاريخ 2015/6/13 عن الانقسام السياسي في ليبيا)، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات. psresearch.org/projects/view/1/?/arg=ard100https://
5. أوغسطين روز بندانا، أهمية دور القيادة في محاربة الفساد في أوغندا.

6. حسين سالم مرجين، ظاهرة الفساد في ليبيا – الواقع وآليات المنع والمكافحة 2011-2018، 2019/3/13، الحوار المتمدن
: ahewar.org/s.asp?aid=6319878r=0.https://m
7. ديوان المحاسبة يكشف عن أرقام مفزعة لحجم الفساد في ليبيا، العين الإخبارية، 2018/12/9 .
8. رافد علي، ليبيا ونظرية الألعاب، بوابة الوسط، الخميس 5 مايو 2022 .
https:// alwasat.ly/news/opinions/357936?author=1.
9. سالم العوكلي، الفساد المسلح، بوابة الوسط، الثلاثاء 01 سبتمبر 2020.
https://alwasat.ly/news/opinions/294073?author=1.
10. سوزان روز- أكرمان، الاقتصاد السياسي للفساد، في كيمبرلي آن آليوت (محرر)، محمد جمال (مترجم)، الفساد والاقتصاد العالمي، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 8000)، ص 238.
11. السياسة التشريعية الليبية لمكافحة الفساد، 16 يناير 2020، مركز دعم التحول الديمقراطي وحقوق الإنسان.
https:// daamdth.org/archives/7886.
12. عبد الباسط غبارة، المليشيات في ليبيا.. سنوات النهب والاستثمار في الفوضى، بوابة أفريقيا الإخبارية، 30 June , 2019 .
https://www.afrigatenews.net
13. علاء فاروق، ليبيا ... نحو الانقسام أم الاستقرار، ليبيا المستقبل، 2016/10/18 .
https://www.libya-al-mostakbal.org
14. ليبيا وتفشي ظاهرة الفساد المؤسسي، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، May/8/2017
https:// 100psresearch.org/articles/view/182/?lang=ara.
15. موناي م. مولينج، جون ن. ليستيدي، د. محمد عاشور، أ. وسام إبراهيم (مترجمان)، الفساد في أفريقيا جنوب الصحراء، نحو اقتراب أكثر شمولية، مختارات المجلة الأفريقية للعلوم السياسية، (القاهرة، برنامج الدراسات المصرية الأفريقية 2003)،

ثانياً: المراجع الأجنبية

1. Andrew Faull, " Corruption and the South African Polico Service: A Review and its Implications", (Pretoria:Institute for Security Studies (ISS), Paper 150, September 2007).
2. anti- corruption module 5 key issues: detection mechanisms- auditing and reporting.

https://www.unodc.org/euj/ar/anti-corruption/module-6/key-issues/detection-echanisms...auditing-and-reporting.html.

3. Aron G. Ringera, " Kenyans Arise! Fight Corruption Now), National Anticorruption plan (Kenya)", (Nairobi: NACP Secrtariat, 5th July- 14th September), 2005.
4. Bo Rothstein ad Markus Tegnhammar, " Mechanisms of Corruption: Interest vs. Cognition", (Goteborg: The Qob Institute Quality of Government, Working Paper Series No. 3, 2006).
5. Business action Against Corruption (BAAC), Report on Benchmarking Anti-Corruption Initiatives in Africa, (African institute of Corporate Citizenship (AICC), 2007.
6. Hanne Fjede and Havard Hegre, " Political Corruption and Institutional Stability", in Studies in Comparative Development", (Oxford: Oxford University , vol. 49, Issue3, 2007).
7. Inge Amundsenc" political corruption: an introduction to the issues", (Bergen: Chr Michelsen Institute Development Studies and Human Rights, Working Paper No. 7, 1999).
8. John Githongo, Keny's Fight Against Corruption: An Uneven Path to Political Accountability (Washington, D.C: Development Policy Briefing Paper No. 2, Cato Institute, Center for Global Liberty and Prosperity, March 15m 2007).

9. Kevin Casas-Zamor (et. Al.)," Political Integrity and Corruption – An International Perspective", (Washington, D.C International Foundation for Electoral Systems, 2008).
10. Libya Corruption Report, " LAST UPDATED: May2020. http://www.ganintegrity.com/protal/country-profiles/libya/
11. Mongoljingoo Damdinjav et. Al., " Institutional Failure in Kenya and A Way for Word" in Journal of Political Inquiry, (New York: New York University, Spring Issue, 2013).
12. Petter Langseth, (Prevention: An Effective Tool to Reduce Corruption), " Global Programme Against Corruption- Conferences", (Vienna: United Nations Office for Drug Control and Crime Prevention, Paper Presented at the ISPAC Conference on Responding to the Challenge of Corruption, Milan, December, 1999).
13. 10 Facts About Corruption in Libya- the Brogen Project . https://brogenproject.org/10-facts-about-corruption-in-libya/

دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد السياسي في تونس

إعداد/ إبراهيم حسيني السيد محمد

باحث دكتوراه – كلية الدراسات الأفريقية العليا– جامعة القاهرة

ملخص الدراسة

يعتبر الكشف عن جرائم الفساد وتشجيع الإبلاغ عن مرتكبيها أهم خطوة في مكافحة الفساد بالنظر إلى ما يصاحب هذه الجرائم من كتمان واستغلال الموظفين لسلطاتهم من أجل إخفاء أفعالهم، ومن ثم يأتي أهمية دور وسائل الإعلام في الكشف عن الفساد، ولا يمكن التركيز على الإعلام كوسيلة لمحاربة الفساد دون الإشارة لحرية التعبير، باعتبارها ظاهرة ديمقراطية، وسلوكا سياسيا حضاريا يضع الخطوط العامة التي تحدد سلوك قطاع الإعلام في أي دولة وتضبط توجهاته ليتمكن من ممارسة دوره في المساءلة والمحاسبة ونشر الثقافة باعتباره أداة الفعل الديمقراطي.

ويعكس الإعلام حالة الوضع السياسي في أي دولة كما هو الحال في دولة تونس التي ظهر فيها الإعلام بعدة أشكال ومراحل وفقا لنظام الحكم السائد في كل مرحلة، ولتوضيح ذلك يمكن تقسيم المراحل التي مر بها الإعلام في تونس إلى مرحلتين رئيسيتين، المرحلة الأولى هي مرحلة ما قبل ثورة 2011، وفيها تم التضييق على وسائل الإعلام والإعلاميين، إما بسجن الصحفيين أو تهديدهم أو سحب الاعتماد والتراخيص من وسائل الإعلام، الأمر الذي دفع بهذه الوسائل لعدم التعرض لقضايا الفساد التي غالبا ما تورط فيها أفراد من العائلة الحاكمة أو جهات نافذة في السلطة، أما المرحلة الثانية فكانت مرحلة ما بعد الثورة، حيث شهدت هذه المرحلة انفتاحا إعلاميا غير مسبوق، ومثلت التجربة التونسية فيها نموذجا واقعيا لدور الإعلام في مكافحة الفساد خاصة، حيث أدى وظيفة بارزة في متابعة قضاياه، إذ قام الإعلام بأنواعه السمعي والبصري والمكتوب والوسائط الإعلامية بأدوار هامة تجسدت في التفاعل مع قضايا الفساد والمفسدين ضمن إطار البحث عن آليات مساندة ومساعدة على مكافحة الفساد

وتوطين الحكم الرشيد، مما جعل المؤسسات الإعلامية تمثل منصات قوية في التشهير والإبلاغ عن كل ما يمثل رمزا للفساد.

Summary

Disclosing corruption crimes and encouraging reporting of the perpetrators is the most important step in combating corruption given the concealment and abuse that accompanies these crimes by employees of their powers in order to conceal their actions. Hence comes the importance of the role of the media in exposing corruption, and it is not possible to focus on the media as a means to fight corruption. Without referring to freedom of expression, as a democratic phenomenon, and a civilized political behavior that sets the general lines that define the behavior of the media sector in any country and set its directions so that it can exercise its role in accountability and dissemination of culture as a tool of democratic action.

The media reflects the state of the political situation in any country, as the case of Tunisia, in which the media appeared in several forms and stages according to the ruling system prevailing in each stage, and to clarify this, the stages that the media went through in Tunisia can be divided into two main stages, the first stage is the pre- The 2011 revolution, in which the media and media personnel were harassed, either by imprisoning journalists, threatening them, or withdrawing accreditation and licenses from the media, which prompted these means to avoid exposure to corruption cases in which members of the ruling family or influential parties in power were often involved. The second was the post-revolution stage, when this stage witnessed an unprecedented media openness, and the Tunisian experience represented a realistic model for the role of the media in combating corruption in particular, as it performed a prominent role in following up on its issues. Interacting with cases of corruption and corrupt people within the framework of searching for support mechanisms and assistance in combating corruption and settling good governance, which made media institutions represent strong platforms for defamation and reporting on everything it is a symbol of corruption.

مقدمة

هناك العديد من الأسباب التي دفعت بالشعب التونسي إلى التظاهر وعمل المسيرات والاحتجاجات والتي قد تتشابه في معظمها مع العديد من الأسباب الموجودة في الكيانات العربية والإفريقية القائمة، وتتركز أهم الأسباب في الفساد الذي أخذ أشكالا متعددة ومتنوعة (منها السياسي والاقتصادي والاجتماعي).

فقد شكَّل الفساد أهم عامل لاندلاع الثورة في تونس؛ فالجماهير التي خرجت ثائرة في 17 ديسمبر 2010، لم يكن في مقدمة أهدافها أن تحتج على غياب الحريات والديمقراطية، إنما كان هدفها الأول هو الانتفاض ضد المظالم الاقتصادية والاجتماعية المسلطة عليها إبان حكم الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي، حيث تفاقمت تلك المظالم بفعل فساد منهجي ضلع فيه عدد غير قليل من المسؤولين في السلطة، وأقارب الرئيس الأسبق وأصهاره، ورجال المال والأعمال، والمتنفذين في شتى المجالات؛ الأمر الذي استدعى تشكيل "لجنة تقصي الحقائق عن الفساد والرشوة" فور الإطاحة برأس النظام.

من ثم كان الفساد هو الشرار التي أشعلت نار الثورة التونسية، التي شهدت أربعة أسابيع من الاحتجاجات الشعبية العارمة في البلاد، والتي بدأت بعد إحراق الشاب محمد البوعزيزي نفسه يوم 17 ديسمبر 2010 احتجاجًا على استهداف مصدر رزقه، من قبل شرطة البلدية في ولاية سيدي بوزيد، وكانت كافية لإنهاء حكم استمر 23 عاما للرئيس الأسبق زين العابدين بن علي، الذي إضطر لمغادرة البلاد تاركا إياها في حالة هي خليط من الغليان والفلتان، وفتحت الإطاحة به الباب على مصراعيه أمام تغيير جذري وكامل للمشهد السياسي الذي اتسم في عهده بانغلاق تام، حيث غُيبت المعارضة الحقيقية وهيمن حزب التجمع الدستوري الديمقراطي على الحياة السياسية في البلاد.

وقد انعكس الوضع السياسي على وضع الإعلام، حيث كانت صناعة الإعلام معروفة بخضوعها إلى إشراف ونفوذ عدد من الهيئات الحكومية التي تحتكر جميع مراحل الإنتاج الإعلامي. وباعتماد أسلوب "العصا والجزرة" مع وسائل الإعلام، كان النظام السابق يكافئ مَن كانوا يمتدحونه، ويعاقب مَن يجرؤ على انتقاده، لكن بعد ثورة 2011

شهد الإعلام في تونس تغييرات جذريّة، إذ هو ابتعد عن المحتوى الذي كان في السابق ذا نسق واحد، ومقيَّداً للغاية، ويحاكي خط الدولة، وأصبح يقدم الآن إنتاجاً متنوّعاً، كما ظهرت العديد من وسائل الإعلام الجديدة ومنها وسائل التواصل الاجتماعي التي كانت تمثل الاعلام البديل خلال الثورة وساعدت في تحقيق أهدافها، ثم إن الإطار القانوني ومؤسسات الدولة التي تنظّم شؤون هذه الصناعة، شهدت عملية إصلاح من خلال إصدار العديد من التشريعات التي قدمت الضمانات الخاصة بحرية وسائل الإعلام.

أولا: موضوع الدراسة

تتحمل وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية مسؤولية تاريخية واجتماعية وأخلاقية ومهنية في مواجهة الفساد، باعتبارها من أهم الوسائل ذات الفعالية المؤثرة في نشر وتعزيز قيم النزاهة بعد التقصي عن المعلومات التي تكشف الكثير من القضايا المهمة وخاصة الفساد السياسي، فهي تعد سلطة رابعة خاصة في الدول المتقدمة والتي تنتهج نظام الحكم الديمقراطي، من ثم جاء الاهتمام بدراسة دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد السياسي في تونس كأحد الدول العربية والإفريقية التي شهدت ثورة على الفساد عام 2011، نتج عنها سقوط النظام الحاكم بقيادة زين العابدين بن علي والذي كان رمزا للفساد ونظام الحكم الديكتاتوري.

وقد انعكس التحول الذي شهدته تونس بعد الثورة على وسائل الإعلام خاصة دورها في مكافحة الفساد حيث عرفت توجها آخرا إذ أصبحت شريكا أساسيا في صياغة الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفساد والحوكمة الرشيدة التي تجسدت في شراكة النقابة الوطنية للصحفيين التونسيين والتي أفسح لها المجال في وضع الاستراتيجية سابقة الذكر وأتاح لها دورا فاعلا وأساسيا في إعدادها، هذه الشراكة التي بموجبها جاءت عملية التنسيق بين الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد والنقابة الوطنية للصحفيين التونسيين ضمن الإطار التشريعي والمؤسساتي الرامي إلى مأسسة الرشادة السياسية وتضييق مجال انتشار الفساد، لذا كان من الضروري البحث عن دور وسائل الإعلام في جهود هذه الدولة في مكافحة الفساد وهل كان هذا الدور إيجابيا أم سلبيا؟.

ثانيا: إشكالية الدراسة:

تنطلق الدراسة من مشكلة مفادها أن ظاهرة الفساد بكل أشكالها وأنماطها كانت مستشرية في تونس كغيرها من دول العربية والإفريقية، وتأثيرها السلبي كان واضحا في كل المجالات خاصة على عملية التنمية، الأمر الذي يضع علامات استفهام حول مدى نزاهة نظام الحكم في هذا البلاد وهو ما يؤدي إلى وجود دور مهم لوسائل الإعلام التي تعد من إحدى الوسائل الأساسية لموجهة تلك الظاهرة من خلال الكشف عنها، وإرساء قيم النزاهة والشفافية.

ومشكلة هذه الدراسة ليست غامضة كما في معظم الدراسات، وإنما ظاهرة واضحة ومتفشية وتتمثل في كيفية مقاومة الفساد من أعلى قمة المجتمع أي النظام الحاكم وأعوانه والذي غالبا ما يتحكم في وسائل الإعلام، فكيف يمكن كشفه أمام الرأي العام والمجتمع، وهو ما استدعي ضرورة دراسة هذا الموضوع في محاولة لتقديم رؤية شاملة حول دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد السياسي في تونس التي شهدت ثورة على فساد النظام الحاكم عام 2011.

ثالثا: تساؤلات الدراسة:

تتمخض مشكلة هذه الدراسة في الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ماهي طبيعة الفساد في تونس وماهي أسبابه وأنواعه وآثاره ودوافعه؟
- ما هو تأثير عملية التحول الديمقراطي عقب ثورة 2011 على مكافحة الفساد والحد منه؟
- كيف ساهم التحول الديمقراطي وسائل الإعلام في مكافحة الفساد؟
- ما هو الاطار التشريعي لدور الإعلام في مكافحة الفساد في رواندا؟
- ماهي التحديات والمعوقات التى تحد من دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد؟
- ما هي طرق وأساليب المعالجة من الجانب الإعلامي لقضايا الفساد؟
- هل كانت حرية وسائل الإعلام سببا أم نتيجة للتحول الديمقراطي؟

رابعا: فروض الدراسة:

يمكن صياغة العديد من الفروض التى تشكل حلا مبدئيا لإشكالية الدارسة:

– إن للإعلام دورا رئيسيا وحيويا في كشف قضايا الفساد ومكافحته؟

– كلما ارتفع مؤشر الديمقراطية في الدولة محل الدراسة كلما ازداد الدور الإيجابي لوسائل الإعلام في مكافحة الفساد؟

خامسا: أهمية الدراسة:

تحظى دارسة دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد بوجه عام وفي تونس بوجه خاص بأهمية نظرية وأخرى عملية، ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالى:

1- الأهمية العلمية /النظرية:

تكمن أهمية الدارسة العلمية في ندرة الدارسات الأكاديمية لموضوع دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد السياسي في تونس، حيث لاحظ الباحث أن هناك الكثير من الدارسات التي تناولت هذا الموضوع من الجوانب القانونية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، مع إغفال الدور الرئيسي الذي تلعبه وسائل الإعلام في مواجهة هذه الظاهرة في ظل التطورات التكولوجية المتسارعة لهذه الوسائل ودورها المؤثر في المجتمع.

2- الأهمية العملية:

تتمثل الأهمية العملية للبحث في أهمية الظاهرة المستشرية ونعني بها الفساد السياسي الذي يعد من أخطر الظواهر والتي تهدد مؤسسات الدولة، وتوضيح الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في مكافحة هذه الظاهرة، وتوصيف المعالجة الإعلامية لقضايا الفساد السياسي في تونس، التي كانت سببا رئيسيا لاندلاع الثورة في البلاد عام 2011.

سادسا: منهجية الدراسة:

يتم الاستعانة بمنهج البنائية الوظيفية الذي أسسه كل من أوجست كونت ودوركايم وهربرت سبنسر والذي يعتمد بالأساس على الوظيفة كآلية لتفسير وتحليل الظواهر

والقضايا السياسية، لذا سنقوم بدراسة دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد السياسي في تونس من خلال التركيز على الإطار البنيوي والوظيفي، لمعرفة إلي أي مدى تساهم وسائل الإعلام في مكافحة الفساد، حيث تضطلع وسائل الإعلام بوظائف بنيوية لأداء مهام مجتمعية استراتيجية هادفة إلى توافق المجتمع ووحدته وتجانسه في كتلة واحدة تواجه هذه الكتلة الأخطار المتربصة بأمن المجتمع واستقراره وفي مقدمتها خطر الفساد الذي يؤثر على كافة أفراد المجتمع.

المطلب الأول

مراحل تطور الإعلام في تونس

لقد مر الإعلام التونسي منذ نشأته أواخر القرن التاسع عشر بمراحل، أولها مرحلة الاستعمار حيث تم إصدار عدد من الصحف منها صحيفة الرائد التونسي عام 1860 والتي خصصتها سلطات الإدارة الاستعماريّة الفرنسية للشؤون الرسمية ونشر قراراتها في بسط الحماية، فيما بدأتْ المنظومة التونسيّة للبثّ الإذاعي سنة 1938 بانطلاق إذاعة تونس تحت الإدارة الفرنسيّة.

ثم جاءت فترتي حكم الرئيسين الأسبقين الحبيب بورقيبة وزين العابدين بن علي، حيث كانت وسائل الإعلام أداة بيد السلطة وركيزة أساسية من ركائز الديكتاتورية حيث لعب التلفزيون– بشكل خاص– وبقيّة الوسائل الأخرى من إذاعات عامة وصحف، دورا مفصليا في تبييض الجرائم السياسية للنظام من ناحية وتلميع صور عدد كبير من الفاسدين وفي مقدمتهم أصهار بن علي وعائلته وحاشيته من ناحية ثانية، فضلا عن التحكم المطلق في الرأي العام بواسطة المراقبة الكلية المباشرة التي مارستها أجهزة السلطة على العدد القليل من وسائل الإعلام الخاصة والتي كان أغلبها يدور في فلك الإعلام الحكومي.

وأخيرا تأتي مرحلة ما بعد ثورة 2011 والتي شهدت انفجارا إعلاميا قويا ظهرت فيه العديد من القنوات الفضائية والإذاعات المحلية، وصحف كثيرة ملأت المشهد الإعلامي

ومواقع الإنترنت، حيث تم إطلاق الحريات في مجال الصحافة والنشر والتعبير بما في ذلك تحرير إسناد التراخيص ورفع القيود عن ملكية وسائل الإعلام الخاصة، هذه الطفرة العددية والنوعية كرست تنوعا غير مسبوق وتعددية فعلية في الرؤى والتصورات والخطوط التحريرية في تونس.

أولا: مرحلة الاستعمار

ارتبط ظهور الصحافة المكتوبة في تونس بمرحلة الحماية الفرنسية على البلاد، حيث كانت أولى الصحف هي (الرائد التونسي) الجريدة الرسمية التي أصدرها باي تونس صادق باشا سنة 1860 وعهد بتحريرها إلى المستشرق الفرنسي منصور كرلتي، وقد خصصت فرنسا هذه الجريدة للشؤون الرسمية ونشر قراراتها في بسط الحماية، ومازلت هذه الصحيفة تصدر حتى الآن حيث تنشر فيها الحكومة التونسية القوانين والمراسيم بعد مصادقة البرلمان عليها[1]، ومنذ عام 1903 حتى عام 1912 توالى إصدار الصحف في تونس بكثرة فائقة حتى بلغ عدد ما صدر منها 54 صحيفة والتي حمل معظمها لواء التحرر من الاستعمار[2]، فقد كانت للصحافة التونسية دورها الكبير في حمل لواء الحركة الوطنية ومقاومة مؤامرات الاستعمار في التجنيس والتغريب، بل إن الصحافة التونسية كانت هي بذرة الحركة الوطنية الأولى، ففي عام 1888 صدرت جريدة الحاضرة والتي كانت أول جريدة عربية وطنية غير رسمية في تونس، أصدرها علي بوشوشة، وقد ظلت جريدة الحاضرة تصدر حتى أوائل الحرب العالمية الأولى، وقد كونت مدرسة كبيرة من مثقفي الزيتونة، ومن أبرز من خرجتهم الحاضرة (البشر صقر) الملقب بأبو النهضة الثقافية التونسية وقد عرف بمقالاته العديدة في الدفاع عن استقلال المغرب العربي[3].

كما تم إنشاء الإذاعة التونسية في ظل الحماية الفرنسية، وكان اسمها آنذاك إذاعة تونس البريدية، وقد انطلق البث الرسمي لها في 14 أكتوبر 1938، ثم أصبحت الإذاعة في

---

[1]– فتحي حسين عامر، **تاريخ الصحافة العربية** (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2014) ص 79.

[2]– **المرجع السابق**، ص80.

[3]– أنور الجندي، "دور الصحافة العربية في الفكر الحديث وتطورها بين الحربين(1918 : 1939)"، **مجلة دعوة الحق**، (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ع 66، يناير1964) ص 43.

سبتمبر 1939 تسمى إذاعة تونس، وقد استغلتها السلطات الفرنسية للدعاية والحشد الجماهيري خلال الحرب العالمية الثانية، لكن رغم القيود التي فرضتها سلطة الحماية الفرنسية على المحتوى الذي تبثه الإذاعة، فقد لعبت دورا مهما في التغيرات الاجتماعية والسياسية في ذلك الوقت في تونس، كما ساعدت في إيصال صوتها إلى خارج البلاد[1].

ثانيا: مرحلة ما بعد الاستقلال

كان المرسوم رقم 5 لسنة 1957 المؤرخ في 25 إبريل 1957، هو المنظم لقطاع الإعلام في تونس بعد الاستقلال، والذي نص على أن البث السمعي والبصري في تونس من اختصاص الدولة، فمنذ حكم الرئيس الحبيب بورقيبة ومن بعده أيضًا زين العابدين بن علي احتكرت الدولة قطاع الإعلام؛ حيث كان صوت الدولة مسيطرًا طوال 45 عامًا، لكن هذه الاحتكار تعرض لبعض الاستثناءات بداية من سنة 1964 مع انطلاق بثّ القناة الإيطالية الأولى في تونس والقناة الفرنسية "فرانس2"، حيث منحت هذه القنوات استثناءات لمجرّد رغبة الحكومة في ذلك[2]، ويعتبر انطلاق التلفزيون التونسي والذي تم تأسيسه في عهد الرئيس الأسبق الحبيب بورقيبة أبرز ملامح الإعلام في مرحلة ما بعد الاستعمار الفرنسي، حيث كانت التجربة الأولى لبث التلفزيون التونسي في أول أكتوبر 1965، ودامت ساعة وانطلاقا من يناير 1966 أصبح البث التجريبي أكثر انتظاما وبدأت الصحافة في نشر الشبكة البرمجية للتلفزيون التونسي، وتم الافتتاح الرسمي له في 31 مايو 1966 تحت تسمية (RTT)[3].

وظلت هيئة الإذاعة والتليفزيون التونسي تنظم القطاع السمعي البصري حتى انقسمت إلى مؤسستين منفصلتين في نوفمبر2006، مؤسسة التلفزة التونسية، ومؤسسة الإذاعة التونسية، حيث قامت مؤسسة التلفزة بإدارة قناتين (قناة تونس7) و(قناة تونس 21) التي

[1] - Morgan Corriou, "Radio And Society In Tunisia During World War II", In. Heike Iebau& Others (eds), **The World in World Wars, Experiences, Perceptions and Perspectives from Africa and Asia,** (Leiden: Brill Academic Pub, 2010) P 369.

[2]– روكسان فارمان فارماين(وآخرون)، **الإعلام في مراحل الانتقال السياسي: الحالة التونسية نموذجًا** (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2015) ص 15.

[3]– التلفزيون التونس، **تاريخ التلفزة التونسية** ، في: http://www.watania1.tn/

حلَّت محل قناة (RTT)، بينما قامت مؤسسة الإذاعة التونسية بإدارة أربع إذاعات وطنية (الإذاعة التونسية وإذاعة تونس الدولية وإذاعة الشباب والإذاعة الثقافية) كما كان النظام يتحكم أيضا في خمس إذاعات محلية (إذاعة المنستير، وإذاعة صفاقص، وإذاعة الكاف، وإذاعة قفصة، وإذاعة تطاوين)[1]، وقبل ذلك في عام 2003 سمحت الحكومة للقطاع الخاص بتأسيس محطات الإذاعة والتليفزيون، فقد تم إطلاق ثلاث قنوات تلفزيونية خاصة وهي قناة حنبعلTV عام 2005 (عن طريق العربي نصرة الذي كان ابنه قد تزوج من عائلة بن علي)، وقناة نسمة عام 2009 وكانت مملوكة لمجموعة من رجال الأعمال المقربين من النظام، بالإضافة لقناة نسمة الأوروبية، كما تأسست أيضًا خمس محطات إذاعية FM جديدة[2]، وقد جاء السماح للقطاع الخاص بإطلاق محطات للإذاعة والتليفزيون ردا عل الانتقادات السلبية في الخارج حول حرية الإعلام؛ في الوقت الذي كانت تونس تستعد لاستضافة مؤتمر القمة العالمي لمجتمع المعلومات والتي كنت مقررة وقتها عام 2005[3]، ولكن السماح للقطاع الخاص بالعمل في مجال الإعلام لم تكن خطوة في اتجاه تحرير وسائل الإعلام السمعية والبصرية، لما تتضمنه من شروط بشأن الملكية، حيث كانت التراخيص تُمنح رسميا عن طريق وزارة الإعلام؛ حصريا لأفراد عائلة الرئيس أو المقرَّبين منها[4]، فعلى سبيل المثال في عام 2010 أسس صهر الرئيس بلحسن الطرابلسي إذاعة (موزاييك FM) وأطلقت سيرين ابنة الرئيس بن علي إذاعة (شمس FM)، وأنشأ كذلك صهره صخر الماطري محطة دينية (الزيتونة FM) عام 2007، وأنشأ نجل الطبيب الشخصي لبن علي مراد قديش إذاعة (إكسبراس FM)، كما أنشأ أصحاب قناة نسمة إذاعة (جوهرة FM) عام 2005[5].

[1] - Moez Chakchouk (et al), "From revolution to reform: recommendations for spectrum policy in transitional Tunisia", **Journal of Information Policy**, (Pennsylvania: Penn State University Press, No.3, 2013) PP. 578-579.
[2] - Steve Buckley (et al), **Assessment of Media Development in Tunisia,** (Paris: United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 2013) P.53.
[3] - Jean-François Julliard , **Tunisia: You have no rights here, but welcome to Tunisia**, (Paris: Reporters without Borders, June 2005) P.10.
[4] - Steve Buckley (et al), **Op.Cit.,** P.53.
[5] - Moez Chakchouk (et al), **Op.Cit.,** P. 581.

وفي مجال الصحافة فقد تم تنظيمها والسيطرة عليها من قبل الحكومة بواسطة القانونين الصحافي والجنائي، حيث كان قانون مجلة الصحافة للعام 1975 هو الذي ينظم بشكل أساسي عمل وسائل الإعلام المطبوعة والذي خضع إلى عدد من التعديلات في سنوات لاحقة لكن بدلا من إتاحة المزيد من الحرية، كانت تلك الإصلاحات تهدف إلى تعزيز السيطرة السياسية وبموجب قانون مجلة الصحافة فرضت عقوبات مادية على الصحفيين الذين يجرؤون على تجاوز الخطوط الحمراء للدولة[1]، فقد كانت المنشورات التابعة للحكومة تسيطر على الصحافة المكتوبة خصوصا بواسطة الصحف التي تملكها الدولة مثل "لابرس La presse"، أو"الصحافة" والجرائد الناطقة باسم الحزب الحاكم وهو التجمع الدستوري الديمقراطي مثل "لونوفو Le enouveau" و"الحرية" وكانت هذه الصحف تتمتع بدعم مالي من الدولة وشبكة توزيع تجعلها ذات أولوية تستفيد منها استفادة كبيرة أما صحف المعارضة على غرار صحيفتي" الموقف" و"مواطنون" فقد كانت مهمشة ولا تكاد ترى[2]، يشار أيضا إلى أنه في عهد بن علي كان تسمية المسؤولين على رأس وكالة تونس إفريقيا للأنباء ومؤسسة التلفزة والشركة الجديدة للطباعة والصحافة والنشر فتتم دائما على قاعدة الولاء وكان اختيار المسؤولين يرتكز أساسا كونهم أعضاء نشطين في حزب التجمع الدستوري الديمقراطي الحاكم، وموالين لبن علي وهم مسؤولون بصفة مباشرة أمام الحكومة، وكان بن علي يشرف بشكل شخصي على اختيار وتعيين مديرين ورؤساء التحرير وحتى بعض الصحفيين[3].

واتسم وضع وسائل الإعلام الخاصّة بهشاشة استقلاليتها، فقد ساندت الصحف الخاصّة أيضا، الاتجاه الحكومي مقابل السماح لها بدخول شبكة توزيع الصّحف وإعطائها جزءا من الموارد المالية التي كانت تراقبها سلطة مركزيّة تتمثل في الوكالة التونسية للاتّصال الخارجيّ، وكانت بعض صحُف المعارضة تمارس هامشا محدودا من الاستقلالية في

[1] - Fatima el-Issawi, **Tunisian Media in Transition**, (Washington D.C: Carnegie Endowment for International Peace, July 2012,) P.7.
[2] - Steve Buckley (et al), **Op.Cit.,** P.16.
[3] - Souha Yacoub, "Press Freedom in Tunisia The Post-Revolution Challenges", In. Elsebeth Frey, Mofizur Rhaman and Hamida El Bour (eds.), **Negotiating Journalism. Core Values and Cultural Diversities** (Stockholm: Nordic knowledge centre in the field of media and communication, 2017) P.114.

مستوى الخطّ التحريري، ومقابل ذلك لم تستفد هذه الصحف من الدعم الحكومي، وهي لا تكاد تُرى في نقاط بيع الصّحف وكانت خاضعة لنظام رقابة مسبّقة عادة ما تسبب في إيقاف نشرها أو تأخيره[1]، وقد كانت الرقابة المسبّقة آليّة في ظل نظام بن علي بالنسبة إلى جميع أصناف وسائل الإعلام، سواء كانت عمومية أو خاصّة باستثناء بعض صحف المعارضة، فكانت التعليمات والتوصيات تصدر مباشرة من قصر قرطاج أو من الوكالة التونسية للاتصال الخارجيّ أو من وزارة الاتّصال، ولم تكن الرقابة تشمل فقط المواضيع الحسّاسة مثل المحاكمات السياسيّة، بل إن مواضيع عديدة أخرى أقلّ حساسيّة ولا علاقة لها بالسياسة مثل الكوارث الطبيعية (الفيضانات والحرائق وحوادث القطارات) فكانت تعتبر أيضا مواضيع محظورة[2]، وفي الممارسة العملية أيضًا كان تحرير ونسخ الصحف مراقبا من قبل وزارة الداخلية قبل نشرها، وهي عملية للرقابة على المطبوعات، التي كان يدعمها الاستخدام واسع النطاق للرقابة الذاتية؛ وذلك لتجنُّب المزيد من الإجراءات الرقابية من جانب الدولة ضد المنشورات المخالفة[3].

أما في مجال شبكة المعلومات الدولية الانترنت فقد تم إدخال الشبكة للاستخدام العام في تونس عام 1996، ومع النطاق العريض أصبح متاحًا للجميع في عام 2003، ثم زاد استخدام الإنترنت بسرعة هائلة؛ حتى إنه في مارس 2010 تقدير عدد مستخدمي الإنترنت بـ 3.6 مليون مستخدم؛ أي ما يعادل 33.9 % من السكان، بالمقارنة مع 9.3 % فقط قبل أربع سنوات[4]، ورغم ذلك فقد واجه النظام هذا التوسع في استخدام الانترنت برقابة نشطة على مواقع الانترنت، والحرمان من الخدمة، وحظر عنوان الإنترنت URL (Uniform Resource Locator)، كما تعرض الصحفيون والمدوِّنون والنشطاء للتهديد والاعتقال والسجن[5].

وكانت الوكالة التونسيّة للإنترنت في عهد بن علي هي التي تراقب مواقع الإنترنت وتتحكّم فيها، لهذا لجأ بعض التونسيين إلى ما يعرف بالوكلاء (Proxies) لفك حظر

[1] - Steve Buckley (et al), **Op.Cit.,** P.31.
[2] - **Ibid**, P.45.
[3] – روكسان فارمان فارماين (وآخرون)، **م س ذ**، ص 31.
[4] - Steve Buckley (et al), **Op.Cit.,** P.53.
[5] - Jean-François Julliard, **Op.Cit.,** PP. 6-7

المواقع، وجاء في تقارير المنظّمات غير الحكوميّة الدوليّة ومنظّمات الدفاع عن حقوق الإنسان أنّ تونس كانت مرتّبة من بين الدّول الأكثر انغلاقا في مجال حرّيّة التعبير، وأنّ الرئيس بن علي يُعتبر من ألدّ أعداء الإنترنت[1]، وعقب اندلاع ثورة 2011 ولتهدئه المتظاهرين وعد بن علي في خطابه الأخير إلى الأمة في 12 يناير 2011 بإصلاحات واسعة النطاق؛ بما في ذلك إزالة القيود المفروضة على الإنترنت والتي كانت قد وصلت لمرحلة حجب الخدمة خلال الثورة[2].

ومن ثم يمكن القول كانت السلطة السياسية، قبل الثورة، ممثلة في نظام الاستبداد هي العدو الأساسي لحرية الصحافة والإعلام، حيث سعت بجميع الوسائل إلى قمع الحريات وعلى رأسها حرية الصحافة، وإلى تهميش قطاع الإعلام وإفساده ليتمكن من السيطرة عليه، وهو ما أدى إلى عزوف المواطن التونسي عن متابعة وسائل الإعلام المحلية لعدم ثقته فيها، والذهاب إلى متابعة القنوات الخارجية مثل قناتي فرنسا 24 وقناة الجزيرة، التي كان يراها الكثير من المشاهدين التونسيين أكثر مصداقية من التلفزيون التونسي الرسمي[3].

ثالثا: مرحلة ما بعد ثورة 2011

شهد الإعلام في تونس تغيرات جذرية منذ بدء ثورة عام 2011، إذ هو ابتعد عن المحتوى الذي كان في السابق ذا نسق واحد ومقيدا للغاية ويحاكي خط الدولة وأصبح يقدم الآن انتاجا متنوعا[4]، حيث يرى بعض الباحثين أن خط الإعلام التونسي بعد الثورة قد تغير، حيث تحول من إعلام حكومي إلى إعلام عمومي أي من وسيلة دعاية للنظام إلى وسيلة إعلام للرأي العام، كما تزايد عدد الصحف والقنوات التلفزيونية الجديدة بسرعة كبيرة وتزايد مساحة الحرية ونقد أجهزة الدولة[5]، فقد لوحظ أنه بعد سقوط بن علي سارعت

[1] - Joan Barata Mir, **Political and Media Transitions in Tunisia: A Snapshot of Media Policy and Regulatory Environment,** (California: Internews, August 2011) **P.**7.

[2] - Ouedraogo Adolphe, "Arab Spring and Social Media: the Social, Economic and Governance Issues Driving Revolutions: The Case of Tunisia", **MA Degree,** (Ottawa: University of Ottawa, Faculty of Social Sciences, August 2015) P.45.

[3] - Joan Barata Mir, **Op.Cit.,** P.2.

[4] - Fatima el-Issawi, **Op.Cit.,** P.1.

[5] - -Isabel Schäfer, **The Tunisian Transition: Torn Between Democratic Consolidation and Neo-**

وسائل الإعلام التقليدية (سواء أكانت عمومية أو خاصة، مكتوبة أو مسموعة أو مرئية) إلى الانضمام للرأي العام وإلى التعبير عن الإرادة الشعبية وهذا ما أدى إلى نسف معظم الخطوط الحمراء والمواضيع المحرمة وأصبح النفاذ إلى مواقع الإنترنت التي كانت محظورة في السابق ممكنا بصفة تدريجية وبالتوازي مع تفكيك منظومات المراقبة المسلطة على الإنترنت[1].

تم تحويل بعد الثورة التونسية اسم القناتين العموميتين قناة 7 وقناة 21، إلى الوطنية 1 والوطنية 2، بعد أن كانت وسيلتين للدعاية لنظام بن علي ومقيدتان بشكل صارخ بالعديد من الخطوط الحمراء التي وضعها نظامه، وانتشرت بعد الثورة البرامج الحوارية التلفزيونية – التي لم تقبلها أو توافق عليها سلطات بن علي– بالإضافة إلى نشرات الأخبار المسائية، التي كانت مخصصة لنشر أخبار نظام بن علي وكانت تجذب أقل من 20٪ من المشاهدين، بينما ارتفعت شعبيتها بشكل كبير ووصلت إلى 80٪ من السكان بعد الثورة، بالإضافة إلى ذلك انتشرت القنوات والصحف والمواقع الإلكترونية الجديدة، بما في ذلك القنوات ذات التوجه الإسلامي، حيث ظهرت فرصة للأخبار وتبادل الرأي وحريتها بلا حدود، بعد رحيل بن علي مباشرة، وتم إغلاق وزارة الإعلام والاتصالات، التي كانت مصدر الرقابة والسيطرة التحريرية الرسمية وإلغاء نظام مراقبة الإنترنت[2]، ومع نجاح الحراك الثوري في البلاد ألغيت وزارة الاتصال والوكالة التونسية للاتصال الخارجي، مع إلغاء مجلة الصحافة التي كانت قانونا قمعيا للصحافة التونسية، وتم إرساء لجنة فرعية للإعلام تابعة للهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة والانتقال الديمقراطي إلى أن تم إحداث الهيئة الوطنية لإصاح الإعلام والاتصال في 2 مارس 2011، وقد مثلت هذه الخطوة بداية مرحلة إعلامية جديدة فرضها المسار الديمقراطي[3].

Conservatism in an Insecure Regional ContextEuropean, (Barcelona: Institute of the Mediterranean, August 2015) **P.**11.

[1] - Steve Buckley (et al), **Op.Cit.,** P.16.

[2] - Roxane Farmanfarmaian, "Media and the politics of the sacral: freedom of expression in Tunisia after the Arab Uprisings", **Media, Culture & Society,** (California: SAGE Publishing,Vol.39, No.7, October 2017) P.1050.

[3] – عائشة غربي، الإعلام العمومي والانتقال الديمقراطي: التلفزيون التونسي (دراسة حالة)، **ورقة بحثية مقدمة لمعهد الجزيرة للإعلام،**

وانتقلت بعد الثورة مقتنيات وسائل الإعلام العائدة لعائلة بن علي، إلى وزارة المالية التي اهتمت فيما بعد بإدارتها وخطها التحريري؛ وكان الجزء الأكبر من هذه المقتنيات يحتل المباني الحديثة الراقية في الأحياء باهظة الثمن، حيث خُصّص لها طاقم كبير من الموظفين وبنفقات مالية كبيرة بعد أن فقدت الحماية التي كانت توفّرها لها شركات بن علي والقطاعات التي كانت تنتمي إليها بموجب الضوابط التنظيمية، بدأت هذه الشركات تعاني من نزيف في التمويل، الأمر الذي خلق مأزقًا للحكومة التي لم تكن تمتلك قدرة بيروقراطية كافية لتحسين أدائها[1].

كذلك قد تأسست قنوات وإذاعات من مختلف التوجهات السياسية بعد الانفتاح الإعلامي بلغ عددها 39 قناة تلفزيونية وأكثر من 50 إذاعة، إلا أن المشهد التلفزيوني حاليا لا يحتوي إلا على 15 قناة تلفزيونية بين الخاصة والعمومية نتيجة إغلاق العديد من القنوات لأسباب مالية[2]، أما عدد الصحف المطبوعة والمجلات فبلغت مائتي مطبوعة تتنوع أوقات صدورها ما بين يومية وأسبوعية ودورية وعلى صعيد المواقع الإلكترونية فهي كذلك زادت بشكل كبير وأصبحت بالمئات وإلى جانب هذا الكم الكبير من الوسائل الإعلامية أيضا تتمتع بحرية أوسع دون قيود خانقة[3].

وقد اتفق الكثير من الباحثين أن وسائل التواصل الاجتماعي لعبت دورًا مهمًا في تونس لدرجة أن بعضهم قال إن الثورة لم تكن لتحدث لولا هذا المستوى العالي من الوصول بين الثوار عبر تلك الوسائل، حيث كانا موقعا "فيسبوك وتويتر" حاسمين في السرعة التي انتشرت بها الاحتجاجات في جميع أنحاء البلاد، خاصة موقع فيسبوك الذي كان مؤثرًا بشكل كبير في العملية الثورية، مما دفع الكثيرين إلى الإشارة للأحداث في تونس على أنها ثورة فيسبوك الأولى[4]، ورغم تلك الأهمية التي أشار إليها بعض الباحثين هناك

(الدوحة: معهد الجزيرة للإعلام، 2019) ص 13.

[1]– روكسان فارمان فارماين (وآخرون)، **م س ذ**، ص ص 148–149.

[2]- 3 Souha Yacoub, **Op.Cit.,** P. 11

[3]– عبد الرحمان يوسف سلامة، "التجربة التونسية في التحول الديمقراطي بعد ثورة كانون الأول 2010"، **رسالة ماجستير**، (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 2016) ص160.

[4] - Peter J.Schraeder, "Tunisia's jasmine revolution, international intervention, and popular sovereignty", **The Whitehead Journal of Diplomacy and International Relations,** (New Jersey: Seton Hall

من يقول إنه لا ينبغي المبالغة في الدور الذي لعبته وسائل التواصل الاجتماعي في الربيع العربي التونسي، لأن هناك شريحة كبيرة من المواطنين الذين شاركوا في الثورة لم يكونو من مستخدمي وسائل التواصل، خاصة الذين يعيشون في المقاطعات الريفية والضواحي الفقيرة التي لم يكن بإمكانها الوصول للإنترنت[1].

وبعد الثورة، ورغم أن الطبقة السياسية، بمختلف توجهاتها كانت أكبر مستفيد من حرية الصحافة للوصول إلى الجمهور العريض وطرح أفكارها واستقطاب أكبر عدد من المناصرين، إلا أن ثقافة الهيمنة على الإعلام وعدم قبول النقد تواصلت، وسجلت المنظمات المدافعة عن الصحفيين خلال السنوات التي تلت الثورة اعتداءات من سياسيين من مختلف الاتجاهات على الصحفيين بسبب تناول آرائهم بالنقد كما سعى رجال المال بدورهم إلى السيطرة على الإعلام، عبر رشوة الصحفيين وإغداق المال على أصحاب المؤسسات الإعلامية[2].

لكن في النهاية فإن المكسب الأساسي من الثورة التونسية، باجماع المراقبين للشأن العام، هو حرية التعبير بشكل عام وحرية الصحافة بشكل خاص، وقد فهمت النخبة التونسية مبكرا أن حرية التعبير إن لم تحمها مؤسسات قوية ودائمة فإنها ستتراجع مع الوقت أو ستنقلب إلى فوضى في أحسن الأحوال، وبناء على ذلك فقد تم تضمين حرية التعبير والإبداع في الدستور فضلا عن إنشاء الهيئة المستقلة للإعلام السمعي البصري، وهي الهيكل العمومي الذي أنيطت بعهدته مهمّة تعديل مؤسسات الإعلام السمعي البصري ومنح التراخيص ومعاقبة المخالفين[3].

University, Vol.13, No.1, 2012) P.78.

[1] - Ouedraogo Adolphe, **Op.Cit.,** P. 44.

[2] - أحلام بلحاج (وآخرون)، **تونس: الانتقال الديمقراطي العسير**، (القاهرة: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2017) 201.

[3] - Monica Marks, Maissa Khattab, **Inside the transition bubble: expert assistance in Tunisia**, (Barcelona: Institute for Integrated Transitions, April 2013) PP.12-13.

المطلب الثاني

دور الإعلام في كشف الفساد ومكافحته

كانت وسائل الإعلام التونسية خلال فترتي حكم الرئيسين الأسبقين الحبيب بورقيبة وزين العابدين بن علي، أداة بيد السلطة حيث لعبت وسائل الإعلام، دورا أساسيا في زيادة سيطرة النظام على الدولة والدعاية له وفي دفع ما كان ينسب له أو لمن كانوا قريبين منه من فساد، وهنا كان الإعلام الورقي في مرحلة أولى والإعلام السمعي البصري في مرحلة ثانية بيئة جاذبة للاستثمار بالنسبة إلى المقرّبين من النظام حيث كانوا يتمتّعون بعديد الامتيازات التي لم تكن متاحة لغيرهم من الراغبين في الاستثمار من خارج دائرة النظام الضيقة.

وإثر الثورة التونسية عام 2011، شهد الإعلام في تونس تغييرات جذريّة، حيث غاب المحتوى الذي كان في السابق على نسق واحد ومقَّيدا للغاية ويحاكي خط الدولة، وأصبح يقدم إنتاجاً متنّوعاً و ظهرت أنواع مختلفة من وسائل الإعلام الجديدة، بينها الإعلام الرقمي من مواقع إخبارية إلى المواقع الإلكترونية للإعلام التقليدي بجميع قطاعاته المرئية والمسموعة والمكتوبة والتي تمتعت بالحرية التي أقرها الدستور التونسي الذي صدر عام 2014، وهو ما انعكس بشكل إيجابي في التفاعل مع قضايا الفساد والمفسدين، من خلال نشر قضايا الفساد التي تورطت فيها جهات نافذة في الحكم خلال فترة النظام السائد وعلى رأسها عائلة الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي ورجال أعماله، ورغم هذه الحرية في تناول قضايا الفساد فان بعض الوسائل خاصة الحكومية لم تتخلص من عباءة النظام القديم، حيث كان هناك قاسم مشترك جمعهم وهو الخوف من نشر بعض الحقائق المتعلقة بالفساد واللجوء إلى غض الطرف عنها.

أولا: الفساد في تونس

يُعد الفساد من القوى المزعزعة للاستقرار في تونس كغيرها من الدول خاصة دول العالم الثالث، حيث تُلقي بظلالها على كل مستويات الاقتصاد والأمن والنظام السياسي، فقد كان الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي يحتكر هو وأركان حكمه عملية الفساد ما دفع الشعب للثورة عليه عام 2011، ورغم أن السلطات التونسية تحركت لمكافحة الفساد

عقب سقوط نظام بن على عبر تشكيل الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، فقد استمر الفساد في البلاد على مستويات مختلفة.

1- الفساد قبل ثورة 2011

تكرَّس الفساد في تونس قبل الثورة في عدة صور من المعاملات غير المشروعة على غرار اعتماد الرشوة والمحسوبية في مجال عقد الصفقات العمومية، وإسداء الخدمات، وإسناد التراخيص، والتمكين من شتى أنواع المنافع في كل المؤسسات، بما في ذلك أجهزة الدولة للموالين للنظام الحاكم، وقد شكَّلت جماعات الفساد لوبيات ضغط سياسي تدخلت في اختصاصات المسؤولين داخل الدولة[1]، حيث تفشى الفساد على امتداد 23 عاما من سوء الحكم في عهد الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي وحزبه التجمع الدستوري الديمقراطي، فالرئيس وزوجته ليلى الطرابلسي استغلا السلطة لإثرائهما الشخصي وإثراء أسرتيهما وأصدقائهما[2].

وباتت الأسرتان الممتدتان للرئيس وزوجته، في مرحلة من المراحل، تسيطران على أكثر من نصف الشركات في الدولة عبر شبكة عرفت على نطاق واسع في تونس بإسم "المافيا"[3]، فرغم أن درجة من الفساد موجودة في كل دولة، إلا أنه في عهد بن علي تمركز للغاية إلى حد أن الحلقة الداخلية للنظام، خاصة السيدة الأولى ليلى الطرابلسي وعائلتها، حيث طفقت شهرتها السيئة الآفاق في كل أنحاء العالم[4]، فليلى الطرابلسي وأخواتها وإخوتها العشر، كانوا يملكون مصالح مُهيمنة في العديد من الشركات التونسية، بما في ذلك الطائرات، ووكالات السيارات، وخدمات الإنترنت، ومحطات التلفزيون والإذاعة، والمحال الكبرى[5].

---

[1]– بنعيسى الدمني، تحقيق المصالحة والحرب على الفساد: معادلة تونس الصعبة، **سلسلة تقارير**، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، مايو 2019) ص ص 2–3 .

[2] - Muriel Mirak-Weissbach, **Madmen at the Helm: Pathology and Politics in the Arab Spring,** (London: Ithaca Press, May 2012) P 75.

[3] - **Idem.,.**

[4] - Sarah Chayes, **Thieves of state: why corruption threatens global security**, (New York: W.W. Norton Company, 2015) P.91.

[5]- Sarah Yerkes and Marwan Muasher, **Tunisia's Corruption Contagion: A Transition at Risk,** (Washington D.C: Carnegie Endowment for International Peace, October 2017) P.4.

ولهذا أصبحت عائلة الرئيس مكروهةً من أغلبية التونسيين بسبب استغلالها لموارد الدولة، حيث أكدت ذلك برقية للسفير الأمريكي في تونس روبرت جوديك عام 2009 إلى وزارة الخارجية الأمريكية[1]، وقد كشفت اللجنة الوطنية لتقصي الحقائق حول الرشوة والفساد، في تحقيقتها بعد الثورة عن وجود مليارات الدولارات المتخفية في شركات وهمية ومصارف أجنبية تعود إلى أفراد عائلة الطرابلسي والمقربّين منها[2].

وكان الفساد ينتشر في معظم القطاعات منها مجال الإعلام، فعلى سبيل المثال كانت شركة "كاكتوس" المملوكة لسامي الفهري وبلحسن الطرابلسي صهر الرئيس الأسبق تستغل المرفق العمومي المتمثل في تجهيزات مؤسسة التلفزيون التونسي من أجل إنتاج برامج وبيعها لاحقا له مقابل مبالغ مالية تجاوزت السقف الزمني الذي يضبطه القانون بكثير دون أن تطاله يد القانون[3].

ومع كل هذه الأشكال من الفساد فقد كانت الزبائنية والفساد البسيط من أكثر الأمور المباشرة التي كانت تشغل التونسيين، فالموظفون البيروقراطيون كانوا يطلبون الرشاوى لقاء تقديم الخدمات البسيطة كإصدار شهادات الميلاد وتصديق الوثائق[4].

2- الفساد بعد ثورة 2011

لم يمضِ وقت طويل بعد الثورة حتى تحركت السلطات التونسية لمكافحة الفساد، فشكّلت الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، ومن بين ممارسات الفساد التي كشفت عنها الهيئة منح تراخيص وعقود عامة لأطراف لها حظوة، وخصخصة شركات حكومية ببيعها لشركات لم تكن قد تقدمت بأفضل العروض تنافسية، والتصنيف غير الصحيح لممتلكات عامة

[1] - Sudarsan Raghavan, 'In Tunisia, Luxurious Lifestyles of a Corrupt Government', **Washington Post**, 28 January 2011, At: https://www.washingtonpost.com/world/in-tunisia-luxurious-lifestyles-of-a-corrupt-government/2011/01/28/ABFEG5Q_story.html

[2] - Sarah Yerkes and Marwan Muasher, **Op.Cit.,** PP.4-5.

[3] – وليد الماجري، "تونس: إعلام فاسد أم إعلام يُحارب الفساد؟"، **مجلة المفكرة القانونية– تونس**، (بيروت: منظمة المفكرة القانونية، ع 15، سبتمبر 2019) ص 24.

[4] - Lin Noueihed, Alex Warren (eds), **The Battle for the Arab Spring: Revolution, Counter-Revolution and the Making of a New Era,** (**Connecticut State:** Yale University Press**,** May 2012) P.66.

على أنها خاصة[1]، وفي يونيو عام 2011، حكمت محكمة تونسية على الرئيس زين العابدين بن علي وزوجته غيابيًا بالسجن 35 عامًا بجريمة إساءة استعمال المال العام والاختلاس[2]، وعلى الرغم من النجاح النسبي في المرحلة الانتقالية بعد الثورة في مواجهة الفساد، خاصة مع إنشاء هيئة الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد بعد سقوط نظام بن علي، فقد استمر الفساد في تونس، حيث كشفت هذه الهيئة عددًا من ممارسات الفساد[3]، وقد أكدت مؤشرات خارجية، أن المستوى العام للفساد في تونس شهد ارتفاعاً بعد الثورة عن قبلها، ففي عام 2010 وضع مؤشر مدركات الفساد لمنظمة الشفافية الدولية تونس في المرتبة 66 من بين 178 دولة (الرقم 1 هو الأقل فسادا)[4]، وفي عام 2021، تراجعت تونس في مؤشر مدركات الفساد إلى المرتبة 70 من أصل 180 دولة[5]، وتشير المؤشرات الداخلية إلى منحى مماثل، ففي دراسة لمؤسسة كارنيجي للسلام الدولي أُجريت مع 391 تونسياً بين يوليو و أغسطس 2017، قال 76% من المُستطلعة آراؤهم إنه بات هناك فساد في تونس اليوم أكثر من عهد بن علي[6]، ونشر التقرير السنوي للهيئة الوطنية التونسية لمكافحة الفساد لعام 2018 (أخر تقرير صادر عن الهيئة) استطلاع للرأي كشف أن الفساد يأتي في المرتبة الثالثة من بين أهم المشاكل التي يرغب التونسيون في أن تعالجها الحكومة، ونتج هذا الوعي بخطر الفساد عن تزايد الشعور بعدم الثقة في مؤسسات الدولة، ذلك أن أكثر من النصف من الذين شملهم الاستطلاع يعتبرون أن الأداء الحكومي سيء جدا أو سيء في محاربة الفساد، وارتفعت نسبة التونسيين الذين يعتبرون أن الفساد قد زاد كثيرا ليصل إلى 55% سنة 2018 مقارنة

[1] - Alissa Amico, Steffen Hertog (eds), **State-owned enterprises in the Middle East and North Africa: engines of development and competitiveness?,** (Paris: Organisation for Economic Co-operation and Development, October 2013) P.86.

[2] - David D Kirkpatrick, "Ex-Tunisian President Found Guilty, in Absentia", **New York Times**, 20 June 2011,At. http://www.nytimes.com/2011/06/21/world/middleeast/21tunisia.html

[3] - Alissa Amico, Steffen Hertog (eds), **Op.Cit.,**P 87.

[4] - Transparency International, corruption perceptions index 2010, At: https://www.transparency.org/en/cpi/2010

[5] - Transparency International, corruption perceptions index 2021, At: https://www.transparency.org/en/cpi/2021

[6] - Sarah Yerkes and Marwan Muasher, **Op.Cit.,**P.5.

42% سنة 2015 في حين تقاربت نسبة إدراك التونسيين لوجود انخفاض ملحوظ لمستوى الفساد المالي والإداري بين 3% و4% ما بين عامي 2015 و2018[1].

وخلال سعى الدولة للكشف عن الفساد ومواجهته قال الرئيس التونسي قيس سعيّد إن 460 شخصا سرقوا 13,5 مليار دينار (4,8 مليار دولار) من المال العام، مؤكدا على ضرورة استردادها من الفاسدين، وأضاف أن أموال الشعب يجب أن تعود إلى الشعب، داعا رجال الأعمال إلى إرجاع الأموال المنهوبة مقابل إجراء مصالحات معهم[2]، كما قال شوقي الطبيب رئيس الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد في تونس خلال مقابلة مع صحيفة العربي الجديد، إن بلاده تخسر سنوياً 3 مليارات دولار بسبب الفساد، وأضاف أن الفساد في تونس متغلغل في دواليب الدولة ويحتاج إلى مجهود سنوات طويلة للحد منه[3].

ويأتي استمرار الفساد رغم إقرار الدستور التونسي، تأسيس هيئة مستقلة لمكافحة الفساد، تحت مسمى هيئة الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد، والتي تعمل بمثابة جهاز لمكافحة الفساد في البلاد، والتحقيق في مزاعم الفساد العام وإحالة نتائجها إلى السلطات[4]، وقد نصت الاستراتيجية الوطنية للحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد على تشجيع المشاركة المجتمعية الفاعلة ودور المواطن الأساسي في جهود الدولة الرامية إلى إرساء الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد، وذلك من خلال نشر الوعي بين الناس فيما يتعلق بوجود الفساد وأسبابه وجسامته وما يمثله من خطر، وأن يعرف المواطنون ما يضمنه لهم الدستور الجديد من حقوق وحريات وبمن يمكنهم الاتصال في صورة الاعتداء على حقوقهم وحرياتهم[5].

---

[1]- الجمهورية التونسية، الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، **التقرير السنوي لعام 2018**، د.ت، ص 49.

[2]– نور الدين مباركي، قيس سعيّد يسعى لاسترداد نحو 4,8 مليار دولار من "الأموال المنهوبة"، **فرانس24**، 29 يوليو 2021، في:https://www.france24.com/ar

[3]– إيمان الحامدي، شوقي الطبيب: خسائر تونس من الفساد 3 مليارات دولار سنوياً، **صحيفة العربي الجديد**، 10 فبراير 2020، في: https://www.alaraby.co.uk

[4]– جمهورية تونس، **دستور الجمهورية التونسية**، الصادر في 26 يناير 2014، ص 23.

[5]– الجمهورية التونسية، الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، **الاستراتيجية الوطنية للحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد 2016–2020**، ديسمبر 2016، ص 21.

ثانيا: الإعلام ومكافحة الفساد قبل الثورة

لم تتعامل وسائل الإعلام التونسية مع القضايا السياسية والاقتصادية السائدة في البلاد قبل الثورة إلا بما يخدم مصلحة النظام السياسي، فمع أن هذه المرحلة اتسمت باستشراء الفساد المنظم الذي تم أثناء منح أقارب بن علي وشركائهم الصفقات التجارية المربحة والاستحواذ على الأراضي والاستغلال غير المسبق للمؤسسات الحكومية للانتفاع بالإعفاءات الضريبية أو استخدامها كأدوات للإكراه والابتزاز، وهو ما انعكس بالسلب على الدولة وتآكلت بشدة قدرتها على تحقيق النمو دون التنمية والديمقراطية[1]، إلا أن وسائل الإعلام لم تتفاعل مع هذه القضايا بشكل إيجابي، ويعود ذلك إلى التضييق على الإعلاميين من خلال الضوابط المفروضة على كل من وسائل الإعلام المستقلة وتلك التي تملكها الدولة على حد سواء، حيث كانت صناعة الإعلام معروفة بخضوعها إلى إشراف ونفوذ عدد من الهيئات الحكومية التي تحتكر جميع مراحل الإنتاج الإعلامي[2]، فقد وصل حد التضييق على الإعلام إلى أن الرخصة التي تمنح لفتح محطات الإذاعة والتليفزيون تتم بموجب اتفاقية بين الدولة وصاحب المحطة، يلتزم فيها مدير القناة بعدم إنتاج أو إنتاج مشترك أو بث برامج إخبارية ذات طابع سياسي مهما كان شكلها أو طبيعتها ومهما كان مصدرها، دون موافقة كتابية من الدولة التونسية، ويلتزم المدير أيضا ببث تصريحات وخطب رئيس الجمهورية كاملة بلا انقطاع كما يتم بثها في القنوات العمومية [3].

ومن ثم فإن تضييق النظام التونسي خلال فترة بن علي، على وسائل الإعلام وحجب المعلومة كان من شأنه أن جعل هذه الوسائل التي هي في الأساس وسائل للرقابة، ورصد الفساد، ونشر الشفافية لا تتعرض إلى أنواع الفساد التي كانت منتشرة في تونس، فعلى سبيل المثال في الوقت الذي وقعت فيه حادثة انتحار محمد البوعزيزي حرقا في ديسمبر 2010 لم تتجرأ أية وسيلة إعلام تونسية على نقد ممارسات النظام الذي دفعت

[1] - Paul Tiyambe Zeleza, "The African struggle continues: The awakening of North Africa", **Canadian Journal of African Studies**, (Ottawa: Canadian Association of African Studies, Vol.46, No.1, 2012) P. 131.
[2] - Fatima el-Issawi, **Op.Cit.,** P.3.
[3] - Steve Buckley (et al), **Op.Cit.,** P.47.

البوعزيزي للانتحار، كما كانت صحف المعارضة مهمشة[1]، أما مواقع الإنترنت الناقدة فكانت توقف آليا بواسطة منظومة مركزية مهمتها تنقية الإنترنت، كما ذهبت الشرطة إلى اعتقال مختلف نشطاء الإنترنت الذين ازعجت مدوناتهم وصفحاتهم على الإنترنت النظام الحاكم خاصة عند نشر ملفات الفساد التي كشفت عنها موقع ويكيليكس[2].

لقد عاش الإعلام التونسي عقدين من الزمن، تحت نظام بن علي أسوأ مراحله، وظل بجميع أصنافه يخضع للسيطرة السياسية والتوجيه الحكومي مع غياب متعمد لأي قوانين أو كيان مستقل يحمي حرية الإعلام وتعدديته، وقد كانت وسائل الإعلام الأكثر تأثيرا، وهي الإذاعات والتلفزيونات، إما مملوكة للدولة أو لأصهار الرئيس وأفراد عائلته، وهي تخضع بالكامل إلى التوجيه والوصاية من قصر الرئاسة مباشرة، أما الصحف، فكانت تحت سيطرة الحاجة إلى الدعم الحكومي، حيث تم حجب الدعم والإعلانات عن أي صحيفة تحاول الخروج عن الخط المرسوم من الحكومة، كما ساهمت ترسانة من القوانين في إحكام السيطرة على وسائل الإعلام وعلى الصحفيين[3].

ورغم كل ذلك فقد كان الإعلاميون المحليون الذين كانوا يعملون لصالح وسائل الإعلام الدولية وحدهم تمتعوا بقدر من حرية التعبير، مع أنهم ظلوا حذرين إزاء تجاوز الخطوط الحمراء التي وضعها النظام، وكانت هذه الحرية مقيدة أكثر عندما يتعلق الأمر بمقاربة الشؤون الداخلية لعائلة بن علي والموضوعات المتعلقة بالفساد والتفاوت في الثروة والفقر، إذ لم تتعرض وسائل الإعلام لقضايا الفساد السياسي والاقتصادي أثناء فترة حكم الرئيس المخلوع بن علي، فإن ذلك يبرره تعامل السلطة مع مختلف وسائل الإعلام والمتمثلة في التضييق وشدة الخناق على كل ماله علاقة بحرية التعبير بشتى الوسائل إما بشراء الذمم أو بالإكراه[4].

---

[1] - Rikke Haugbolle, Francesco Cavatorta, "Media reform, Authoritarian resilience and societal responses in Tunisia", **The Journal of North African Studies,** (London: Taylor& Francis,Vol.17, No.1, 2012) P.185

[2] - Joan Barata Mir, **Op.Cit.,** P.9.

[3] – أحلام بلحاج (وآخرون)، **م س ذ**، ص 189.

[4] - Fatima el-Issawi, **Op.Cit.,** P.5.

ثالثا: الإعلام ومكافحة الفساد بعد الثورة

أكدت الاستراتيجية الوطنية للحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد (2016-2020) التي أصدرتها الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد على دور الإعلام في صياغة وتنفيذ السياسات المتعلقة بالحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد، عبر إشراك الصحفيين الاستقصائيين في مجال مكافحة الفساد، وتدعيم تمثيل الإعلام في الهياكل والآليات والأنظمة ذات الصلة بالحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد، بالإضافة إلى الإسهام في مراقبة ومتابعة وتقييم وتدقيق السياسات والبرامج المتعلقة بالحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد[1]، كما نصت الاستراتيجية على ضمان النفاذ إلى المعلومات لكافة الأشخاص خاصة في بعض المجالات، من خلال تأمين تنفيذ القانون الأساسي عدد 22 لسنة 2016 المتعلق بالحق في النفاذ إلى المعلومة، عبر إجازة وتسهيل الوصول إلى الوثائق والمعلومات المتعلقة بالإجراءات والملفات القضائية، وتيسير النفاذ إلى المعلومة بالنسبة لمنظمات المجتمع المدني والإعلام من خلال اعتماد قنوات اتصال واضحة[2]، وطالبت الاستراتيجية وسائل الإعلام بالتحلي بالمسؤولية المهنية والحرفية التامة بعيدا عن تصفية الحسابات الشخصية أو السياسية أو الإيديولوجية، فلا يجوز أن تتحول الصحافة الاستقصائية إلى أداة للتشهير، بل يجب أن توظف لكشف السلوكات غير السوية والإبلاغ عن الفساد[3].

وتمثل التجربة التونسية نموذجا واقعيا لدور الإعلام في مكافحة الفساد خاصة بعد الثورة حيث أدى وظيفة بارزة في متابعة قضاياه، إذ قام الإعلام بأنواعه السمعي والبصري والمكتوب والوسائط الإعلامية بأدوار هامة تجسدت في التفاعل مع قضايا الفساد والمفسدين ضمن إطار البحث عن آليات مساندة ومساعدة على مكافحة الفساد وتوطين الحكم الراشد المحلي، مما جعل المؤسسات الإعلامية تمثل منصات قوية في التشهير والإبلاغ عن كل ما يمثل رمزا للفساد[4].

---

[1]- الجمهورية التونسية، الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، **م س ذ**، ص ص 21-22.

[2]- **المرجع السابق**، ص 24.

[3]- **المرجع السابق**، ص 26.

[4]- بلقاسم مسروق، دور الإعلام في مكافحة الفساد، تونس نموذجا (2001- 2017)، **رسالة ماجستير**، (الجزائر: جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2017) ص 69.

فبعد سقوط نظام بن علي أطلق العنان للإعلام التونسي لنشر قضايا الفساد التي تورطت فيها جهات نافذة في الحكم خلال فترة النظام البائد وعلى رأسها عائلة الرئيس بن علي، إذ لم تخل نشرة أخبار أو صحيفة من التعرض لمثل هذه القضايا، فعلى سبيل المثال نقلت الصحف التونسية بشكل واسع تصريحات للمدعي العام الصادق العماري لوكالة الأنباء التونسية حول وجود 1199 قضية فساد منشورة أمام المحاكم التونسية، وأن حوالي 624 قضية من جملة تلك القضايا تهم عائلة الرئيس بن علي وأصهاره[1].

فتم تسليط الضوء من جانب مختلف وسائل الإعلام التونسية أثناء الفترة الانتقالية وما بعدها على قضايا الفساد بمختلف أنواعها التي تورطت فيها عائلة الرئيس الأسبق بن علي وبعض الجهات والشخصيات النافذة خلال فترة توليه الحكم، وقد تجلت مظاهر حرية التعبير في مواجهة الفساد خلال المرحلة الانتقالية في العديد من المواقف إلى حد أن طالب بعض التونسيين في نقل بث مباشر لقضايا الفساد والحكم على كبار المسئولين في الدولة[2].

ورغم الحرية التي تمتعت بها وسائل الإعلام التونسية عقب ثورة 2011 فإن بعض وسائل خاصة الحكومية لم تتخلص من عباءة النظام القديم، حيث كان هناك قاسم مشترك جمعهم وهو الخوف من نشر بعض الحقائق المتعلقة بالفساد واللجوء إلى غض الطرف عنها تفاديا للمشاكل والعواقب الوخيمة جراء نشر الحقائق الخاصة بالفساد، حيث تم إخفاء تحقيقات تتعلق بقضايا فساد كبرى[3]، ومنها تحقيق يتعلق برئيس الحكومة السابق يوسف الشاهد في القضايا المتعلقة بشبهة فساد خلال صفقات حكومية، حيث أعلنت وزارة الفلاحة في ذلك الوقت عن مناقصة لرقمنة عملية الاتصال بأسطول الصيد البحري، وأشارت بعض المصادر إلى أن تلك المناقصة رست على شركة تونسية التي

---

[1]– صحيفة الجمهورية التونسية: 1199 قضية فساد أمام المحاكم منها حوالى 624 قضية تهم عائلة الرئيس المخلوع وأصهاره، **صحيفة الجمهورية**، 7 مارس 2014، في:
https://www.jomhouria.com/art5156_1199

[2]– عبد الرحمان يوسف سلامة، **م س ذ**، ص 160.

[3]– عزمي بشارة، **الثورة التونسية المجيدة، بنية الثورة وصيرورتها من خلال يومياتها**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، 2012) ص 140.

انطلقت في ربط الأسطول بالأقمار الصناعية في الأثناء برزت شركة منافسة وانطلقت هي الأخرى في انجاز المشروع المذكور دون مراعاة للمواصفات التي وضعتها وزارة الفلاحة[1].

كما أنه بعد الثورة نجح بعض رجال أعمال بن علي في التخفي ومواصلة أنشطتهم، فعلى سبيل المثال نجح رجل الأعمال سامي الفهري في التخفّي وراء مجموعة شركات إنتاج جديدة مملوكة لأقاربه وبعض معاونيه لمواصلة الإنتاج والبثّ على قناة الحوار التونسي، هذه القناة التي استضافت على مدى سنوات عددا من أصحاب الأعمال الذين تعلّقت بهم شبهات فساد، وبالرغم من إنتاجها لبرنامج متخصّص في الصحافة الاستقصائية بعنوان "ما لم يقل"، إلّا أنّ قناة الحوار التونسي تتجنب ذكر أي شخص متورّط بالفساد، بل كانت قناة الحوار التونسي أحد المنابر التي دافعت بشراسة على قانون المصالحة الاقتصادية، والذي كان اقترحه رئيس الجمهورية السابق الباجي قائد السبسي واعتبره طيف واسع من التونسيين مبادرة لتبييض الفاسدين ومساعدتهم على الإفلات من العقاب[2].

خاتمة

يمكن القول في النهاية إنه بعد دراسة دور الإعلام في مكافحة الفساد السياسي في تونس نجد أن الإعلام في تونس مر بعدة مراحل، لكن هناك مرحلتين بارزتين توضح خصائص وطبيعة الإعلام في تونس ودوره في مكافحة الفساد، وهما مرحلة ما قبل ثورة 2011 ومرحلة ما بعد الثورة، حيث اتسمت المرحلة الأولى بسيطرة الدولة بشكل كامل على القطاع الإعلامي المرئي والمسموع والمكتوب، فلا تبث محطات التلفزيون التابعة للدولة (قناة7 وقناة21) وغيرها من محطات الإذاعة والصحف سوى المعلومات المؤيدة

[1]– سناء الماجري، "سري للغاية، ملفات وتحقيقات ممنوعة من البث على القناة الوطنية"، **صحيفة الجمهورية التونسية، في:** https://www.jomhouria.com/art61844_

[2]– وليد الماجري، **م س ذ**، ص 24.

للسياسة الحكومية، صحيح أنه لا يمكن إغفال وجود بعض محطات التلفزيون والاذاعات الخاصة إلا أنها تعود جميعا إلى شخصيات مقربة من النظام الحاكم وتدور في فلكه وداعمه ومدافعة عن كل سياساته، وبالتالي لم يكن المشهد الإعلامي الذي سبق قيام الثورة بقطاعيه العام والخاص، سوى جزءًا من منظومة الدعاية المُلحقة بمنظومة الحكم أو المنبثقة عنه، حيث كان هذا المشهد الإعلامي، مجرد انعكاس لحالة التداخل بين السياسي والإعلامي والمالي التي كانت تسود البلاد وقتها، وكما أن إعلام المعارضة لم يكن له تأثير كبير في الرأي العام نظرا للتضييق الذي واجهه من قبل نظام الحكم الذي كان يتسم بالديكتاتورية، ومن ثم نجد أن وسائل الإعلام لم يكن لها دور خلال تلك المرحلة في مكافحة الفساد، بل كان الإعلام يلعب دورا سلبيا من خلال التغاضي عن إذاعة أو نشر أي شئ عن عمليات الفساد التي كان يقوم بها أفراد النظام الحاكم وتضليل الرأي العام والتحكم المطلق فيه من خلال تمجيد وتلميع صور عدد كبير من الفاسدين وفي مقدّمتهم أصهار بن علي وعائلته وحاشيته.

أما المرحلة الثانية التي تميز الإعلام التونسي فكانت بعد ثورة 2011، حيث شهدت هذه المرحلة انفجارا إعلاميا كبيرا في ظل حرية التعبير التي شهدتها هذه المرحلة، خاصة خلال الفترة الانتقالية عقب الثورة والتي كان من بين آلياتها المميزة هي رصد قضايا الفساد السياسي والاقتصادي، حيث ظهر أثر وسائل الاعلام السمعي البصري في تونس في مكافحة الفساد من خلال المتابعات الاخبارية التي عالجت بعض المواضيع المتعلقة بالفساد خاصة فساد النظام السابق، وتعددت وسائل الإعلام السمعي البصري والصحافة بين العمومية والخاصة التي عالجت قضايا الفساد، وذلك بعدما ساهمت الثورة في كسر احتكار أفراد من عائلة بن علي وأصهاره ومقربين من نظامه للمشهد الإعلامي إذ تعدّدت القنوات التلفزيونية وتنوّعت بعد إزالة القيود التي كانت تفرض على تراخيص الإصدار، لكن هذا الانفجار الإعلامي تميز بالانفتاح الذي وصل إلى حد الفوضى في ظل التجاذبات السياسية والأيديولوجية التي تميزت بها مرحلة ما بعد الثورة الأمر الذي قلل من أهميته، وشكك في مصداقيته بعض وسائله في رصد وكشف الفساد، وكان الأمر البارز هو تناول وسائل الإعلام الجديدة (الإلكترونية) أو الوسائط الإعلامية

التونسية قضايا الفساد في تونس، بجرأة أكبر من تلك التي تناولتها بها وسائل الإعلام التقليدية (السمعية والبصرية والصحف المكتوبة)، من خلال نشرها لمواضيع حساسة متعلقة بقضايا فساد.

وبعد التطرق لواقع التجربة الإعلامية في مكافحة الفساد في تونس يمكن استنتاج النقاط التالية لتعزيز دور الإعلام في مكافحة الفساد:

– ضرورة التأسيس لنظام ديمقراطي يكفل حرية التعبير ويتحرر من سيطرة المؤسسة الأمنية، مبني على حياد جهاز العدالة مما يحرر الإعلام من قيود المشاركة في مكافحة الفساد.

– توسيع مجالات الإشراف والتمويل للمؤسسات الإعلامية مما يكرس الاستقلالية الحقيقية عن ممارسة أي نفوذ يكبح دور الإعلام في مكافحة الفساد وكشف قضاياه.

– بالرغم من نجاح الدور الإعلامي في مكافحة الفساد في النموذج والتجربة التونسية كخيار تبنته معظم المؤسسات الإعلامية بعد الثورة 2011 إلا أن المؤسسة الإعلامية العمومية لم يظهر دورها بشكل واضح في مكافحة الفساد مما أثر على مستوى الدور الحقيقي للوسائل الإعلامية على اعتبار أن هذه الأخيرة تمتاز بالاستقرار و الخبرة والتمويل والعديد من الشروط التي تمكنها من قيادة مختلف وسائل الإعلام الأخرى نحو تبني مكافحة الفساد، مما نتج عنه إضعاف لتحالف مختلف المؤسسات والهيئات الإعلامية المتنوعة في هذا المجال.

قائمة المراجع

مراجع باللغة العربية

أولا: الوثائق

1- الجمهورية التونسية، الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، **الاستراتيجية الوطنية للحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد 2016-2020**، ديسمبر 2016.

2- ـــــــــــــــــــــ، الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، **التقرير السنوي لعام 2018**، د.ت

3- ـــــــــــــــــ، **دستور الجمهورية التونسية**، الصادر في 26 يناير 2014

ثانيا: الكتب

1- أحلام بلحاج (وآخرون)، **تونس: الانتقال الديمقراطي العسير**، (القاهرة: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2017)

2- روكسان فارمان فارماين(وآخرون)، **الإعلام في مراحل الانتقال السياسي: الحالة التونسية نموذجًا**، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2015)

3- عزمي بشارة، **الثورة التونسية المجيدة، بنية الثورة وصيرورتها من خلال يومياتها**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، 2012) .

4- فتحي حسين عامر، تاريخ الصحافة العربية (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2014)

ثالثا: المقالات

1- أنور الجندي، "دور الصحافة العربية في الفكر الحديث وتطورها بين الحربين : (1918 1939)"، **مجلة دعوة الحق**، (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ع 66، يناير 1964)

2- وليد الماجري، "تونس: إعلام فاسد أم إعلام يُحارب الفساد؟"، **مجلة المفكرة القانونية- تونس**، (بيروت: منظمة المفكرة القانونية، ع 15، سبتمبر 2019)

رابعا: التقارير

- بنعيسى الدمني، تحقيق المصالحة والحرب على الفساد: معادلة تونس الصعبة، **سلسلة تقارير**، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، مايو 2019)

خامسا: الأبحاث المنشورة وغير المنشورة

- عائشة غربي، الإعلام العمومي والانتقال الديمقراطي: التلفزيون التونسي (دراسة حالة)، **ورقة بحثية مقدمة لمعهد الجزيرة للإعلام**، (الدوحة: معهد الجزيرة للإعلام، 2019)

سادسا: الرسائل العلمية

1- بلقاسم مسروق، دور الإعلام في مكافحة الفساد، تونس نموذجا (2001-2017)، **رسالة ماجستير**، (الجزائر: جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2017)

2- عبد الرحمان يوسف سلامة، "التجربة التونسية في التحول الديمقراطي بعد ثورة كانون الأول 2010"، **رسالة**

ماجستير (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 2016)

سابعا: مصادر الانترنت

1- التلفزيون التونس، **تاريخ التلفزة التونسية**، في:
http://www.watania1.tn/

2- إيمان الحامدي، شوقي الطبيب، "خسائر تونس من الفساد 3 مليارات دولار سنوياً"، **صحيفة العربي الجديد**، 10 فبراير 2020، في:
https://www.alaraby.co.uk

3- سناء الماجري، "سري للغاية، ملفات وتحقيقات ممنوعة من البث على القناة الوطنية"، **صحيفة الجمهورية التونسية**، في:
https://www.jomhouria.com/art61844_

4- صحيفة الجمهورية التونسية: " 1199 قضية فساد أمام المحاكم منها حوالى 624 قضية تهم عائلة الرئيس المخلوع وأصهاره"، **صحيفة الجمهورية**، 7 مارس 2014، في:
https://www.jomhouria.com/art5156_119

5 - نور الدين مباركي، "قيس سعيّد يسعى لاسترداد نحو 4,8 مليار دولار من الأموال المنهوبة"، **فرانس24**، 29 يوليو 2021، في:
https://www.france24.com/ar

مراجع باللغة الأجنبية

I- Books

1- Amico, Alissa, Steffen Hertog, **State-owned enterprises in the Middle East and North Africa: engines of development and competitiveness?,** (Paris: Organization for Economic Co-operation and Development, October 2013)

2- Buckley, Steve (et al), **Assessment of Media Development in Tunisia** (Paris: United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 2013)

3- Chayes, Sarah, **Thieves of state: why corruption threatens global security**, (New York: W.W. Norton Company, 2015)

4- Frey, Elsebeth, Mofizur Rhaman, Hamida El Bour(eds.), **Negotiating Journalism. Core Values and Cultural Diversities** (Stockholm: Nordic knowledge centre in the field of media and communication, 2017)

5- Iebau, Heike (et al), **The World in World Wars, Experiences, Perceptions and Perspectives from Africa and Asia** (Leiden: Brill Academic Pub, 2010)

6- Mir, Joan Barata, **Political and Media Transitions in Tunisia: A Snapshot of Media**

Policy and Regulatory Environment, (California: Internews, August 2011)

7- Noueihed, Lin, Alex Warren , **The Battle for the Arab Spring: Revolution, Counter-**

Revolution and the Making of a New Era, (Connecticut State: Yale University

Press, May 2012)

8-Weissbach, Muriel Mirak, **Madmen at the Helm: Pathology and Politics in the Arab**

Spring, (London: Ithaca Press, May 2012)

II- Articles

1- Chakchouk, Moez (et al), "From revolution to reform: recommendations for spectrum

policy in transitional Tunisia", **Journal of Information Policy**, (Pennsylvania: Penn

State University Press, No.3, 2013)

2- Farmanfarmaian, Roxane, "Media and the politics of the sacral: freedom of expression

in Tunisia after the Arab Uprisings", **Media, Culture & Society,** (California: SAGE

Publishing,Vol.39, No.7, October 2017)

3- Haugbolle, Rikke, Francesco Cavatorta, "Media reform, Authoritarian resilience and

societal responses in Tunisia", **The Journal of North African Studies**, (London:

Taylor& Francis,Vol.17, No.1, 2012)

4- Schraeder, Peter J., "Tunisia's jasmine revolution, international intervention, and

popular sovereignty", **The Whitehead Journal of Diplomacy and International**

Relations, (New Jersey: Seton Hall University, Vol,13, No.1, 2012)

5- Zeleza, Paul Tiyambe, "The African struggle continues: The awakening of North

Africa", **Canadian Journal of African Studies**, (Ottawa: Canadian Association of

African Studies, Vol.46, No.1, 2012)

III - Papers

1- El-Issawi, Fatima, **Tunisian Media in Transition** , (Washington D.C: Carnegie

Endowment for International Peace, July 2012,)

2- Julliard, Jean-François, **Tunisia: You have no rights here, but welcome to Tunisia**,

(Paris: Reporters without Borders, June 2005)

3- Marks, Monica, Maissa Khattab, **Inside the transition bubble: expert assistance in**

Tunisia, (Barcelona: Institute for Integrated Transitions, April 2013)

4- Schäfer, Isabel, **The Tunisian Transition: Torn Between Democratic Consolidation**

and Neo-Conservatism in an Insecure Regional Context European, (Barcelona:

Institute of the Mediterranean, August 2015)

5- Yerkes, Sarah, Marwan Muasher, **Tunisia's Corruption Contagion: a transition at**

Risk, (Washington D.C: Carnegie Endowment for International Peace, October 2017)

IV- Thesis

- Adolphe, Ouedraogo, "Arab Spring and Social Media: the Social, Economic and

Governance Issues Driving Revolutions: The Case of Tunisia", **MA Degree,** (Ottawa:

University of Ottawa, Faculty of Social Sciences, August 2015)

V- Internet Source

1-Kirkpatrick, David D, "Ex-Tunisian President Found Guilty, in Absentia", **New York**

Times, 20 June 2011, At:

http://www.nytimes.com/2011/06/21/world/middleeast/21tunisia.html

2- Raghavan, Sudarsan, 'In Tunisia, Luxurious Lifestyles of a Corrupt Government', **The**

Washington Post, 28 January 2011, At:

https://www.washingtonpost.com/world/in-tunisia-luxurious-lifestyles-of-a-corrupt-government/2011/01/28/ABFEG5Q_story.html

3-Transparency International, **Corruption perceptions index 2010** , At:

https://www.transparency.org/en/cpi/2010

4-Transparency International, **Corruption perceptions index 2021**, At:

https://www.transparency.org/en/cpi/2021

ملامح الحياة السياسية في إقليم برقة أبان حكم الأسرة القرمانلية

1711م-1835م

إعداد/ د. على رمضان أبوبكر

أستاذ مساعد، كلية الاقتصاد– قسم العلوم السياسية – جامعة بنغازي

ملخص:

تحاول هذه الدراسة عرض لأهم ملامح الحياة في إقليم برقة في الفترة الزمنية الممتدة من عام 1711 إلى عام 1835 في فترة حكم الأسرة القرمانلية لليبيا والتي حكمت هذا الإقليم وغيره من إجزاء الإقليم الليبي لفترة امتدت ما يقارب المائة وخمسة وعشرون سنة والتي كان الإقليم (برقة) يعيش فيها ظروف معيشية اقتصادية واجتماعية وسياسية أقل ما يمكن وصفها به أنها قاسية وصعبة للغاية وتسعي هذه الدراسة إلى تبيان جميع مناحي الحياة بالإقليم في تلك الحقبة الزمنية من خلال دراسة وافية لجميع جوانبها ومختلف اجزاءها مع التركيز على الحياة السياسية والتي فرضتها الأسرة القرمانلية على سكان هذا الإقليم من القبائل العربية التي كانت تقطن به والعرض أيضاً لأهم أوجه الحياة السياسية وأهم التقسيمات والمكونات الاجتماعية والسياسية في هذا الإقليم على وجه التخصيص وفي الإقليم الليبي على عموماً كذلك تحديد العوامل التي اسهمت في توطيد حكم هذه الأسرة (القرمانلية) لإقليم برقة والذي بتأكيد يختلف عن غيرها من أقاليم البلدان الأخرى التي استعماراتها الإمبراطورية العثمانية والمتمثلة في هذه الأسرة.

ASUMMARY:

Cyrenaica region the period extending from 1711 to 1835 during the period of the Qaramanli dynasty of Libya, which ruled this region and other parts of the Libyan region for nearly twenty – five years , while the region (Cyrenaica) Lived in economic, social and

political living conditions that could be described as harsh and difficult.

Extremely This study seeks to show all aspects of political life and its parts and to focus on the political life imposed by the Quarryman family on the inhabitants of this region from the Arab tribes that used to live in it, AL- Libi, in general, determined the factors that contributed to the consolidation of the rule of this (Qaramanli) family in the Cyrenaica region, with a different emphasis from other regions that were colonized by the Ottoman Empire, represented by this family.

كلمات مفتاحية

الدولة العثمانية – الاستانة – الايالة–الحياة السياسية– برقة– الأسرة القرمانلية–التركيبة الاجتماعية–الانكشارية–القولوغلية–الانتماء الوطني– الدولة الريعية – العزلة النسبية– الباب العالي.

مقدمة:

إن نظرة عميقة على ملامح الحياة لسياسية بإقليم برقة في عهد حكم الاسرة القرمانلية لمدة تفوق المائة سنه ونيف, تقتضي المرور عبر الظروف الطبيعية والسياسية والاجتماعية القاسية التي عاشها الاقليم والتي تتجلى فيها روح المعاناة والجلد والكفاح التي تسلح بها الليبيين لمواجهة تلك الظروف, فقد تمكنوا من انبات ارضهم رغم قلة المياه وتدني خصوبتها في معظم اراضي الاقليم ومن صنع ادواتهم وحاجياتهم بمواد اولية ووسائل

متواضعة , كما تسلط هذه الدراسة الضوء على جوانب تلك الحياة من جميع المناحي, وكان الدافع من وراء هذه الدراسة الاهمية البالغة لموضوع متابعة وتبيان مظاهر الحياة السياسية في أقليم برقة في تلك الحقبة الزمنية من تاريخ ليبيا, التي لم تدرس دراسة وافية من جميع جوانبها هذا وقد تمت الاستعانة في هذه الدراسة بمجموعة من الوثائق لم تنشر والمحفوظة في قسم الوثائق في دار المحفوظات التاريخية بمتحف السرايا الحمراء ومكتبة الاوقاف وهنا نرى من الضروري تسجيل عدد من الملاحظات حول هذه الدراسة وما تضمنه, وفقاً لأي التباس او تحميلها اكثر مما خطط لها.

ملاحظة الاولى :

تتعلق بموقف الدراسة من حكم الاسرة القرمانلية, ارجو ان تكون واضحاً أن أي نقد أو ادانة الدراسة انما توجه الى نظام حكم تلك الاسرة التي اعتمدت سياسة استبدادية ونظماً تقليدية بالية توجها العصر جمدت الحياة السياسة ليس في اقيم برقة فحسب بل في طول البلاد وعرضها، وحالت دون وصول رياح التغيير العلمي والحضاري الى شعبها, وقد تأدي من هذا النهج العقيم الاتراك قبل غيرهم, لذلك قرر السلطان العثماني محمد الثني العودة بسلطاته المباشرة وانهاء حكم الاسرة القرمانلية.

ملاحظة الثانية :

امتدت هذه الدراسة مساحة 124 عاماً أي منذ عام 1711 / 1835م وهي فترة طويلة نسبياً ولكنها في نظرناً كانت فترة قصيرة اذا نظرنا اليها من ناحية التطورات الاجتماعية والثقافية , ففي الوقت الذي كانت فيه الاوضاع السياسية والعسكرية تعج بالأحداث والتقلبات نجد نسبة جمود وارتباك في التحرك في المجالات الحياتية الاخرى, واذا كان هناك تطور وتحديث في انماط الحياة واساليبيها ,فأنها كان محصورا في يعض المدن الرئيسية المهمة مثل طرابلس وبنغازي وبعض المناطق الحضارية الأخرى... الخ, بينما حافظت معظم دواخل البلاد على طرق حياتها التقليدية المتوازية دونما تغير بذكر.

الملاحظة الثالثة:

من خلال البحث والدراسة للعهد القرمانلي سيلاحظ القاري الكريم ان هناك عدداً من الجوانب لم تشبع بحثاً ودراسة وسبب ذلك يعود لقصور اليد في الوصول الى بعض المصادر والمعلومات التي تتعلق بتلك الجوانب, مما ادى الى عدم تغطيتها تغطية علمية كافة, واملنا في أن يستوف ما قصرت عنه الدراسة في دراسات لاحقة يقوم بها بحاث ومتخصصين في هذا المجال خدمة للتعليم والحقيقة، ومما تجدر الاشارة الية في هذا السياق هو: أنه قبل التعرض لدراسة الحياة السياسية التي شهدها اقليم برقة خلال مرحلة هامة من مراحل تاريخيه وهي مرحلة حكم الاسرة القرمائلية وتحليلها من كافة الجوانب تحليلاً علمياً ومنهجيا يقتضي بادي ذي بدء ان توضيح المنهجية التي يقوم تحليل الدراسة عليها بتوضيح اهميتها والهدف الذي تسعى اليه وبيان اشكالية الدراسة وتساؤلاتها والفرضية التي انطلقت منها والمنهج المتبع في هذه الدراسة بالإضافة الى تقسيماتها المختلفة وعرض لمحتوياتها لنصل في النهاية الى ملخص الدراسة ونتائجها.

1. أهمية الدراسة:

تبرز اهمية هذه الدراسة في كونها تقديم لموضوع الحياة السياسية في مرحلة مهمة من مراحل تاريخ اقليم برقة السياسي في فتره لكم القرمانليين ونظر هذه الاهمية جلبا خصوصاً ان هذا الموضوع لم يحظى بالدراسة العلمية الجادة في الماضي خاصة وان اغلب المعلومات المتوفرة حوله مبعثرة هنا وهناك في بعض الكتابات وغير منظمة وغير موبوه بشكل صحيح .

2. أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى محاولة تتبع أهم ملامح الحياة السياسية التي شهدها اقليم برقة في عهد حكم الاسرة القرمائلية، وذلك من خلال التعرف على الجدور التاريخية لتلك الاسرة وكيف وصلت الى حكم ليبيا وكذلك التعرف على طبيعة الخلافات التي دارت داخل اقيم برقة حول هذه الاسرة كما تهدف ضمن ما تهدف الى إبراز العناصر المكونة لتلك الحياة

مع بيان كل عنصر من هذه العناصر, فهذه الدراسة تسعى الى تحليل الحياة السياسية بإقليم برقة من كافة جوانبها خلال الفترة الممتدة ما بين عامي 1835/1711م على اعتبار انه هذه الفترة تمثل النطق الزمني الحقيقي لهذه الدراسة فعام 1711 يمثل بداية حكم الاسرة القرمانلية في ليبيا بينما عام 1835 يمثل نهاية حكم هذه الاسرة وسيطرة الدولة العثمانية من جديد ليس على اقليم برقة فحسب وانما على ليبيا باسرها.

3.أشكال الدراسة وتساؤلاتها:

تمكن اشكالية هذه الدراسة في كون ان اقليم برقة إبان حكم الاسرة القرمانلية في الفترة الزمنية انفة الذكر قد ضاق ذرعاً بالحكم الصادر عن تلك الاسرة, حيث اصبح ساحة فارغة من وجود ايه قوة عسكرية او نظام سياسي مستقر, وتم الاكتفاء بتعيين ولاة لجمع الضرائب القادمة عن طريق الإكراه والظلم والقوة، فضلاً عن عدم الاهتمام بالإصلاح وتفشي الجهل بسبب عدم الاهتمام بالتعليم وكثرة الامراض لقلة الاطباء, فكان لكل هذه بالغ الاثر على الحياة اليومية في ليبيا عامة وفي اقليم برقة تحديداً وهذه الاشكالية تطرح الحاجة الى الاجابة عن التساؤلات التالية محور اهتمام هذه الدراسة وهي :

1- ما هي الجدور الاجتماعية للأسرة القرمانلية ؟.
2- كيف استطاعت الاسرة القرمانلية الوصول الى سدة الحكم في ليبيا عامة وفي اقليم برقة خاصة ؟.
3- ماهي طبيعة الخلافات داخل اقليم برقة ازاء القرمانليين ؟.
4- ماهي عناصر الحياة السياسية في برقة ايان حكم الاسرة القرمانلية ؟.
5- كيف استطاعت الاسرة القرمانلية مقاومة السلطات العثمانية مدة قرن ونصف ؟.

4.فرضية الدراسة :

من أجل الاجابة عن هذه التساؤلات المفروضة في هذه الاشكالية اعتمدت الدراسة علي الفرضية التالية: " إن سوء الحياة العامة ابان الحكم الاسرة القرمانلية لليبيا عموماً واقليم برقة خصوصاً كان له الأثر الكبير في تدخل السلطات العثمانية بشكل مباشر لأنهاء حكم تلك الاسرة".

5.منهجية البحث :

لأثبات صحة هذه الفرضية من عدمها, فإن هذه الدراسة اعتمدت على استخدام المنهج التاريخي وذلك من اجل تتبع الجدور التاريخية والاجتماعية للأسرة القرمانلية فضلا عن تتبع سير الحياة السياسية بإقليم برقة في فترة حكم هذه الاسرة, ومعرفة العناصر المشاركة في هذه الحياة والتي أثرت عليها الممارسة السياسية بشكل فعال وذلك من خلال ما سيتم استعراضه تاريخيا لقضايا أقليم برقة الداخلية والخارجية.

6.تقسيم الدراسة ومحتوياتها:

من أجل ارساء منهجية عملية وعملية موضوعية متوازية ازاء هذا الموضوع فأن هذه الدراسة اقتضت تقسيمها الى الستة محاور رئيسية كما يلي:

المحور الاول: توطئة جو تاريخية عن اقليم برقة.

المحور الثاني: الجذور الاجتماعية الاسرة القرمانلية.

المحور الثالث: الخلافات داخل اقليم برقة حول القرمانليين.

المحور الرابع: نظام الحكم بإقليم برقة في عهد الاسرة القرمانلية.

المحور الخامس: عناصر الحياة السياسية في إقليم برقة في العهد العثماني.

المحور السادس: صراع الاسرة القرمانلية مع الدولة العثمانية ونهايتها.

استهلال

إن تتبع أهم الملامح السياسية التي شهدها الإقليم خلال مرحلة هامة من مراحل تاريخه بداية من التواجد العثماني في ليبيا والذي جاء بعد استنجاد السكان الأصلين في ولاية طرابلس الغرب عام 1551م بالسلطان العثماني والذي تمثل في توجه وفد من تاجوراء إلي اسطنبول لإبلاغ السلطان العثماني بالأوضاع السيئة التي وصلت إليها البلاد نتيجة للممارسات النصرانية التي مارسها فرسان مالطا(فرسان القديس يوحنا) ضد السكان

الأصليين والمتمثلة في هدم المساجد وإقامة الكنائس بدل منها وإجبار السكان على ترك دينهم بالقوة مما أدى إلي هجرة العديد منهم إلي دول الجوار كمصر وتونس والسودان وغيرها من الدول الحدودية المتاخمة لليبيا ولقد استجابة السلطات العثمانية لهذه المطالب وأرسلت أسطولا بحريا ضخما بقيادة (سنان باشا) والذي بدوره تمكن من طرد فرسان مالطا من طرابلس الغرب.

توالت فترات الحكم العثماني في إقليم طرابلس وضواحيها ولكنهم في ذات الوقت أهملوا إقليم برقة والجنوب والذين أصبحوا ساحة فارغة من وجود أي قوة عسكرية أو نظام سياسي مستقر, واكتفوا بتعيين جباة للضرائب التي كانوا يجمعونها بالإكراه والظلم والقوة مما أدى إلي تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية في الإقليم بشكل عام والذي بدوره أسهم في احلال أوضاع سياسية يكاد يجزم معظم البحاث الذين تناول التوراخة لهذه الحقبة الزمنية من تاريخ برقة عليها وسنحاول في هذه الورقة تتبعها والوقوف عند أهم المراحل فيها ببدء الحكم العثماني في الشمال الأفريقي في العام 1551م في إطار الصراع السياسي بين الحملات البرتغالية والإسبانية، وأهم دولة إسلامية في ذلك الوقت الإمبراطورية العثمانية، لذا كان من الطبيعي أن يستنجد سكان سواحل شمال أفريقيا بالدولة (العثمانية)الإسلامية لنجدتهم من الاحتلال الإيبيري.[1]

ولكن هذا الصراع له جوانب اقتصادية واستراتيجية، فالدولة العثمانية في بدايتها كانت دولة ريعية، أي اعتماد اقتصادها علي الريع المقطوع من الأراضي التابعة لها للصرف علي الدولة والطبقة الحاكمة .

وفي عام 1551م أفلح الأسطول العثماني في نزع طرابلس من فرسان القديس يوحنا حلفاء اسبانيا الذين احتلوا المدينة في عام 1510م، وبذلك أصبحت طرابلس ولاية عثمانية عرفت باسم ولاية طرابلس الغرب، فلقد كانت طرابلس تتمتع في بداية القرن الثامن عشر

[1]) انظر: عمر علي بن اسماعيل ، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا (1795 –1835) ص. 205.

ميلادي بشهرة واسعة لرخائها وقواتها، والتي تفوق كثيرا قيمة الموارد الاقتصادية المتواضعة لهذا الاقليم والقوات العسكرية الي كانت تحت سيطرته.[1]

كان الحكم العثماني محدوداً في المنطقة الساحلية وضواحيها، أما قبائل الدواخل فلم يرحبوا بالحرارة نفسها التي رحب بها سكان مدينة طرابلس بالعثمانيين.

وهكذا .. فإن ظهور العثمانيين علي المسرح في آسيا الوسطي، ثم الأناضول، في القرن الرابع عشر، كقوة عسكرية تعتنق الإسلام وتمتد جنوباً وغرباً، فإن ما تطلق عليه اليوم الوطن العربي يقع في قبضتهم تدريجياً، في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي، ولم يستعص علي العثمانيين إلا المغرب الأقصى واليمن.

أي أن معظم الوطن العربي أصبح أقاليم ضمن إمبراطورية موحدة هي الإمبراطورية العثمانية، والتي أصبح حكامها يعرفون بسلاطين آل عثمان، ثم نصّبوا أنفسهم فيما بعد خلفاء للمسلمين، وكانوا أول من يفعل ذلك من غير العرب.

ولكن هذه الإمبراطورية الإسلامية، تعرضت لعوامل الضعف والتآكل المرحلي والتدريجي خاصة في الأطراف والتي بدأت تستقل فعليا عن مركز الخلافة في القسطنطينية وان ظلت اسميا تعلن الولاء للسلطان وكذلك بدأت الدول الأوربية الصاعدة تتحدى السيطرة العثمانية في بعض هذه الأطراف.[2]

إن القرون الأربعة التي سيطرت فيها الإمبراطورية العثمانية على مقدرات الوطن العربي، هي القرون نفسها التي حققت فيها أوربا قفزات نوعية في مضمار العلوم والفنون والاقتصاد، وإعادة تنظيم هياكلها الاجتماعية والاقتصادية وهذه القرون الأربعة نفسها، هي التي تعرض فيها الوطن العربي لعزلة نسبية عن التطورات العلمية والفكرية والاقتصادية

---

[1]) رود لفومكياكي، طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي، ترجمة طه فوزي، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالمية ،بدون طبعة ،1961م،ص5

[2]) سعد الدين ابراهيم، مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي، عمان، منتدى الفكر العربي، الطبعة الثانية،1988،ص.107.

العالمية، ولم تواكب هياكله والاقتصادية والاجتماعية والثقافية حركة التطور والتغيير التي كانت تحدث في شمال البحر المتوسط عبر أوربا.

وهكذا، فإن هذه العزلة النسبية، التي سببها انتقال مركز السلطة إلي خارج الوطن العربي(مع سيطرة آل عثمان)، وتحول طرق التجارة العالمية الرئيسية بعيداً عن قلب الوطن العربي(بسبب اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والأمريكيتين) وتداعيات ذلك من ركود حضاري واقتصادي وعلمي وسياسي، ترك الهياكل الاجتماعية العربية ترسخ في أغلالها التقليدية بشكل دائري شبه مغلق هذا الإطار التقليدي الدائري الرتيب، وفي ظل العزلة النسبية عن مسيرة التطور الحضاري, الاجتماعي, التكنولوجي العالمي، كانت خصوصاً الموقع الجغرافي والايكولوجيا البشرية (أي التفاعل بين الناس والبيئة الطبيعية)، والإرث الثقافي هي التي تحدد سقف أنماط الإنتاج والفائض والتوزيع، وعلاوة القوى الاجتماعية التقليدية بالسلطة التقليدية.[1]

الجذور الاجتماعية للأسرة القرمانلية :-

مع استقرار جنود الانكشارية القادمين إلي الايالة الطرابلسية في بداية العهد العثماني، وتعذر عودتهم السريعة نظراً لبعد المسافة، أذن لهم بالزواج، واختلط الكثيرون منهم مع الأهالي بالمصاهرة ومن هنا ظهرت هذه الشريحة الاجتماعية الجديدة من أواخر القرن 10هـ/16م في كل من طرابلس وتونس والجزائر، وقد تركز وجودها في المدن والبلدان الساحلية التي استقربها الآباء مثل:-

طرابلس والزاوية وجنزور وسوق الجمعة وتاجوراء ومسلاتة وزليطن ومصراتة وبنغازي ودرنة.

وفي أواخر فترة الداياتُ أتيح لهؤلاء الجند الذين كانوا عنصرا مؤثرا في الجيش وفئة قريبة من الاهالي أن يشاركوا في الصراع على السلطة، وأن يبرز نفوذهم شيئا فشيئا حتى تمكن أحد الضباط المنتمين لهذه الفئة الاجتماعية وهو أحمد باشا القرمانلي من الوصول إلي

[1]) المرجع السابق ،ص .108.

حكم الايالة وتأسيس الأسرة القرمانلية التي أصبحت فيما بعد وراثية شبه مستقلة في إطار الدولة العثمانية .[1]

ويعتقد بان أول ظهور للقرمانليين على السطح السياسي الليبي كان بمجيء الجد مصطفي القرمانلي في صفوف من جاء من البحارة والانكشارية الي ليبيا في نهاية القرن 16 م أو بداية القرن 17م.

ويرى المؤرخون أن بروز القرمانليين فى وسط الأناضول كان عام 1256 م (654)هجري ويعتبر "قرمان بن نوره "الصوفي هو مؤسس هذه الأسرة ولقد تناوب على قيادة هذه الأسرة حوالي أربعة عشر حاكما من القرمانليين الذين كانوا يمثلون أقوى الأسر نفوذا بين الأسر التركية الأخرى التي سادت في الاناضول وتعايشت جنبا إلي جنب مع العثمانيين غير أن العثمانيين تمكنوا في النهاية من احتوائها بضم الأراضي القرمانلية إلي الممتلكات العثمانية.

ويبدو إن هذه الأسرة قد انبثقت من قبيلة الافشار التركمانية على عكس العثمانيين "ال عثمان "من قبيلة (قاى) الغزية. وكما يبدو ان(نوره) والد مؤسسها" قرمان "كان شيخا من مشايخ الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في تلك الفترة كما هو الحال مع كثير من السلالات الحاكمة المستوطنة في الاناضول ذات المرجعية الصوفية.

واستطاع القرمانليون إقامة دولة مستقلة في القرن الرابع عشر الميلادي، وسيطروا على معظم المناطق الجنوبية والوسطى من الأناضول...وأثناء فترة حكمهم ،أضحت قره مان "قرمان" حاضرتهم أهم المراكز الهامة للنشاط الاقتصادي الفني والثقافي ،واكتسب القرمانليون تقدير القبائل التركية الأخرى بسبب تشجيعهم للغة التركية واتخاذها لغة للإدارة بدلا من اللغة الفارسية .

[1]) تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر للصف التاسع بمرحلة التعليم الأساسي ،ليبيا ،وزارة التربية والتعليم ،2015،ص.30.

وينحدر الجد مصطفى من أصول تركية من جنوب وسط الأناضول من قرية قره مان على مسافة مئة كيلو متر من جنوب شرق قونية konya فالأصول تركية "طورانية" الأصل والأرومة وليست تركية بالاكتساب، ولكن قرمانلية ليبيا هم ليبيون لدرجة أنهم لا يتكلمون التركية.

العوامل المساعدة لوصول القرمانليين الي السلطة-:

على مدار المئتي سنة من حكم الأتراك تكونت في إيالة طرابلس الغرب طبقة القولوغلية (الكراغلة)،وعند مستهل القرن الثامن عشر كان القولوغلية يشكلون كتلة هامة من المزيج السكاني في المنطقة وتحتل مركز متميز وتتطلع للسلطة ،ويعيش أغلبهم في ضاحية المنشية بطرابلس الغرب وفي منطقة الساحل ،وكانوا أقرب الي السكان المحليين الذين تربطهم مع غيرهم من المكونات الاجتماعية في المنطقة أواصل الرحم، وكان القولوغلية يشتغلون بالحرف السائدة إلي جانب عملهم بالزراعة والتجارة ويقومون بأداء الخدمة العسكرية التي تنتقل إليهم بالوراثة، فكانوا يتمتعون بجملة من الحقوق والامتيازات لقاء ولائهم للسلطان العثماني ومن أهم هذه الامتيازات إعفائهم من دفع الضرائب، ونبؤهم مراكز قيادية في السلك الوظيفي بالدولة إلى جانب تجنيد العديد من أبنائهم في جيش الدولة العثمانية، وكذلك انخراطهم في المدارس والمؤسسات التعليمية لكي يكونوا كوادر قيادية فيما بعد.

كما إن الضعف الداخلي والتخلف العسكري للإمبراطورية العثمانية أدى إلي توقف حكام شمال أفريقيا عن الاعتراف بسلطة السلطان العثماني بل واقتصرت على النواحي الشكلية فقط.

فلم يبقى أمام الباب العالي إلا أن يعترف بوصول القولوغلية الي السلطة في إيالة طرابلس الغرب، كما أن تشكيلة الانكشارية قد أضعفت نفسها عدديا ونوعيا بسبب الخصومات والنزعات الداخلية فيما بينها، وهذا بمجموعه مكن القولوغلية من التطلع الي السلطة، وبناء علي مايقول المؤرخ (ابن غلبون)المعاصر لأحمد باشا القرمانلي فان عهد حكم الاتراك قد انتهى سنة 1710 وبداء عهد القولوغلية.

وصول أحمد القرمانلي إلي السلطة :-

بعد سلسلة من الخطوات والإجراءات والإعمال العسكرية تمكن احمد القرمانلي من الحصول لقب الباشاوية من السلطان وانصرف إلي تدعيم سلطته داخل البلاد .

وخلال أربعه وثلاثون عاما من فتره حكمه في الايالة كان علية إن يخمد الانتفاضات الداخلية والتي وصل عددها الي ما يزيد على العشرين انتفاضة ومؤامرة داخل البلاد، ونتيجة لكثير من الجهود انتهى في واقع الحال إلي تأسيس دولة إقطاعية مستقلة لا تعترف إلا شكليا بالسلطة العليا للسلطان التركي

كما انه أعاد تنظيم البلاد وتنظيم الأسطول البحري والجيش وأولى احمد باشا القرمانلي اهتمام كبيرا وعناية خاصة بشئون الدين ولقد أصبحت السلطات الإدارية في عهده تسير وفقا لأسس الشريعة الإسلامية كما انه أمر بافتتاح محاكم شرعية في الأماكن التي خلت منها، كما انه كان للصوفية والمرابطون تقديرا خاصا في عهده وكان لهم بالمقابل تأثير واضح وملموس على الإحداث الدائرة في مختلف إرجاء البلاد.

وتزامن حكم القرمانيين مع مرحلة تطور تجارة طرابلس الغرب وغيرها من دول الشمال الإفريقي ،فكانت التجارة المصدر الأساسي لموارد خزينة الحاكم، وكان أعضاء الأسرة القرمانلية أ نفسهم يشتغلون بالتجارة أو كانوا يستثمرون أموالهم في الإعمال التجارية.

كما ان تصدير البضائع إلي إفريقيا وتصدير المواد الأولية منها إلي أوروبا نتيجة للثورة الصناعية في انجلترا وفرنسا ولتطور العلاقات الرأسمالية في هاتين الدولتين.

ولقد تحول حوض البحر الأبيض المتوسط الي منطقة حركة بحرية وتجارية نشطه وهو ما مكن حكام دول الشمال الإفريقي من ان يجبوا من هذا الوضع إتاوة كبرى كانت بالنسبة لهم واحدة من أهم مصادر الدخل كما ان المصالح التي تحققت من التجارة مع إفريقيا عبر طرق القوافل في الصحراء والتي تطورت بسبب تنامي التجارة مع أوروبا زادت من قوة القرمانليين.

امتداد الحكم القرمانلي الي برقة

في سنة 1711م قام احمد باشا القرمانلي بحركته المحكمة التي أتت به إلي كرسي الولاية وحوله بدوره الي ولاية وراثية شبه مستقلة عن الباب العالي في تركيا وقد حاول في السنوات التالية فرض سيادته على سائر البلاد بما فيها إقليم برقه ،وقد نجح في محاولاته تلك ،لم يسبق للبلاد ان عرفته ،وربما يعود ذلك الي استقلال في التصرف عن الباب العالي مكنته من الإسراع في إصدار وتنفيذ القرارات بالإضافة الي استعماله القوه والبطش في إخضاع الإقليم (برقة)والتخلص من الخصوم والمناوئين له.[1]

وفي سنة 1719 ميلادي عقد احمد باشا القرمانلي لأخيه الحاج شعبان بك القرمانلي القيادة على برقة وارسله اليها على جيش من جند الانكشارية بقيادة ابراهيم التريكي وعلي بن خليل الادغم، لبسط السيطرة القرمانلية وتطويع المناوئين واستخراج الجباية والمؤكد أنهم قد نجحوا في السيطرة عليها بسهولة ويسر، ذلك انهم في حملتهم على مدينة درنه وهذا معناه السيطرة على مدينة بنغازي وغيرها من البلاد دون درنه.

الشكل السياسي للسلطة في العهد القرمانلي

لقد كان الباشا يتربع على رأس الدولة ويسيطر على الحاكم ويعاونه الأقربون وهم في الغالب من تربطهم روابط دم بالحاكم او من كبار المتنفذين ماليا واجتماعيا نظرا لما يمثلونه من تقل اجتماعي

واقتصادي في البلاد.

اما الشخص الثاني في الايالة فكان ولي العهد ولقبه البك وكان الابن الأكبر للحاكم هو من يتولاء هذا المنصب، ومن بين أهم مهام البك (ولي العهد)قيادة جيوش الإيالة وهو

[1]) لمزيد من المعلومات أنظر إلى د.على رمضان أبوبكر،"دور العامل الايديولوجي في العلاقات الليبية الامريكية"، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة بنغازي (قاريونس سابقا)كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ،قسم العلوم السياسية ،بنغازي –ليبيا 1997م.

المسئول عن الامن في والاستقرار في البلاد بالإضافة الي جمع وتحصيل الضرائب في كافة إرجاء البلاد.

ويلي البك في الأهمية قائد الاسطول –رئيس البحرية –او (قبودان)الميناء وبالإضافة الي قيادة الأسطول وتمويله بكل ما يلزم من مؤن وعتاد

كما ان قائد الاسطول يشرف على تحديد قوانين الابحار عند سواحل الايالة وجمع الضرائب وفي العادة كان يشغل هذا المنصب الرفيع في عهد الأسرة القرمانلية المرتبطون بصلات ووشائج رحم ومصاهرة مع حكام الايالة فرئيس البحرية مثلا في عهد يوسف القرمانلي كان متزوجا احدى بناته.

كما ان عهد يوسف القرمانلي شهد استبدال لقب(الخزندار) بلقب وزير المال الذي تعهد إليه الأمور المالية في كافة إرجاء الولاية.

كما ان يوسف باشا ادخل الي جهاز الإدارة منصبين جديدين هما كبير الوزراء ووزير الشئون الخارجية وكان يمثلنه كمبعوثين الي الدول الأوربية لتسوية بعض القضايا العالقة بين دولته والدول الأوربية خصوصا فيما يتعلق بالبحار في منطقة البحر الابيض المتوسط والتي كان للبحرية الليبية الريادة والسيطرة شبه الكاملة على حرية المرور والإبحار فيه.

كذلك استخذت وضيفتي المستشار الأكبر والمستشار الأصغر (الكيخيا الكبير– والكيخيا الصغير)والذين لعبوا فيما بعد دورا مهما في إدارات القرمانليين المتعاقبة.

فلقد كان المستشار الكبير (الكيخيا الكبير)الي جانب مهامه رئيسا للتشريفات في القصر إلي جانب الإشراف على إعداد وتهيأت الابن الاكبر (ولي العهد) للحكم إلي جانب ذلك كان الكيخيا الكبير يتابع المراسيم والقوانين التي يصدرها الحاكم وتنفيذها.

كما إن الكيخيا الصغير مسؤول على الحرس الخاص بالحاكم ونظرا لأهمية هاذين المنصبين فان الحاكم لم يكن يعين فيهما الا ممثلي للأسرة لقرمانلية فقط.

بالإضافة الي المناصب المذكورة كان منصب (شيخ البلد)احد المناصب الاساسية والمهمة عند القرمانليين وكان يعتمد في انجاز مهامه على شيوخ طوائف المدينة ورو ساء الاتحادات القائمة على أسس قومية أو دينية أو حرفية.

كما كان للقضاة الشرعيون دورا مهما في في الحياة الاجتماعية فى الاياله ،فالمحكمة تجري في العادة عن طريق قاضيان يمثل احدهما الفقه الحنفي الذي يأخذ به الاتراك ويمثل القاضي الأخر الفقه المالكي او المذهب المالكي الذي يأخذ به غالبية سكان البلاد.

كما انه هناك شريحة مهمة في تكوين النظام القضائي عند القرمانليين وهي شريحة مفسري الشريعة والذين كانوا يتمتعون بمركز رفيع بين الشخصيات الدينية في المجتمع لما يتمتعون به من تبحر ومعرفة بعلوم الدين الإسلامي فكان لهم حق في إعادة النظر في قرارات القضاة خصوصا المتعلقة بالزواج والطلاق والإرث وعقود البيع والشراء إلي جانب حقهم في تصديق الإحكام ونقضها وبتالي يعدوا بمثابة درجة تقاضي تملك نقض الإحكام و التصديق عليها.

وكان لحاكم الايالة مقرا للحكم (ديوان)يعمل فيه الكثير من الموظفين ومن بينهم قائد الأسطول، ووزير المالية، وشيخ البلد، والقاضي، ورئيس الانكشارية، وأربعة موظفين للقيام بالإعمال المكتابية.

كذلك فان هذا الديوان يعد بمثابة المكان الذي يجتمع فيه الوجهاء من اهل الموطنين وزعماء العشائر والقبائل لمناقشة الأمور التي تتعلق بالحياة اليومية في الايالة.

ولقد كان اللقولوغولية يشكلون الركيزة الأساسية للجيش وكان تعدادهم في عهد يوسف باشا القرمانلي ما يقارب عشرة ألاف خيال وأربعين إلف من المشاة.

إما بالنسبة للكتائب المقاتلة من بقية القبائل فكانت تستخدم بصورة ناجحة في الحملات التأديبية ضد من كان لهعداء مع الإيالة او في حالة عداء مع احدى القبائل الموالية لحكم الإيالة.

ومثل هذا الجيش المشكل من فرق مختلفة الألوان ما كان ليمثل قوة منضبطة ومركزه حول أهداف موحدة.

ولقد كان مشايخ واعيان القبائل والعشائر يحصلون على جملة من الامتيازات المادية والمعنوية كنتاج طبيعي لقربهم من الايالة.

فلقد كان يوسف باشا القرمانلي يدفع لشيخ القبيلة الموالية مقادير معينه من المال بالإضافة إلي الامتيازات وذلك سعيا لضمان ولاءهم وولاء الطبقة العليا لنظامه والذي غالبا ما ينجر ولاء الشيخ إلي ولاء قبائلهم للإيالة.

كما ان إمكانية الإثراء على حساب نهب السكان وعطايا الحاكم لعبت دوراً لا يقل أهميه في جعل الجيش سلاحا طيعا في يد يوسف باشا القرملنلي، وربما يمثل هذا واحدا من اهم الأسباب التي جعلت يوسف باشا القرمانلي يمتنع عن إعادة تنظيم الجيش وفقا للنموذج الأجنبي رغم كل اومر الباب العالي.[1]

الخلافات داخل برقة حول القرمانليين:-

لقد أدت الانتفاضة التي حدثت في برقة سنة 1805 ميلادي علي ضعف السيادة القرمانلية علي الإقليم، حيث بوصول أحمد القرمانلي الذي كان يسانده الأمريكيون ،انقسم القوم إلي فريقين فمنهم من انحاز الي احمد ومنهم من سار مع يوسف وقد أدي إرسال الدعم وعقد الصلح مع أمريكا إلي منح البلاد إلي فترة من الهدوء والاستقرار ولكن الانتفاضات وحركات التمرد ضد القرمانيين لم تلبث إلي أن عادت لظهور من جديد.*

وقام محمد بك أكبر أنجال يوسف باشا بحملة في سنة 1812م علي بنغازي ودرنة وأقام المذابح الدامية للثائرين عن حكمه ثم خرج محمد نفسه علي طاعة والده يوسف باشا الذي وجه إليه حملة قوية بقيادة ابنه الآخر أحمد بك وذلك في سنة 1816م.

[1]) ن.إ.بروستن ،تاريخ ليبيا في العصر الحديث .مصدر سبق ذكره ص.163-168

وقد شارك في هذه الحملة الطبيب الجنوي الدكتور (باولو دالاشلا) Paolo "Pellacella" الذي ترك لنا سرد وصفي لهذه الرحلة في كتاب ذي أهمية تاريخية وعلمية عظيمة .(*)

إن المعلومات التي يقدمها إلينا الرحالة (دلاشلا) إنما هي في حقيقتها وصف أمين للنظام السياسي والإداري في العهد القرمانلي وكان من العادات المتبعة عند مرور الحملة أن تتقدم إليها القبائل بالضرائب والهدايا أو تلتزم بالانضمام إلي الجيش بل وقد بدأ في بعض الأحيان أن الغرض الوحيد للحملة إنما كان جباية الضرائب.[1]

كما ذكر "بروشين" صاحب كتاب " تاريخ ليبيا في العصر الحديث "ما يلي حول الصراع القرناملي داخل برقة ، حيث أولي يوسف باشا اهتماماً كبيراً للقضاء علي انفصال برقة ،التي كانت تقوم بين الفينة والفنية بالثورة ضد الظلم "الضرائبي "ومختلف صنوف الاستبداد والقهر وقد تميز محمد الأبن الأكبر للباشا بقسوة خاصة في إخماده لتحركات قبائل برقة وفي العادة كان علي أفراد القبيلة المتمردة في عهده أن يختاروا بين أمرين إما أن ينصاعوا لحكم طرابلس الغرب أو أن يفنوا.

وفي معرض وصفه لمحمد بك اشاد المؤرخ الفرنسي ش.فيرو الي ان افريقيا التي سماها الأقدمون ببلد الوحوش لم تعرف وحشا يكافئ الابن الاكبر ليوسف القرمانلي في شراسته وتعطشه للدماء، بينما كان عائدا من حملة لإخضاع القبائل الثائرة قام بمحاولة لقتل ابيه من اجل ان يستلم العرش ،وبدلا من ان ينزل يوسف باشا القرمانلي العقوبة بابنه عينه بصفة رسمية حاكما على برقه ومنحه لقب (بك) مدفوعا في ذلك بالرغبة في ابعاده عن طرابلس وضمن وجود شخص قوى يمثله في إقليم برقة.

(*)رحلة الدكتور باولو دلاشيلا (رحلة من طرابلس إلي الحدود المصرية) جنوا، 1819م ، الطبعة الثانية،1912م.

[1]) إتوريروسي،ليبيا منذ الفتح العربي حتي سنة 1911م،ترجمة:خليفة محمد التليسي، طرابلس، الدار العربية للكتاب،2009م

لكن محمد بك بدلا من ان ينفذ أوامر والده بإخماد القبائل المنتفضة بل تراسها بنفسه ضد والده ،ومن منطلق الانفصالية الإقطاعية اخذ محمد باشا والقبائل الموالية ليوسف باشا وإبادتها وردا على هذه التحركات وجهت في فبراير سنة 1817م حملة لإخضاع القبائل الثائرة في برقة بقيادة احمد باشا الابن الثاني ليوسف باشا والذي سمي حاكما على برقة يحمل لقب(بك) بدلا من أخيه المتمرد، وبسبب هذه النزعات تضاعفت معاناة سكان برقة الذين كانوا في وضع اقتصادي واجتماعي خانق وخوفا من المجابهة المباشرة مع الجيش الذي وجهه يوسف باشا القرمانلي تراجع محمد باشا القرمانلي إلي حدود مصر وبمقدار انسحابه وتقلص اعداد جيشه كان يقتل كل من يشك فيه.

ومن اجل تجريد محمد بك من إمكانية استخدام الفرق المسلحة للقبائل الليبية كان احمد باشا القرمانلي يجبر تلك القبائل على ان تتحرك بمعية جيشه في صورة تذكر بحركة الشعوب القديمة كتل من البشر بما فيهم النساء والأطفال والماشية تتحرك بصحبة احمد باشا القرمانلي.

فلما سحق محمد بك بصفة نهائية عن المعارك وقطع الحدود المصرية وتحصن في الأراضي المجاورة انزل احمد بك انتقامه الفظيع بالأطراف القبلية التي مالت يوما الي محمد بك .[1]

ظاهرة استخدام السلطة للتكوينات الاجتماعية (العصبوية)

وفي نظيرات مشابهة لهذه الحالة يقول صالح السنوسي ان السلطة في هذه الدول وأمثالها أصبحت حكرا على عصبة واحدة طائفية كانت اما عشائرية بينما أضحت بقية العصبيات خارج الوعاء الاجتماعي المنتج للسلطة وبالتالي فان الدولة بالنسبة لهذه العصبيات لا تظهر باعتبارها تجسيدا للمصلحة العامة والشأن العام بل تبدو ملكية خاصة للحاكم وعصبته لأنها في خدمتها قبل خدمة الجميع ولعل ذلك يرجع لكونها لم تقم على أساس

[1]) ف.أ. بروشين ،تاريخ ليبيا،مرجع سبق ذكره، ص173-174

قومي والذي يفترض المساواة إمام القانون وتقاسم الثروات وانما قامت على أساس عصبوي –طائفيا كان ام عشائريا قبليا –أي أنها أصبحت اداة في خدمة سلطة العصبة وقد نتج عن ذلك تسييس الطائفة والقبيلة والجهة ومن هنا اتخذ التنافس على السلطة طابعا عصبويا ولم يتخذ طابع التنافسية بين اتجاهات وتنظيمات سياسية ينتمي إليها الفرد نظرا لقناعته بأطروحاتها المتعلقة بكيفية الحكم وتسيير المجتمع وهكذا أضحت السلالات العائلية والقبلية هي الي تتحكم في الفرد بحيث المشاركة السياسية لها علاقة بالانتماء القبلي والطائفي والجهوي.

كما ان السلطة أصبحت ثمرة هذه العصبيات من خلال تشجيع هذه الروابط وجعلهااكثر سطوة من محاولات إنشاء منظمات مدنية وذلك ان الدولة والسلطة ثم إنشاؤهما على قاعدة العصبة والولاء للقبيلة او الطائفة او الجهة قبل الولاء للوطن والذي أضحى في ظل هذه المعطيات المرتكزة على العصبية يمثل وطن القبيلة حيث توجد المضارب.[1]

اسقاطات نظرية(الدولة المخزنية)على الدولة القرمانلية

يشير مفهوم (الدولة المخزنية)الي نطاق الولاء للسلطة السياسية المباشرة فحيت تمتد هذه السلطة وتمارس وظائفها الردعية والجبائية بشكل مباشر وفعال كانت تعرف باسم بلاد المخزن والمخزن هو تعبير فعلي ومجازي (لبيت المال)الذي كانت السلطة السياسية تضع فيه ما تجمعه من ضرائب وحبوس وإتاوات نقدية وعينية من أولئك الخاضعين لها مباشرة سواء اكانوا افراد او جماعات أو تركيبات عشائرية و قبلية

ومفهوم بلاد المخزن بهذا المعنى هو مفهوم نسبي فحيث تكون السلطة المركزية قوية وقادرة يؤدي هذا الوضع الي اتساع نطاق بلاد المخزن جغرافيا وحيث تضعف هذه السلطة يضيق نطاق بلاد المخزن آلي إن يقتصر أحيانا على العاصمة أو المدينة مقر الجماعة الحاكمة

[1]) صالح السنوسي ،اشكالية المجتمع المدني العربي، "العصبية والسلطة والغرب "القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،2012،ص 44،45

والمفهوم المضاد او المناقض لبلاد (المخزن)هو بلاد (السيبة)ويشير هذا المفهوم الي المناطق التي يختفي فيها اثر السلطة المركزية تماما وحيث لا تستطيع ممارسة أي وظيفة ردعية او جبائيه وأقصى ما تطمع فيه هذه السلطة وتطمح إليه هو استمرار الولاء الرمزي كان يذكر اسم الحاكم قي خطب الجمعة على منابر المساجد وعادة ما تكون المناطق البعيدة او القاصية والجبلية التي يصعب الوصول إليها من جنود السلطة المركزية او يسهل لقبائلها الاعتصام والدفاع عنها ضد قوات السلطة المركزية هي المرشحة لشق عصا الطاعة والتمرد على السلطة .

فهي باختصار مهيأة لرفض دفع الضرائب والاتاوات للمخزن او لبيت المال ويمكن ان تدور في بلاد السيبة الصراعات الداخلية بين قبائلها وبعضها البعض دون ان تستطيع السلطة المركزية التدخل لوقفها وإقرار النظام والامن بها

وكانت توجد بين بلاد المخزن وبلاد السيبة كأنها منطقة وسطى (شبه مخزينة) تمارس فيها السلطة المركزية معظم وظائفها بشكل مباشر او بشكل جزئي وفي هذه البلاد الوسطية كانت السلطة المركزية تعتمد على زعماء القبائل وتفوضهم في جمع الضرائب والإتاوات من قبائل أخرى او من الأرياف القريبة من مضارب قبائلهم في مقابل تقديم بعض الامتيازات لهم وإعفاءهم من دفع بعض هذه الضرائب او كلها.[1]

ويرى المؤرخ (محمد مصطفى بازامة) بان الحياة القبلية في برقة كانت عائقا قويا يعوق أي سلطة ضعيفة عن بسط نفوذها الفعلي على الإقليم حيث وقعت حركات التمرد والثورة على الحكم المحلي وكانت الحروب القبلية شائعة في تلك المرحلة المقاربة للقرمانليين فكم من قبيلة تزحزحت عن أراضيها وكم من قبيلة اضطرت الي هزيمة من قبل قوات الدولة او من القبائل الأخرى المعادية لها.

[1]) سعد الدين ابراهيم ،مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي ،**مرجع سبق ذكره** ص.112.انظر:محمد عبدالباقي الهرماسي ،المجتمع والدولة في المغرب العربي ،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ،الفصل 1، "الدولة المخزنية "

ولعل هذا ما دفع الكثير من مؤرخي الغرب للوقوع في أخطاء تاريخية جسيمة غالبا ما كانت عن غير قصد نتيجة الأخطاء المتعمدة لبعض كتاب ومؤرخي غربيين قصدوا اسرد روايات تاريخية دون دراسة لها ومعرفة العلل والأسباب الحقيقة لها.

ومن بين الاخطاء التاريخية التي وقع فيها هؤلاء المؤرخين ما يتعلق ببعض الحروب التي يرويها الناس في روايات شعبية ساذجة كحرب الجوازي والعلايا وحرب زغبة وغيرها من الحروب القبلية التي تعرف محليا بحروب الصف فقد جات هذه الروايات الشفهية وتم تدوينها في كتب التاريخ الحديث على انها حروب ساذجة الاسباب والمسببات بينما هي في الواقع لا تعدو الا كونها فتن سياسية لعب الدور الرئيس فيها بعض حكام البلاد وبعض السياسيين من الاتراك والقرمانليين وغيرهم من الزعامات القبلية التي هدفت الي تحقيق جملة من المكاسب بإشعالها لهذه الصرعات بين التكوينات القبلية والاجتماعية في برقة

لقد كان للمؤامرات السياسية من قبل الطبقة الحاكمة واستغلال الصراعات القبلية وتأجيجها لمصلحة السلطة دورا مهما وبارزا في استمرار سلطة القرمانليين وزيادة نفوذهم في المنطقة.

وفي واقع الأمر فان الروايات الشعبية والشفهية تكاثرت وتعددت عن هذه الحروب ومسبباتها غير ان الترابط المنطقي والعقلاني يخالف الكثير من هذه الروايات ويجعلها اقرب الي الأسطورة والخيال منها الي الواقع والحقيقة التاريخية.

لقد اضطرت الأسرة القرمانلية لممارسة التقاليد القديمة في الولاية كنوع من سياسة الأمر الواقع واستعملت في سبيل توطيد حكمها واستمراريته مهمتين أساسيتين تمثلت في التحالف مع شيوخ واعيان ووجهاء القبائل الكبيرة وتقديم العطايا والمميزات لهم وإعفائهم من دفع الضرائب ويتجلى هذا الاسلوب واضحا في ما قام به يوسف باشا القرمانلي مع احفاد عشيرة اولاد انوير شيوخ المحاميد في الجبل الغربي وعائلة حدوث من قبيلة البراعصة في الجبل الأخضر وعائلة سيف النصر وهم من شيوخ واعيان قبيلة اولاد سليمان وهم القاطنين لأجزاء من برقة وفزان والي جانب هذه السياسة سياسة الاحتواء والتحالف

والإغراء المادي التي استخدمها القرمانليون فأنهم استخدموا جانب اخر او نمط اخر تمتل في سياسة العقاب فلقد عاقب يوسف باشا القرمانلي بقسوة كل من حاول التمرد على سلطانه او الرفض لفرض سيطرة القرمانلين في البلاد ويمكنا ان نرى هذا جليا في حربه ضد سلاطين أولاد أمحمد في فزان وقبائل الجوازي والفواید في برقة في عامي 1805-1812 ميلادي .[1]

الدولة القرمانلية والهوية الوطنية

لقد قامت الدولة القرمانلية على فكرة بناء التحالفات مع التكوينات الاجتماعية ،وفكرة الغنيمة والإتاوات ، واللعب على الصراعات والتناقضات القبلية الموجودة بالمنطقة و بتالي ساهم هذا الوضع في خلق هوية وطنية ضعيفة ،قابلة للتآكل باستمرار ،انتماء الفرد فيها للرابطة الاجتماعية يتغلب على انتمائه للوطن ويقلصه .

ويصبح الفرد تحت طائلة هذا النظام مجرد كائن لا يستطيع فهم مؤسسات الدولة او إقناع نفسه بها وبجدواها.

ولهذا فانه وبمجرد إن تلوح فرصة للثورة والتمرد على السلطة فان التكوينات الاجتماعية التي يكونها الفرد وينتمي لها تنتهز حالة الربكة هذه لشعورها بعدم شرعية هذه السلطة.

وترى بان مصالحها لم تعد تقتضي الإبقاء على هذه العصبة او تلك في السلطة ،وان العصبيات الطائفية او الجهوية او القبلية التي يساورها الإحساس بالظلم من قبل العصبة القابضة على السلطة ،تنتهز فرصة انفراج كربتها لا لتستولي فقط على السلطة داخل الدولة ،بل لتحاول تأسيس دولة خاصة بها ،ولعل ذلك نشهده جليا في محاولة انقسام بعض قبائل برقة وانفصالها مع أحمد بك القرمانلي ،نظرا لنا الدولة الأم لم تعد قادرة على تلبية حاجتهم المختلفة ،ولم تعد بالنسبة لهم سوى مكان تتجاوز فيه العصبيات بحكم الأمر

[1]) علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا ،بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ،ط 1998،ص ص49-50

الواقع وتتغلب فيها العصبيات القوية على العصبيات الأدنى وذلك عبر التحالف مع جهاز الدولة .

كل هذه العوامل وغيرها ادت الي تأخر ظهور الهوية الوطنية الجامعة في القطر الليبي والتي كانت لو ظهرت لأسهمت في تجاوز العلاقات البدائية التي كانت سائدة وظهرت محلها علاقات أواسع واشمل وأحفظ للحقوق ألا وهو فضاء الدولة القومية .

وهكذا بالرغم من القوة القومية الظاهرة للدولة القرمانلية في سيطرتها على الأرض وحماية الدولة الليبية من الاعتداء الخارجي ،الا ان هذه القوة اعتمدت على الهشاشة الداخلية للوضع الاجتماعي ،وحالت دون تشكل رابطة قومية أسمى لأبناء الوطن ،فكانت الصراعات والخلافات الداخلية مدخلا هاما لفرض سلطانها على الجميع .

لكن يظل هناك تساؤل يثار من جديد هل الدولة القرمانلية كانت عائقا أمام تشكل حالة وطنية جامعة لشتات العصبيات ،ام أن العصبيات المحلية والجهوية والأطماع الغنيمية كانت وراء هذا التغلب من قبل القرمانليين ؟

ان الطريقة التي تشكلت بها القوه التي قادها محمد بك القرمانلي في محاولة انفصال برقة وايضا الطريقة التي تم بها تشكيل القوة الزاحفة من طرابلس بقيادة احمد القرمانلي والتي وصلت إلي خليج البمبة في أقصى شرق برقة تجعلنا نزيد من كثافة التساؤلات عن الطريقة التي تكونت بها هذه القوات والاليه التي تأسس بها هذا الجيش الكبير في حينه

وهذا ما نجده في رواية الطبيب الايطالي" ديلاشيلا "والذي يروي ان الحملة بدأت ب 500 رجل من القوات النظامية من طرابلس وأصبحت تزداد شي فشي حتى وصلت إلي 70000 ألف مقاتل عندما وصلت الي مشارف درنة عبر التحشيد القبلي الغير مدفوع الأجر الا من أسلاب القبائل المنحازة إلي محمد بك القرمانلي .....!

وهكذا فان هذه الحالة " الهوبزية " من حرب الجميع ضد الجميع تجد دورها دائما عندما تغيب ثقافة الوطن وتتغلب ثقافة الا وطن وعندها تتكرر الحالة القرمانلية بكل أبعادها في أي زمان وبأي مكان .

الخاتمة

تحاول هذه الورقة العرض لاهم ملامح الحياة السياسية في اقليم برقة في الفترة الزمنية الممتدة ما بين عامي 1711 م الي عام 1835 م وهي الفترة والتي تعرف بحكم الاسرة القرمانلية لإقليم برقة والتي حكمت هذا الاقليم وغيره من اجزاء من الاقليم الليبي (طرابلس – فزان) لفترة امتدت الي ما يقارب المائة وخمسة وعشرون سنة والتي كان الاقليم (برقة)يعيش فيها ظروف حياتية اقتصادية واجتماعية وسياسية قاسية وصعبة وتسعى هذه الدراسة العلمية الي تبيان جميع مناحي الحياة بالإقليم في تلك الحقبة الزمنية من خلال دراسة وافية لجميع جوانبها مع التركيز على الحياة السياسية والتي فرضتها الاسرة القرمانلية على سكان هذا الاقليم من القبائل العربية التي كانت تقطن به والعرض أيضا لاهم اوجه الحياة السياسية واهم التقسيمات والمكونات الاجتماعية والسياسية التي شكلت الحياة السياسية في هذا الاقليم على وجه التخصيص وفي الاقليم الليبي في العموم والعوامل التي اسهمت في توطيد حكم هذه الاسرة (القرمانلية) لإقليم برقة والذي بتأكيد يختلف عن غيرها من اقاليم البلدان الاخرى التي استعمارها الامبراطورية العثمانية والمتمثلة في هذه الاسرة .

ويمكن ان نرى ذلك جليا واضحا في قيام يوسف باشا القرمانلي بعقاب كل من حاول التمرد على سلطانه او الرفض لفرض سيطرة القرمانليين على الاقليم من خلال محاربته لقبائل الجوازي والفواید في برقة عام 1812–1815 ميلادي ,الا ان هذا الاسلوب وهذه الطريقة لم تروق كثيرا للعديد من البرقويين او لنكن اكثر دقة للعديد من التكوينات الاجتماعية في برقة والتي رفضت هذا التواجد وهذا النمط من انماط الاحتلال العثماني (القرمانلي) للإقليم .

كذلك فان القرمانليين حاولوا كثيرا التجذير والترسيخ لفكرة بناء تحالفات وتكوينات اجتماعية بديلة للمكونات السياسية والتركيز على العطايا والغنيمة والجزاء الي جانب اللعب على الصرعات والتناقضات القبلية الموجودة اصلا في الاقليم او محاولة استحذت مثل هذه

الاختلافات والتحجيم بتضخيم ما هو موجود منها مسبقا والذي قد يكون صغيرا وضئلا وبتالي الاسهام في خلق هوية وطنية ضعيفة قابلة للتأكل باستمرار ويمثل الانتماء الفردي فيها انتماء للرابطة الاجتماعية والذي بدوره يتغلب على الانتماء للإقليم او الوطن فيما بعد ويصبح بذلك الفرد تحت طائلة هذا النظام (الحكم القرمانلي) مجرد كائن لا يستطيع فهم مؤسسات الدولة ان وجدت واقناع نفسه بها وبدورها وهو بهذا أي الفرد يصبح في حالة استعداد فطري للانتظار لأي فرصة سانحة للثورة والتمرد على السلطة والسلطان لكون التكوينات الاجتماعية التي ينتمي لها الفرد تكتنفها حالة من الربكة وعدم الاستقرار والوضوح والشفافية والريبية في احيانا كثيرة وبتالي انعدام الثقة ولعل هذا الشعور يجعله يشعر بعدم شرعية السلطة ورفضها وضرورة الدعوة الي تغييرها والثورة عليها .

كما ان ادراك البعض الي الهشاشة الداخلية للوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للإقليم اسهم الي حد كبير في تنامي سيطرة القرمانليين على اقليم برقة .

ولقد اسهم هذا الوضع الغير مستقر او الهش كما اسلفنا انفا الي الحيلولة دون تشكل رابطة قومية اسمى وارفع وارقى من الانتماء للإقليم او ما يعرف في ادبيات علم السياسة بالانتماء للوطن بالمفهوم العصري والحديث للوطن (الدولة)

ومن هنا يمكنا ان نخلص الي ان حكم الاسرة القرمانلية لهذا الاقليم والذي استمر زهاء القرن ونيف يكاد يكون قد اسس ورسم لمشهد تقليدي للحياة السياسية في هذا الاقليم من خلال عدم وجود مؤسسات بالمعنى الحديث للمؤسسات بل اعتمد في الاساس على وجود مؤسسات تقليدية ارتبطت الي حد كبير بالعسكرة التي كانت تسيطر على مناحي واوجهه الحياة بمختلف جوانبها الاقتصادية والاجتماعية وقبل ذلك السياسية بطبيعة الحال في هذا الاقليم الي جانب اعتماد القرمانليين في التعامل والتعايش مع السكان المحليين على نمطين اساسيين يكمن الاول في اسلوب الاحتواء والمكافاة ومنح العطايا والهدايا لمن انصاع لهم (القرمانليين)ويتركز الاسلوب الثاني في العقاب والتهديد والوعيد لمن لم ينصاع لاوامر السلطات القرمانلية والتي كان لأسلوبها هذا سبب رئيسي واساسي في عدم نضوج العديد والكثير من الرواى والاتجاهات القومية في هذه المنطقة وهذا الجزء من

الاقاليم التي استعمارتها الامبراطورية العثمانية او حليفتها الاستراتيجية في المنطقة (الاسرة القرمانلية).

قائمة المراجع

1. .علي رمضان ابوبكر ،"دور العامل الايديولوجي في العلاقات الليبية الامريكية"، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة بنغازي (قاريونس سابقا)كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ،قسم العلوم السياسية ،بنغازي –ليبيا 1997م.ش

2. إتوريروسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتي سنة 1911م،ترجمة:خليفة محمد التليسي، طرابلس، الدار العربية للكتاب،2009م

3. تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر للصف التاسع بمرحلة التعليم الأساسي ،ليبيا ،وزارة التربية والتعليم ،2015.

4. رحلة الدكتور باولو دلاشيلا (رحلة من طرابلس إلي الحدود المصرية) جنوا، 1819م ، الطبعة الثانية،1912م.

5. رود لفومكياكي، طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي، ترجمة طه فوزي، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالمية ،بدون طبعة ،1961م.

6. سعد الدين ابراهيم ،مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي ،مرجع سبق ذكره ص.112.انظر:محمد عبدالباقي الهرماسي ،المجتمع والدولة في المغرب العربي ،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ،الفصل 1، "الدولة المخزنية "

7. سعد الدين ابراهيم، مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي، عمان، منتدى الفكر العربي، الطبعة الثانية،1988.

8. صالح السنوسي ،اشكالية المجتمع المدني العربي، "العصبية والسلطة والغرب "القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،2012.

9. علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا ،بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ،ط 1998م.

10. عمر علي بن اسماعيل ، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا (1795 –1835).

أحكام تنظيم الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في القانون السوداني

Provisions for Regulating the Collective Management of Copyright and Neighboring Rights in Sudanese Law

إعداد

د. سيف الدين أحمد أحمد البدوي د. يونس أحمد آدم القدال

المستخلص:

تناولت الدراسة موضوع أحكام تنظيم الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في القانون السوداني. نبعت أهمية الدراسة في كثرة الاعتداءات المتكررة على حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة وانتهاكها والمتاجرة بها بطرق غير مشروعة مما يستدعي إلى تكوين هيئات إدارة جماعية متخصصة تعمل على إدارة وحماية حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة. هدفت الدراسة إلى التعريف بهيئات الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلفين والحقوق المجاورة وبيان نشأتها وتطورها التاريخي، وإيضاح النظام القانوني لهيئات الإدارة الجماعية ومهامها ومتطلباتها، وإبراز الجانب التشريعي السوداني الخاص بتنظيم هيئات الإدارة الجماعية. كمنت مشكلة الدراسة في ما هي المبررات الفنية التي من أجلها قامت ونشأت هيئات الإدارة الجماعية، وما هو الأساس والشكل القانوني الذي تقوم عليه هيئات الإدارة الجماعية، وما هي مهام ومتطلبات هيئات الإدارة الجماعية. نهجت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمقارن. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: تلعب هيئات الإدارة الجماعية لحقوق المؤلفين والحقوق المجاورة دوراً فاعلاً في حماية وتحصيل حقوق أعضائها والدفاع عن

حقــوقهم. تــؤدي جمعيــات هيئــات الإدارة الجماعيــة دور الوســيط والــرابط بــين أصــحاب الحقــوق والمنتفعــين بهــذه الحقــوق، تشــكل هيئــات الإدارة الجماعيــة لحقــوق المــؤلفين والحقــوق المجــاورة الحــل الأمثــل لإدارة حقــوق المــؤلفين وأصــحاب الحقــوق المجــاورة أمــام التطــور التقنــي المتصــاعد وســرعة انتشــار وتبــادل المصــنفات الفكريــة عبــر شــبكة الإنترنــت والأقمــار الصــناعية. قــدمت الدراســة عــدداً مــن التوصــيات أهمهــا: ضــرورة تأسيس هيئــة إدارة جماعيــة ســودانية علــى أســس حديثــة تحقــق حمايــة حقيقيــة وفاعلــة للمــؤلفين وأصــحاب الحقــوق المجــاورة الســودانيين، وتأخــذ شــكل الهيئــة العامــة وتكــون تحــت إشــراف وزارة الثقافــة والإعــلام الســودانية، ضــرورة أن يــنص المشــرع العربــي علــى نظــام الإدارة الجماعيــة فــي الاتفاقيــات العربيــة لحمايــة حقــوق المؤلف لسنة 1981م.

Abstract

The study dealt with the subject of the provisions governing the collective management of copyright and neighboring rights in the law. The importance of the study stems from the frequent attacks on the rights of authors and neighboring rights holders, violations and illegal trade in them, which calls for the formation of specialized collective management bodies working to manage and protect the rights of authors and neighboring rights holders..The study aimed to introduce the collective management bodies to protect the rights of authors and neighboring rights and to indicate their origin and historical development. Clarifying the legal system of collective management bodies, their tasks and requirements, and highlighting the Sudanese legislative aspect of organizing collective management bodies. The problem of the study is that Sudanese legislation is new to collective management as mechanism to protect the rights of authors and neighboring holders, as well as the lack of Sudanese collective management concerned with protecting the rights of Sudanese authors and neighboring holders and the lack of

knowledge of the great role played by collective management societies as mechanism to protect and defend fights. the study took the descriptive analytical and comparative approach, the study reached several conclusions, including: The collective management bodies for the rights of authors and neighboring rights play an active role in protecting and collecting the rights of their members and defending their rights. The collective management bodies associations play the role of mediator and link between rights holders and beneficiaries of these rights. The collective management bodies for the rights of authors and neighboring rights constitute the solution. Optimal management of the rights of authors and holders of neighboring rights in the face of the escalating technical development and the rapid spread and exchange of intellectual works via the Internet and satellites. The study presented a number of recommendations, the most important of which are: The need to establish a Sudanese collective management body on modern foundations that achieve real and effective protection for Sudanese authors and neighboring rights holders, and take the form of a general body and be under the supervision of the Sudanese Ministry of Culture and Information. The need for the Arab legislator to stipulate the collective management system in the Arab agreements for the protection of copyrights of 1981.

مقدمة:

قديماً كان المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة يقومون بتحصيل حقوقهم المالية بأنفسهم أو عن طريق الغير، ولكن في الوقت الحاضر ونتيجة للتطور والتقدم التقني في مجال الاتصالات الحديثة من محطات راديو وقنوات تلفزة فضائية وشبكات معلومات وأقمار صناعية أدى إلى إذاعة وبث وانتشار المصنفات بسرعة مذهلة للجمهور في مختلف أنحاء العالم مما ألقى على كاهل

أصحاب هذه الحقوق عبئاً كبيراً عندما يقررون نقل أو إذاعة أو بث حقوقهم وتوصيلها إلى الجمهور حيث لم يعد بمقدور المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة من أن يتابعوا مصنفاتهم وأدائاتهم وتسجيلاتهم الصوتية حتى يحصلوا على عوائد استغلالها وإبرام عقودات النشر والبث الإذاعي، لذلك نشأت ووجدت هيئات وجمعيات تقوم بتحصيل عوائد استغلال المصنفات والأداءات والتسجيلات الصوتية والبرامج الإذاعية نيابة عن المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة مما لها من إمكانيات وعلاقات مع الجمعيات والهيئات المماثلة تستطيع أن تتابع المصنفات والأداءات والتسجيلات الصوتية والبرامج الإذاعية وتتحصل على عوائد استغلالها في أي مكان في العالم وتوزعها على أصحاب الحقوق وفقاً لعائد كل واحد منهم.

قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة السوداني لعام 2013م نظم لأول مرة بنصوص قانونية صريحة الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة من خلال الفصل السابع حيث نص على إنشاء الإدارة الجماعية لتتولى مهمة إدارة وتحصيل الحقوق المالية للمؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة السودانيين ونص أيضاً على اختصاصات وسلطات الإدارة الجماعية وترك للنظام الأساسي الخاص بالإدارة الجماعية تحديد كيفية إجراءات تنظيم عمل الإدارة الجماعية وانضمام العضوية لها.

أسباب اختيار الموضوع:

تتمثل أسباب اختيار موضوع أحكام تنظيم الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في القانون السوداني في الآتي:

1/ حاجة المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة من فناني الأداء ومنتجي التسجيلات الصوتية وهيئات الإذاعة لنظام الإدارة الجماعية لحماية حقوقهم وتوفير حد أدنى من الحماية الاجتماعية وتنمية روح التضامن والتكافل بينهم.

2/ قلة الدراسات والبحوث العلمية السودانية الخاصة بنظام الإدارة الجماعية.

3/ دعم الجهات المختصة ومنظمات المجتمع المدني السودانية بمادة علمية تزيد من التوعية بأهمية الموضوع.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة في النواحي التالية:

1/ حماية حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة بواسطة الإدارة الجماعية تعد مسألة حديثة ومعاصرة لها علاقة برسم سياسات الدول من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والتجارية، بسبب ما يشهده العالم من ثورات في عالم التكنولوجيا الصناعية والرقمية.

2/ الاعتداءات المتكررة على حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة وانتهاكها والمتاجرة بها بطرق غير مشروعة مما يستدعي الانتباه إلى تكوين هيئات إدارية متخصصة تعمل على إدارة حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة والدفاع عنها وتحصيل عوائد استغلالها ووقف الاعتداءات عليها.

3/ ما لحماية حقوق الملكية الفكرية بصفة عامة وحقوق المؤلفين والحقوق المجاورة بصفة خاصة عبر هيئات الإدارة الجماعية من آثار إيجابية في شتى المجالات من إذكاء روح الطموح لدى المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة، وتحفيز روح التنافس الشريف في مجال الإبداع وتعزيز لقيم الحق والعدل والفضيلة واحترام الحقوق.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

1/ التعريف بالإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلفين والحقوق المجاورة من حيث النشأة والتطور.

2/ إيضاح النظام القانوني لهيئات الإدارة الجماعية ومهامها ومتطلباتها.

3/ إبراز وتوضيح الجانب التشريعي السوداني الخاص بتنظيم الإدارة الجماعية مقارنة مع بعض التشريعات العربية.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في أن التشريع السوداني حديث عهد بالإدارة الجماعية كآلية لحماية حقوق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة فضلاً عن عدم قيام إدارة جماعية سودانية حديثة تُعنى بحماية حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة السودانيين، وعدم المعرفة بالدور الكبير الذي تؤديه جمعيات الإدارة الجماعية كآلية لحماية حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة والدفاع عنها، وهذا يقودنا للتساؤل عن ماهية الإدارة الجماعية وما هي المبررات التي من أجلها قامت ونشأت؟ وما هو الأساس أو الشكل القانوني الذي تمثله تلك الإدارات أو الهيئات سواء على صعيد المستوى التشريعي الوطني أو المقارن؟ وما هي مهام ومتطلبات هيئات الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة؟

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمقارن.

هيكل الدراسة:

جاءت الدراسة في مقدمة ومبحثين كل مبحث قسم إلى مطالب وخاتمة، كما يلي:

المبحث الأول: نشأة وتطور الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

المطلب الأول: التعريف بالإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

المطلب الثاني: نشأة وتطور نظام هيئات الإدارة الجماعية.

المطلب الثالث: نظام الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في الدول العربية.

المطلب الرابع: مبررات قيام الإدارة الجماعية.

المبحث الثاني: النظام القانوني لهيئات الإدارة الجماعية ومهامها.

المطلب الأول: أشكال ومتطلبات الإدارة الجماعية.

المطلب الثاني: مهام هيئات الإدارة الجماعية.

خاتمة: النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

نشأة وتطور الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة

الحاجة الملحة لوجود مؤسسة أو هيئة تعني بالتوزيع والمحافظة على حقوق المؤلف وحقوق أصحاب الحقوق المجاورة قاد إلى استنباط نوع من الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلفين والحقوق المجاورة بعد ما ثبت من خلال التجربة العملية عدم إمكانية قدرة أصحاب هذه الحقوق من إدارة أعمالهم الأدبية والفنية بأنفسهم خاصة في ظل التطور التقني المتصاعد وسرعة تبادل المصنفات الأدبية والفنية والأداءات والتسجيلات الصوتية والبرامج الإذاعية بواسطة الإنترنت وعبر الأقمار الصناعية.

يتناول المبحث الأول النشأة والتطور للإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة من خلال أربعة مطالب الأول للتعريف بالإدارة الجماعية والثاني لنشأة وتطور الإدارة الجماعية والثالث لنظام الإدارة الجماعية في الدول العربية والرابع لمبررات قيام الإدارة الجماعية.

المطلب الأول

التعريف بالإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة

القانون السوداني مثل غيره من التشريعات العربية المقارنة الخاصة بحماية حقوق الملكية الفكرية لم يتطرق لتعريف ماهية الإدارة الجماعية، وترك تعريف الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة لاجتهادات الفقه القانوني.

أولاً: تعريف الإدارة الجماعية في الفقه القانوني:

عرف الفقه القانوني الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة من حيث الإصلاح القانوني إلى عدد من التعريفات.

عرفت الإدارة الجماعية بأنها[1]: "تعني أن تتولى جمعيات أو هيئات متخصصة إدارة وتحصيل وجباية عوائد الاستغلال المالي لحق المؤلف ولأصحاب الحقوق المجاورة بطوائفه الثلاثة فناني الأداء ومنتجي التسجيلات الصوتية وهيئات الإذاعة، وذلك بأن يعهد أصحاب هذه الحقوق لهذه الجمعيات أو الهيئات بأن تتولى نيابة عنهم تحصيل عوائد الاستغلال المالي لحقوقهم وتوزيعها بعد خصم النفقات والمصروفات الإدارية بين المستفيدين"[2].

وعرفت كذلك بأنها: ذلك التسيير الذي تتولاه شركات أو جمعيات من أجل القيام بأعمال التسيير للحق المالي والمعنوي للمؤلف ولأصحاب الحقوق المجاورة بصفتها وكيلاً قانونياً[3]. عرفت أيضاً بأنها: كيان خاص ينشأ لتمثيل أصحاب حق المؤلف والحقوق المجاورة وقد تكون إدارة أهلية أو حكومية وتبدأ بحصر المؤلفين ومصنفاتهم (وأصحاب الحقوق المجاورة) وتدريب الإدارة للقيام بمهام الإدارة من مفاوضات وعقد الاتفاقيات مع المستغلين ومنح تراخيص الاستغلال، وتحصيل المقابل وتوزيعه وفقاً لما هو محدد له[4].

---

(1) a society for collective management of copyright, that makes the task easier by acting as intermediary between user and the right owners. Such collective management organizations act in the interest, and on behalf of, the owners of copyright. They monitor the uses of works, negotiate all authorizations and remuneration with users, and distribute copyright royalties to their members, according to established rules. "Marketing crafts and visual Arts: the role of intellectual property apractial guide", international trades center unctad and world intellectual property organization, Geneva, 2003, p: 64.

(2) د. حسن حسين البراوي، الحقوق المجاورة لحق المؤلف، دار النهضة العربية للنشر، الطبعة الأولى، 2005/2004م، ص: 207.

(3) د. محمد عريقات، الإطار القانوني لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة عبر منظمات الإدارة الجماعية في القانوني الفلسطيني، جامعة القدس، منشورات باحثي الجامعة، بتاريخ 2019/10/10م على الموقع الإلكتروني: https://dspace.a/quds.edu/handle/20-500-12213/5092.

(4) د. أنور أحمد حمرون، الملكية الفكرية وفقاً للاتفاقيات الدولية والمعاهدات الدولية والقوانين السودانية، الطبعة الثالثة، 2013م، ص: 223.

ثانياً: تعريف الإدارة الجماعية في النظام الأساسي للاتحاد الدولي للمؤلفين:

عرفت المادة (5) من النظام الأساسي للاتحاد الدولي للمؤلفين ومؤلفي الموسيقى بأن هيئة إدارة حقوق المؤلف هي: "أي هيئة يكون غرضها النهوض بالحقوق المعنوية للمؤلفين والدفاع عن مصالحهم المالية وتقوم بذلك بصورة فعلية"[1].

ثالثاً: تعريف الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في التشريع النموذجي العربي لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة في الوطن العربي لسنة 1998م:

نصت المادة (46) من التشريع النموذجي العربي[2] على أنه:

---

[1] أدت التكنولوجيات التي بدأت في الظهور في أواخر القرن التاسع عشر من أسطوانات ثم السنما فالراديو في مرحلة أولى ثم التلفزيون وشبكات الكابلات والبث عبر التوابع الصناعية فيما بعد إلى إيجاد سوق عالمية للموسيقى جعل من متابعة استخدام المصنفات عبر الحدود أشد ضرورة وأكثر تعقيداً، وبدأ توقيع عقود تبادل التحصيل بين هيئات المؤلفين في سنة 1926م اتفقت ثماني عشر هيئة من هذه الهيئات فيما بينها بهدف التنسيق بين علاقاتها الدولية وتعزيزها وترتب على هذا التعاون إنشاء الاتحاد الدولي لهيئات الإدارة الجماعية باريس بحيث يحق للجمعيات الوطنية التي تتولى إدارة حقوق المؤلفين والحقوق المجاورة الانضمام لهذا الاتحاد. في عام 1990م بلغ عدد هيئات الإدارة الجماعية المنضمة إلى هذا الاتحاد "144" هيئة تنتمي إلى "72" دولة تنتشر في القارات الخمسة. داليا ليبزيك، حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، ترجمة: د. محمد حسام لطفي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1424هـ/2003م، ص: 428. الآن ونحن في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي وثورة المعلومات الرقمية وانتشار القنوات الفضائية ومحطات الراديو والبث عبر الإنترنت والأقمار الصناعية زاد عدد الهيئات الوطنية التي انضمت إلى الاتحاد الدولي لهيئات المؤلفين والملحنين.

[2] أعدت هذا التشريع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كقانون نموذجي لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة على نطاق الدول العربية أجيز في عام 1998م بالجزائر عاصمة الجمهورية الجزائرية، وأُعتمدت الاتفاقية العربية لحماية حقوق المؤلف في الوطن العربي لسنة 1981م كأساس لهذا التشريع بالرغم من أن الاتفاقية العربية لحماية حقوق المؤلف لم تتضمن نصوص قانونية خاصة لحماية الحقوق المجاورة والإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، وهذا نقص تشريعي نأمل أن يتداركه المشرع العربي في أقرب تعديل لهذه الاتفاقية العربية وينص على حماية أصحاب الحقوق

"يجوز لأصحاب حقوق المؤلف والحقوق المجاورة في مفهوم أحكام هذا القانون أن يتنازلوا عن حقوقهم المالية إلى جمعية مهنية متخصصة أو أكثر لتتولى إدارة هذه الحقوق باسمها ولحسابها باعتبارها خلفاً خاصاً لهم، وتعد العقود التي تبرمها هذه الجمعيات في هذا الصدد عقوداً مدنية".

من النص أعلاه نلاحظ أن المشرع العربي قد وضع مفهوم الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة وهو يتفق من حيث التعريف للإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلفين والحقوق المجاورة مع تعريفات الفقه القانوني للإدارة الجماعية سابقة الذكر. نرى أن أهم ما يميز التشريع النموذجي العربي الخاص بحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة في الوطن العربي أنه نص على الإدارة الجماعية كمفهوم عام أي مبدأ عام وترك للدول الأعضاء وضع واختيار النظام القانوني الخاص بالإدارة الجماعية المناسب لها.

من خلال التعريفات السابقة للإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة يبدو لنا أن نشاط هذه الإدارات الجماعية يشتمل على أمرين هما: إدارة حقوق المؤلف وحقوق أصحاب الحقوق المجاورة وتحصيل عوائد الاستغلال المالي لأصحاب هذه الحقوق وتوزيعها على المستفيدين، والثاني هو النهوض بالمصالح المعنوية لأصحاب حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

المجاورة في الوطن العربي وإنشاء إدارات جماعية للعمل على حماية حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة العرب.

المطلب الثاني
نشأة وتطور نظام الإدارة الجماعية

عرفت الدول الأوروبية المتقدمة الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة كوسيلة لحماية أصحاب هذه الحقوق مبكراً قبل الدول العربية ونصت عليها في تشريعاتها الوطنية الخاصة بحماية الملكية الأدبية والفنية ومن أمثلة هذه الدول فرنسا على المستوي الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية.

أولاً: الإدارات الجماعية التي تعنى بحماية حقوق المؤلف:

تعتبر فرنسا رائدة فكرة الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف حيث تم إنشاء أول هيئة مسئولة عن الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف في فرنسا، ويرجع تاريخها إلى عام 1777م، حيث أُنشئ مكتب التشريع المسرحي ويعد هذا المكتب الأصل الذي انبثقت عنه أول هيئة للمؤلفين في التاريخ تقوم برعاية مصالح وحقوق المؤلفين الأعضاء فيها، وهي: هيئة المؤلفين المسرحيين التي أنشئت بعد نصف قرن سنة 1829م، والتي لا تزال قائمة حتى اليوم[1].

أما التمهيد لقيام إدارة جماعية متطورة فقد بدأ عام 1840م، عندما رفع الملحنان (بول هنريون) و(فكتور يريزوا) والمؤلف (أرنس بورجي) دعوى قضائية ضد مقهى (السفراء) في باريس، وذلك بعد أن لاحظوا التناقض الواضح في أنهم يدفعون أجرة المقاعد التي يجلسون عليها أو الوجبات والمشروبات التي يطلبونها، بينما لا يدفع صاحب المقهى لقاء أعمالهم الفنية التي تؤديها فرقته الموسيقية الملحقة بالمقهى، وبعد المقاضاة كسب المؤلفون القضية واضطر صاحب المقهى أن يدفع لهم مستحقاتهم وقد جاء قرار المحكمة مبشراً بفاتحة عهد جديد للملحنين والمؤلف بعد إمكانية الدفاع عن حقوقهم فرادى، وهذا ما

[1] ياسر موسى كباشي، الإدارة الجماعية لحق المؤلف في الفقه والقانون، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، 2009م، ص: 31.

أدى إلى تأسيس جمعية عام 1850م تتولى تحصيل الحقوق والتي تحولت إلى جمعية المؤلفين والملحنين وناشري الموسيقى عام 1851م، والتي تقوم بمنح التراخيص لأصحاب حقوق التأليف وتحصيل حقوق المؤلف نظير ما يتم من حفلات موسيقية، والتي مازالت قائمة في فرنسا حتى اليوم[1].

حذت معظم الدول الأوروبية وغيرها حذو النموذج الفرنسي وأنشئت منذ نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين العديد من هيئات الإدارة الجماعية مثل جمعية الملحنين والمؤلفين والناشرين الأمريكية عام 1911م والتي تعرف باسم (ASCAP) وكان من الضروري قيام أوجه التعاون بين هذه الجمعيات لتحقيق حماية قوية وفعالة لحقوق المؤلفين في العالم، وهو ما أدى إلى قيام الاتحاد الدولي لجمعيات المؤلفين والملحنين عام 1926م، ويحق للجمعيات الوطنية التي تتولى إدارة حقوق المؤلفين الانضمام إلى هذا الاتحاد[2]. يعقد الاتحاد كل سنتين مؤتمراً لتوضح التقدم في الحماية الجماعية لحق المؤلف[3] كما يحتوي الاتحاد

---

[1] المرجع السابق، ص: 34.

[2] د. إبراهيم أحمد إبراهيم، الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف مع التطبيق على الأساليب التكنولوجية، بحث منشور في حقوق المؤلف في الوطن العربي في إطار التشريعات العربية الدولية، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1999م، ص: 75.

[3] حق المؤلف من الحقوق الفكرية التي ترد على شيء معنوي غير مادي لا يدرك بالحس، وعلى هذا الأساس له طبيعة خاصة وبالتالي يصعب وضع تعريف محدد له. القانون السوداني ومعظم القوانين المقارنة تجنبت وضع تعريف لهذا الحق تاركةً ذلك لاجتهادات الفقه. عرف بعض فقهاء القانون حق المؤلف بأنه: "عبارة عن أنشطة مجاورة وملاصقة لحق المؤلف تهدف إلى وضع المصنفات الأدبية والفنية موضع التنفيذ والعمل على نشرها". د. حسن حسين البراوي، الحقوق المجاورة لحق المؤلف، مرجع سابق، ص: 16.

على عدة لجان تجمع المؤلفين والتقنيين والإداريين وتجتمع كل سنة لتحديث أساليب الإدارة الجماعية[1].

بدأ المشرع الفرنسي ينظم الإدارة الجماعية كآلية لإدارة الحقوق المالية للمؤلفين بقانون 3 يونيو 1985م ثم تبنى قانون الملكية الفكرية الحالي ذات الفكرة أيضاً حيث أفرد لها المواد (من L.321-1 حتى L.321-12)[2].

ثانياً: الإدارة الجماعية التي تعنى بحماية الحقوق المجاورة:

فكرة الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة[3] نشأت أولاً في الجمهورية الفرنسية ومنها انتقلت إلى باقي الدول الأوروبية ثم بعد ذلك انتقلت إلى معظم دول العالم.

عرف كذلك بأنه: "هو ذلك الحق الذي يثبت لكل مؤلف على مصنفه الفكري الذي نتج عن فكرة سواء كان مصنفاً علمياً أو أدبياً أو فنياً، وأياً كانت وسيلة التعبير عنه بالكتابة أو النحت أو التصوير أو الرسم أو الفنون، أو غير ذلك من الصور التي تعبر عن نتاج الذهن أو الفكر". د. شحاته غريب شلقامي، الملكية الفكرية في القوانين العربية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2008م، ص: 104. ذهب رأي آخر إلى تعريف حق المؤلف بأنه: "سلطة يمارسها المؤلف على أعماله التي يبتكرها سواء شفوية كانت أم كتابة، أم مرئية، أم فنية مثبتة وفقاً للقانون". د. محمد خليل يوسف أبو بكر، حق المؤلف في القانون المقارن، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 28.

[1] د. حسام أحمد حسين مكي، المسئولية القانونية المترتبة على انتهاك حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، المركز السوداني لدراسات الملكية الفكرية، الخرطوم، الطبعة الأولى، 2013م، ص: 188.

[2] د. مصطفى أحمد أبو عمرو، حق المؤلف في التتبع، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2016م، ص: 161.

[3] القانون السوداني مثل غيره من التشريعات المقارنة التي أفردت نصوصاً قانونية خاصة لحماية الحقوق المجاورة لحق المؤلف لم يعرف ماهية الحقوق المجاورة وإنما اقتصر على ذكر أصحاب الحقوق المجاورة، والحقوق المجاورة في القانون السوداني تضم ثلاثة طوائف فقط هي طائفة فناني الأداء، وطائفة منتجي التسجيلات الصوتية، وأخيراً طائفة

توجد في فرنسا شركتان كبيرتان تديران حقوق الأداء: الشركة الأولى هي الشركة المدنية لإدارة حقوق فناني الأداء الموسيقي والرقص (A.D.A.M)، والثانية هي شركة تحصيل وتوزيع حقوق فناني الأداء الموسيقي (S.B.E.D.I.D.A.M)، الشركة الأولى أنشئت عام 1955م، لإدارة حقوق فناني الأداء وحصلت هذه الشركة في عام 1991م على أكثر من 180 مليون فرنك، أما الشركة الثانية فقد أنشئت في عام 1959م، لإدارة حقوق فناني الأداء المسجلة على تسجيلات صوتية أو سمعية بصرية، وقد حصلت هذه الشركة في عام 1989م على ما يقرب من 65 مليون فرنك.

كما توجد في فرنسا أيضاً شركتان تديران حقوق منتجي التسجيلات الصوتية، الأولى هي الشركة المدنية لإدارة حقوق منتجي التسجيلات الصوتية (SCPP)، والثانية هي الشركة المدنية لمنتجتي التسجيلات في فرنسا (SPPF)، وقد أنشئت الأولى في عام 1985م والثانية في عام 1986م، وفي نطاق المصنفات السمعية البصرية توجد الشركة المدنية لتحصيل وتوزيع حقوق ممثلي الأفلام السينمائية التي أنشئت في عام 1975م لإدارة ومباشرة الحقوق الناشئة عن نشر الأفلام عن طريق التلفزيون وكل الطرق والوسائل السمعية البصرية الأخرى[1].

هيئات الإذاعة. عرفه الفقه القانوني الحقوق المجاورة بعدد من التعريفات منها: "تلك الحقوق المترتبة على حق المؤلف والمشابهة له من تحوير فني لهذا العمل لتقديمه للجمهور أو أو تلك التسجيلات الصوتية المتصلة به. وعرفت أيضاً بأنها: "تلك الحقوق التي يكون موضوعاها نقل المصنفات إلى الجمهور سواء كانت عن طريق الأداء أو التمثيل أو عن طريق التسجيل السمعي أو السمعي البصري أو عن طريق البث الإذاعي والتلفزيوني". د. عبد الرحمن خليفي، الحماية الجزائية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة. منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2007م، ص: 88.

[1] د. حسن حسين البراوي، الحقوق المجاورة لحق المؤلف، مرجع سابق، ص: 208.

من أمثلة الإدارات التي تعنى بالحقوق المجاورة وخاصة حقوق فناني الأداء ومنتجي الفونوغرام في العالم (LSG) في النمسا، و(SOCINPRO) في البرازيل و(GRAMFX) في الدنمارك، و(GRAMFX) الفنلندية في فلندا، و(GVL) في ألمانيا، وفي بلدان أخرى توجد لكل فئة مستقلة هيئة إدارة[1] مثل (SAMI) في السويد المعنية بحقوق فناني الأداء و(PPL) في المملكة المتحدة[2].

اتجه عدد من الدول الأوروبية لإصدار قوانين خاصة بالإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة منها على سبيل المثال (سلوفينيا) حيث أصدرت قانون خاص بالإدارة الجماعية لحق المؤلف والحقوق المجاورة، اعتمد هذا القانون الخاص الجديد في 22/ سبتمبر/ 2016م، ودخل حيز التنفيذ في 22/ أكتوبر/ 2016م. ألغى القانون الخاص الأحكام المتعلقة بالإدارة الجماعية في قانون حق المؤلف والحقوق المجاورة، وأدرج القانون الجديد لوائح جديدة تتعلق بجملة أمور منها:

1/ الإدارة الجماعية الإلزامية لمصنفات الموسيقى غير المسرحية، والمصنفات الأدبية واستنساخ المصنفات للاستخدام الخاص والأغراض الداخلية الأخرى والنسخ وإعادة البث عبر الكابل.

2/ الترخيص متعدد الأقاليم لحقوق المصنفات الموسيقية على الإنترنت.

---

(1) There are five collective management of copyright in China, namely: MCSC, CAVCA the China written works copyright society (CWWCS), the images copyright society of China (ICSC), and the China Flim copyright Association (CFCA). Haijun Lu, Chinese collective management of copytight: the need of extensive changes, Queen Mary journal of intellectual property, Volume 6, Number 2, 2016, Edward Elgar publishing, 2016, P: 178.

(2) د. رمزي رشاد عبد الرحمن الشيخ، الحقوق المجاورة لحق المؤلف، دار الجامعة الجديدة، 2008م، ص: 267.

3/ حرية أصحاب الحق في اختيار منظمات الإدارة الجماعية التي تمثلهم.

4/ المساواة في معاملة فئات أصحاب الحقوق والتوزيع العادل للأتاوات.

5/ وضع آليات فعالة لتسوية المنازعات التي يديرها مجلس حق المؤلف، وخاصة فيما يتعلق بتعريفات استخدام مصنفات المؤلفين وشروط الترخيص وتعويض الحقوق أو سحبها[1].

المطلب الثالث

نظام الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في الدول العربية

نظام الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة لم يحظ في الدول العربية بالقدر الكافي من العناية والاهتمام، فلم تنشأ جمعيات للإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة سوى في عدد قليل من الدول، مصر، ولبنان، والمغرب، وتونس، والجزائر، وسنتناول هذه البدايات في كل من مصر ولبنان والجزائر وتونس وأخيراً السودان، مع الإشارة لبعض القوانين العربية الحديثة التي تبنت فكرة الإدارة الجماعية كآلية لإدارة حقوق المؤلف وحقوق أصحاب الحقوق المجاورة.

أولاً: مصر:

بدأت التجربة المصرية للإدارة الجماعية عام 1959م، حيث أسست جمعية تسمى (جمعية المؤلفين والملحنين والناشرين) وقد حدد النظام الأساسي

[1] الموقع الرسمي للمنظمة العالمية للملكية الفكرية على شبكة الإنترنت: http://www.wipo.

لهذه الجمعية الأحكام الخاصة باختصاصها باعتبارها صاحبة الحق في إصدار التراخيص المنصوص عليها في قانون حق المؤلف المصري، لكونها خلفاً له حيث يتمتع العضو بمباشرة هذه الحقوق، أصبحت هذه الجمعية ممثلة لكل من المؤلفين والملحنين والناشرين في مصر وسائر بلاد العالم[1].

ترتبط هذه الجمعية بجمعيات مماثلة في الدول الأخرى تعقد تبادل للتحصيل والمعاملة بالمثل، كالعقد المبرم بينها وبين جمعية المؤلفين والملحنين وناشري الموسيقى الفرنسية، والذي تعتبر الجمعية المصرية بموجبها ممثلة للجمعية الفرنسية في مصر كما تعبر الأخيرة ممثلة للأولى في فرنسا، وتتبادل الجمعيات ما تتحصله كل منهما لصالح الأخرى، ثم يتم بعد ذلك توزيع ما يتم تحصيله لحساب الأعضاء كل بحسب نسبة استغلال مصنفه[2]، وقبلت هذه الجمعية عضواً في الاتحاد الكونفدرالي الدولي لشركات المؤلفين (ISAC).

نلاحظ أن جمعية المؤلفين والملحنين والناشرين المصرية قد أسست بعد صدور قانون حماية حق المؤلف المصري لسنة 1954م، والذي يعتبر أول قانون مصري يصدر كتشريع خاص لحماية حق المؤلف، ونلاحظ أيضاً أن قانون حماية حقوق الملكية الفكرية المصري الجديد لسنة 2002م، لم ينص صراحةً على نظام الإدارة الجماعية لحماية حق المؤلف والحقوق المجاورة، إلا أن الدكتور العالم الجليل/ عبد الفتاح بيومي حجازي يرى بالرغم من عدم وجود نص في القانون المصري الجديد بشأن الإدارة الجماعية، إلا أنه يستفاد ضمناً من أحكامه وذلك من خلال نص المادة (149) التي نصت: "للمؤلف أن ينقل إلى

---

[1] نعيم مقبقب، الملكية الأدبية والفنية والحقوق المجاورة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، البعة الثانية، 2008م، ص: 290.

[2] ياسر موسى آدم كباشي، الإدارة الجماعية لحق المؤلف في الفقه الإسلامي والقانون، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، 2009م، ص: 31.

الغير كل أو بعض حقوقه المالية المبينة في هذا القانون..الخ"، ومصطلح الغير ينصرف في هذا الغرض إلى المؤلف وغيره بما فيها الناشرين والجمعيات ذات العلاقة[1].

ثانياً: لبنان:

تضمن قانون حماية الملكية الأدبية والفنية اللبناني لسنة 1999م، في المواد (58 إلى 75) على جواز تأسيس جمعيات أو شركات مدنية لإدارة حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة وقد نظم القانون اللبناني هذه الإدارات من حيث التأسيس والأحكام والرقابة عليها، ويعد من أفضل التشريعات العربية الحديثة التي نظمت الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

كانت البدايات في عام 1942م، عندما تم إنشاء فرع لشركة (SACFM) الفرنسية حيث عهد إليه إدارة الحقوق الجماعية في لبنان، حيث انتسب إليها المؤلفون والملحنون اللبنانيون، فأصبحوا أعضاء في الشركة الأم في باريس، وكانت أعمالهم تدار وتحمى من قبل الفرع في بيروت في كافة الدول الأخرى التي وقعت على اتفاقيات تمثيل متبادلة. في عام 1962م تم تأسيس جمعية المؤلفين والملحنين وناشري الموسيقى اللبنانية في لبنان بحسب نظام الجمعيات اللبناني أقدمت هذه الجمعية على توقيع بروتوكول تعاون مع الشركة الفرنسية (SACFM) العاملة في لبنان، أوكلتها بموجبه القيام بأعمال التحصيل والتوزيع وإدارة حقوق أعضائها، حيث تقوم الجمعية اللبنانية بالتدقيق في ملفات

[1] د. عبد الفتاح بيومي حجازي، حقوق المؤلف في القانون المقارن، بهجان للطباعة والتجليد، جمهورية مصر العربية، الزقازيق، الطبعة الأولى، 2009م، ص: 267.

المنتسبين الأعضاء الجدد والتصريح عن الأعمال الجديدة، وتتولى الشركة الفرنسة (SACFM) دفع المصاريف والنفقات الإدارية[1].

ثالثاً: الجزائر:

تعد الجزائر من أوائل الدول العربية التي عملت على إنشاء نظام الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة، حيث تم إنشاء الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في 25/ يوليو/ 1973م، وأدخلت عليه العديد من التعديلات الخاصة بنظامه الإداري وكان آخر تعديل عام 1998م، والديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة هو مؤسسة عامة ذات طابع صناعي وتجاري، يتمتع بالشخصية المعنوية والاستغلال المالي، يخضع لقواعد الإدارة في العلاقة مع الدول، ويعتبر تاجراً بالنسبة إلى الغير[2].

نظم قانون حقوق المؤلف والحقوق المجاورة الجزائري الجديد لسنة 2003م نظام الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة بصورة جيدة وخصص لها المواد من (130 إلى 138).

رابعاً: تونس:

أنشأت الهيئة التونسية لحماية حقوق المؤلفين بشكل شركة للإدارة الجماعية لحقوق المؤلف في 20/ حيزران/ 1968م بموجب المادة (31) من قانون الملكية الأدبية والفنية تحت اسم جمعية المؤلفين والملحنين التونسيين، لكن في عام 1994م تم حل هذه الجمعية بموجب القانون رقم 42 لسنة 1994م، وإنشاء الهيئة التونسية لحماية حقوق المؤلف، تعتبر هذه المؤسسة عامة ذات

---

(1) نعيم مقبقب، الملكية الأدبية والفنية والحقوق المجاورة، مرجع سابق، ص: 290.

(2) المرجع السابق، ص: 290.

طابع تجاري وصناعي تتمتع بالشخصية الاعتبارية[1]. آخر تعديل أدخله المشرع التونسي على قانون حماية حق المؤلف كان في عام 2009م قانون عدد "33" لسنة 2009م الخاص بنظام الإدارة الجماعية المواد (48، 49) من الباب الثامن، والذي أوضح من خلالها شروط الانضمام لهذه الإدارات وحقوق وواجبات الأعضاء ومهام هذه الإدارات. نلاحظ أن المشرع التونسي من خلال هذا التعديل الأخير استخدم مصطلح أو عبارة الهيكل المكلف بالتصرف الجماعي في حقوق الملف والحقوق المجاورة بدلاً عن مصطلح المؤسسة التونسية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

خامساً: الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة في القانون السوداني:

المشرع السوداني لم يفرد نصوصاً قانونية لنظام الإدارة الجماعية لحماية حق المؤلف والحقوق المجاورة في ظل القوانين السابقة الملغية الخاصة بحماية المؤلف والحقوق المجاورة (قانون حق المؤلف 1974م، وقانون حق المؤلف والحقوق المجاورة لسنة 1996م)[2].

---

[1] المرجع السابق، ص: 291.

[2] السودان من أوائل الدول العربية والأفريقية التي اهتمت بحماية حق المؤلف حيث صدر أول قانون سوداني خاص لحماية حق المؤلف في عام 1974م حيث كانت الحماية في هذا القانون مقصورة فقط على حقوق المؤلف وفي عام 1996م، أصدر المشرع السوداني قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة، ونلاحظ أن الحماية في هذا القانون شملت لأول مرة الحقوق المجاورة، ويعد قانون 1996م تطور تشريعي للمشرع السوداني، ويحمد للمشرع السوداني حمايته للحقوق المجاورة. وأخيراً في عام 2013م أصدر المشرع السوداني قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة والمصنفات الأدبية والفنية لسنة 2013م الذي دمج فيه حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة والمصنفات الأدبية والفنية

بدأ الاهتمام بنظام الإدارة الجماعية لحماية حق المؤلف والحقوق المجاورة في السودان في منتصف عام 2005م حيث نوقشت أوراق علمية خاصة بنظام الإدارة الجماعية لحماية حق المؤلف والحقوق المجاورة في المنتدى الثالث للملكية الفكرية الذي نظمته المنظمة العالمية للملكية الفكرية بالتعاون مع الإدارة العامة للجمارك السودانية بالخرطوم (في الفترة من 28 – 30 نوفمبر 2005م)، وكذلك نوقش دور وأهمية الإدارة الجماعية لحماية حق المؤلف والحقوق المجاورة في سمنار (إنفاذ حق المؤلف والحقوق المجاورة والإدارة الجماعية) الذي نظمته المنظمة العالمية للملكية الفكرية بالتعاون مع المجلس الاتحادي للمصنفات الفنية والأدبية بالخرطوم في عام 2006م.

في عام 2007م أصدر المجلس الاتحادي للمصنفات الأدبية والفنية لائحة الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة لسنة 2007م، حددت أهداف ومسئوليات وأجهزة الإدارة، وحددت نسب جمع الأتاوات والجعائل النسبية. ونتيجة لهذا الاهتمام الكبير بالإدارة الجماعية لحماية حق المؤلف والحقوق المجاورة نص المشرع السوداني على نظام الإدارة الجماعية لحماية حق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة في قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة والمصنفات الأدبية لسنة 2013م الجديد، من خلال الفصل السابع حيث نصت المادة (1/42): "ينشأ كيان للإدارة الجماعية ويتولى وحده مهمة الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة"، ونص المشرع السوداني من خلال الفصل السابع الخاص بالإدارة الجماعية على اختصاصات وسلطات الإدارة الجماعية

في قانون واحد شمل كافة أنواع الملكية الأدبية والفنية وهذا يدل على عمق وفهم المشرع السوداني لمفهوم الملكية الأدبية والفنية ونواة وخطوة أولى لاتجاه المشرع السوداني نحو تجميع كافة القوانين الخاصة بالملكية الفكرية وإصدارها في قانون واحد.

وتـرك للنظـام الأساسـي الخـاص بـالإدارة كيفيـة تنظـيم إجـراءات عمـل الإدارة وانضمام العضوية لها.

وخيـراً مـا فعـل المشـرع السـوداني لإدراجـه نظـام الإدارة الجماعيـة لحـق المؤلف والحقوق المجاورة في القانون الجديد باعتبارها وسيلة حديثة للحماية.

مـن خـلال البحـث عـن الإدارة الجماعيـة لحمايـة حقـوق المؤلـف والحقـوق المجـاورة يتضـح لنـا أن فرنسـا تعتبـر مهـد نظـام الإدارة الجماعيـة، حيـث تـم تأسـيس أول هيئـة لإدارة حقـوق المـؤلفين فيهـا، وأن الـدول العربيـة لـم تعـرف نظـام الإدارة الجماعيـة لحقـوق المؤلـف والحقـوق المجـاورة إلا القليـل منهـا، وتعتبـر هـذه بـدايات، والـدليل علـى ذلـك أن معظـم قـوانين الـدول العربيـة لـم تـنص علـى إنشـاء الإدارات الجماعية.

المطلب الرابع

مبررات الإدارة الجماعية

الحمايـة القانونيـة للإبـداع الفكـري سـوى كانـت علـى المسـتوى الـوطني أو الـدولي غيـر كافيـة لوحـدها لضـمان فعلـي للحمايـة وتمكـين المـؤلفين و(أصـحاب الحقـوق المجـاورة) للحصـول علـى حقـوقهم الماليـة مقابـل اسـتغلال مـا أبـدعوه مـن مصـنفات، دون نظـام فعـال لـلإدارة الجماعيـة لتلـك الحقـوق، فـإذا كـان مسـتوى الإبـداع المسـجل قبـل القـرن الثـامن عشـر لـم يشـكل عائقـاً للمـؤلفين و(أصـحاب الحقـوق المجـاورة) فـي حمايـة ومتابعـة اسـتغلال مؤلفـاتهم وتوزيعهـا ومراقبـة حسـاباتهم دوريـاً، فـالأمر تعقـد مـع السـرعة المذهلـة فـي تطـور الإنتـاج الفكـري والاسـتخدام المكثـف للمؤلفـات فـي الأمـاكن العموميـة خاصـة بواسـطة وسـائل البـث

الحديثة مرات عديدة في نفس اللحظة ولاسيما المؤلفات الموسيقية والمسرحية والسينمائية[1].

نتيجة لذلك كانت لابد من قيام هيئات وجمعيات تقوم بتحصيل عوائد استغلال المصنفات نيابة عن المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة، مستغلة الإمكانيات المتاحة لها وعلاقاتها مع الجمعيات والهيئات المماثلة لها. في هذا المطلب، سنتناول المبررات أو الأسباب التي دعت لإنشاء وقيام الإدارات الجماعية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة والتي تتمثل في الآتي:

1/ صعوبة أن يتولى المؤلف[2] وصاحب الحق المجاور في الوقت الحاضر بنفسه تحصيل عوائد استغلال حقوقه المالية، وذلك نتيجة للتقدم الفني في وسائل

---

[1] د. محمد بابكر محمد مالك، الحماية الجنائية لحق المؤلف، (ب. ن)، 1432هـ/ 2011م، ص: 172.

[2] عرف قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة والمصنفات الأدبية السوداني لسنة 2013م من خلال نص المادة (3) المؤلف بأنه: "المؤلف يقصد به الشخص الطبيعي الذي يبتكر المصنف" من خلال هذا التعريف نلاحظ أن المشرع السوداني قصر تعريف المؤلف على الشخص الطبيعي فقط والابتكار، خلافاً لتعريف قانون حق المؤلف والحقوق المجاورة الملغى لسنة 1996م المادة (3) الذي جاء واسعاً ومفصلاً وأكثر شمولية لمفهوم المؤلف حيث شمل الشخص الطبيعي والمعنوي.

عرف الفقه القانوني المؤلف بتعريفات كثيرة وكل له تعريف حسب نظرته لمكون هذا الحق، منها: "المؤلف هو كل من ينتج إنتاجاً ذهنياً أياً كان نوعه وأياً كانت طريقة التعبير عنه، وأياً كانت الأهمية التي تعطى لهذا الإنتاج أو الغرض منه طالما كان على قدر من الابتكار". د. حسني محمود عبد الدائم، حماية المصنفات الفكرية وحقوق المؤلف، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2015م، ص: 40.

The author means: The creater of every category of literary, dramatic, musical. R. F. Whale, "copy right Evaluation Theory and practice", Longman Landon, 1972, p:1. The authorial so means: A person who create the work that is the author of litary work, the compser, of piece of music or the lyrics of a song, the painter of a picture, or the writer of a play. Longman, group, "Intellectual Property Low", Longman, London, 1994, P: 103.

يتمتع المؤلف في القانون السوداني بنوعين من الحقوق حقوق أدبية والثانية حقوق مالية. نصت المادة (1/7) من القانون السوداني على الحقوق الأدبية للمؤلف وهي:

الاتصال الحديثة وسرعة انتشار المصنف وبثه في العديد من دول العالم، وهذا الانتشار السريع يصعب على صاحب الحق أن يتابع بنفسه لذلك بات من الضروري أن ينضم إلى جمعيات وهيئات تتولى إدارة وتحصيل حقوقه نيابة عنه[1].

2/ من مزايا الإدارة الجماعية أنها تضمن للمؤلف و(صاحب الحق المجاور) مكافأة عادلة على استغلال عمله الفكري، فإذا كان المستغل العمومي لهذه المؤلفات في الهيئة أو المجلات التي تشرف عليها بات منطقياً نظراً للإمكانيات المادية التي توفرها لتسلية الجمهور وترفيهه ومن

1/ نسبة مصنفة إليه باسمه الحقيقي أو باسمه المستعار أو باسم الشهرة وله الحق في المطالبة بعدم نسبة المصنف إليه،

2/ منع أي تشويه أو تحريف أو تعديل لمصنفه،

3/ منع أي استعمال للمصنف قد يسيء إلى شرفه أو يمس سمعته،

4/ كشف مصنفه للجمهور لأول مرة وتحديد طريقة ذلك الكشف وشروطه،

5/ سحب مصنفه من التداول لأسباب جدية تبرر ذلك، شرط أن يدفع تعويضاً عادلاً مسبق للمتضرر يتم تحديده رضاءً أو قضاءً.=

=نص المادة (1/8) من القانون السوداني على الحقوق المالية للمؤلف وهي:

1/ استنساخ المصنف (حق النسخ)،

2/ ترجمة المصنف إلى لغة أخرى، أو اقتباسه أو توزيعه موسيقياً أو إجراء أي تحوير آخر عليه،

3/ توزيع نسخ من المصنف على الجمهور من خلال البيع أو أي تصرف ناقل للملكية،

4/ الأداء العلني،

5/ نقل المصنف إلى الجمهور.

[1] د. حسن حسين البراوي، الحقوق المجاورة لحق المؤلف، مرجع سابق، ص: 206.

العدل والإنصاف أن يحصل صاحب الإبداع على نسبة من هذه الفوائد المتحصل عليها من استغلال منتوج عصارة فكره[1].

3/ في ظل التقدم والتطور التقني والعلمي وظهور أشكال جديدة لنشر المصنفات مثل (النشر الإلكتروني) تظهر أهمية الإدارة الجماعية وذلك من خلال فن التعاقد على نشر مصنفات المؤلفين، ذلك أن المؤلفين بصورة منفردة لا يتمكنون من التفاوض بصورة واضحة بشأن التنازل عن حقوقهم المالية في استغلال مصنفاتهم لعدم درايتهم بما نتج من تقنيات النشر الإلكتروني من تداول فلكي لمصنفاتهم عبر التوابع الصناعية.

4/ كما يمكن لهذه الهيئات أن يكون لها دور ثقافي تساهم به إلى حد كبير في تعزيز المكانة الثقافية للدول وذلك متى تم تنظيمها على أكمل وجه واتبعت الوسائل اللازمة لفعاليتها وأداء دورها المطلوب في حماية وإنفاذ حقوق المؤلف والفنانين[2].

5/ نظام الإدارة الجماعية أيضاً يوفر فوائد للمنتفعين إذ يمكنهم أن يحصلوا على المصنفات التي يحتاجون إليها بطريقة سهلة وبسعر منخفض نسبياً لأن الإدارة الجماعية تقلل من تكاليف التفاوض مع المنتفعين ومن تكاليف رصد الانتفاع وتحصيل الرسوم[3]. ويرى الفقه القانوني أن وجود مثل هذه الشركات أو الهيئات يحقق فائدة ليس

---

[1] د. محمد بابكر محمد مالك، الحماية الجنائية لحق المؤلف، مرجع سابق، ص: 173.

[2] د. إبراهيم أحمد إبراهيم، الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف مع التطبيق على الأساليب التكنولوجية الحديثة، مرجع سابق، ص: 73.

[3] د. رمزي رشاد عبد الرحمن، الحقوق المجاورة لحق المؤلف، مرجع سابق، ص: 274.

(للمؤلفين) وأصحاب الحقوق المجاورة[1] فقط بل أنها تحقق فائدة أيضاً لمستغلي الحقوق المجاورة حيث يجدون جهة واحدة يتعاملون معها بدلاً

[1] أصحاب الحقوق المجاورة وفقاً لنص المادة (1) من القانون السوداني ثلاثة طوائف: 1) فنانو الأداء. 2) منتجي التسجيلات الصوتية. 3) هيئات الإذاعة.

أولاً: فنانو الأداء:

عرفت المادة (3) من القانون السوداني فنان الأداء بأنه: "يقصد به أي مغني أو عازف موسيقى أو ممثل أو راقص أو كل من يعرض أو يؤدي مصنف فني أو أدبي أو مسرحي أو استعراضي سواء كان محمياً أم لا ويشمل تعبيرات الفلكلور". يتمتع فنان الأداء في القانون السوداني بنوعين من الحقوق الأولى مالية والثانية حقوق أدبية.

نص المادة (1/20) من القانون السوداني على الحقوق المالية لفنان الأداء وهي:

1/ إذاعة أدائه الحي أو نقله للجمهور،

2/ تثبيت أدائه الحي على تسجيل صوتي،

3/ الاستنساخ لأدائه المثبت على تسجيل صوتي،

4/ التوزيع للجمهور لأدائه عن طريق البيع أو أي تصرف آخر ناقل للملكية،

5/ حق الإجارة لأدائه،

6/ الوضع في متناول الجمهور لأدائه المثبت على تسجيل صوتي بوسائل سلكية أو لاسلكية أو بأي وسيلة أخرى بطريقة تمكن أي فرد من الجمهور من الإطلاع عليه في مكان ووقت يختارهما.

نصت المادة (1/19) من القانون السوداني على الحقوق الأدبية لفنان الأداء وهي:

1/ نسبة أدائه إليه،

2/ الحق في منع أي تشويه أو تعديل للأداء يمس سمعته.

ثانياً: منتجي التسجيلات الصوتية:

عرفت المادة (3) من القانون السوداني منتج التسجيل الصوتي بأنه: "الشخص الذي يبادر ويتحمل مسؤولية إنجاز أول تثبيت للأصوات التي يتكون منها التسجيل الصوتي". يتمتع منتج التسجيلات الصوتية في القانون السوداني وفقاً لنص المادة (21) بحقوق مالية فقط وهي:

1/ حق الاستنساخ،

من تحمله مشقة الحصول على إذن كل من يشارك في المصنف على حده في كل مرة يتم فيها استغلال الحقوق المجاورة[1].

لهذه المبررات والأسباب كان لابد من قيام هيئات الإدارة الجماعية لتكون حلقات وصل بين المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة والمنتفعين بهذه الحقوق، وتكون قادرة على حماية حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة، والقضاء على ظاهرة الاستغلال غير المشروع لهذه الحقوق في ظل التقدم التقني والفني وثورة المعلومات ووسائل الاتصال الحديثة التي اجتاحت العالم.

2/ حق التوزيع للجمهور عن طريق البيع أو أي تصرف آخر ناقل للملكية،

3/ حق التأجير،

4/ استيراد نسخ من تسجيله الصوتي،=

=5/ إتاحة تسجيله الصوتي للجمهور بوسائل سلكية أو لاسلكية أو بأي وسيلة أخرى بطريقة تمكن أي فرد من الجمهور من الإطلاع عليه في أي مكان وزمان يختارهما.

ثالثاً: هيئات الإذاعة:

عرفت المادة (3) من القانون السوداني هيئة الإذاعة بأنها: "يقصد بهيئة الإذاعة أي شخص يقوم بالعمل الإذاعي أو التلفزيوني ويموله وينظمه". نصت المادة (23) من القانون السوداني على حقوق هيئات الإذاعة وهي حقوق مالية فقط وهي:

1/ تثبيت ما تبثه من برامج،

2/ استنساخ برامجها المثبتة،

3/ إعادة بث برامجها بالوسائل اللاسلكية،

4/ نقل برامجها للجمهور بأية وسيلة.

[1] الطيب حسين عمر أشيقر، الحماية القانونية للحقوق المجاورة لحق المؤلف بين الفقه الإسلامي والقانون، رسالة دكتوراه، جامعة النيلين، 2015م، ص: 217.

المبحث الثاني
النظام القانوني لهيئات الإدارة الجماعية ومهامها

تتعدد أشكال الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، وتختلف حسب النظام القانوني السائد في الدولة، فقد تأخذ شكل الشركة المدنية وبالتالي تخضع لقواعد القانون الخاص، أو تأخذ شكل الهيئة العامة وبالتالي تخضع لقواعد القانون العام، وتخضع لرقابة الدولة، ويجب أن تتوافر فيها شروط وعناصر معينة حتى تستطيع أن تقوم بمهامها على أكمل وجه والتي تتمثل في الدفاع عن حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة.

في هذا المبحث سنبحث النظام القانوني لهيئات الإدارة الجماعية ومهامها الأساسية التي تقوم بها وذلك من خلال مطلبين، المطلب الأول عن أشكال ومتطلبات الإدارة الجماعية، والمطلب الثاني خصص لمهام هيئات الإدارة الجماعية.

المطلب الأول
أشكال ومتطلبات الإدارة الجماعية

توجد عدة صور وأشكال لهيئات الإدارة الجماعية المعنية بحماية حقوق المؤلفين والحقوق المجاورة، وهي تختلف تبعاً لتبعيتها للدولة أو وجود إشراف إداري أو حكومي عليها، أو قيام نوع من الرقابة من جانب الدولة عليها.

أولاً: صور هيئات الإدارة الجماعية:

قد تأخذ هذه الهيئات شكل إحدى هيئات القانون الخاص، مثل الشركة المدنية المؤسسة طبقاً لأحكام القانون المدني، وبالتالي تكون العقود المبرمة من قبل هذه الهيئات عقود مدنية.

يرى بعض الفقهاء أن الشكل المدني لهيئات الإدارة الجماعية لا يتناسب مع وضع الدول النامية وذلك لتقاعس الكثير من أجهزة الدولة والأفراد والشركات وغيرهم من المستعملين للمصنفات الأدبية والفنية عن التعاون مع تلك الهيئات، وهذا ما دفع كثير من دول أوربا الشرقية مثل (هنغاريا) و(بلغاريا) وعدد من الدول العربية مثل الجزائر والمغرب، وتونس لقيام الهيئات العامة أو شبه العامة لإدارة حقوق المؤلفين[1].

قد تأخذ شكل الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة شكل الهيئة العامة، وبالتالي تخضع لقواعد القانون العام. وهذا الشكل أكثر توافقاً مع ظروف ومتطلبات الدول النامية التي لا يمكن لهيئات القانون الخاص أن تحقق الهدف المأمول منها، وذلك لأن هذه الهيئات قد تجد عقبات أمامها في ممارسة عملها بسبب ما قد يوجد من تعارض بينها وبين الهيئات الحكومية، وبالتالي فإن اتخاذ هذه الهيئات شكل القانون العام سيجعل هنالك معاونة حكومية معها تساعدها على القيام بوظائفها.

يمكن للإدارة الجماعية أن تتخذ شكل الهيئة شبه العامة، ويتحقق ذلك بأن تتخذ شكل جمعية أو شركة مع خضوعها لنوع من الإشراف الحكومي أو لرقابة إحدى السلطات العامة عليها[2].

نلاحظ أن قانون حماية الملكية الأدبية والفنية اللبناني لسنة 1999م، نص في المادة (58) على جواز إنشاء جمعيات أو شركات مدنية لإدارة حقوق المؤلفين. إلا أنه في المادة (61) أخضع هذه الشركات أو الجمعيات لرقابة وزارة الثقافة وسلطتها، ويتضح لنا أن القانون اللبناني بالرغم من أنه أخذ الشكل المدني إلا أنه فرض رقابة حكومية عليها وبالتالي يكون القانون اللبناني قد أخذ بشكل

---

[1] د. إبراهيم أحمد إبراهيم، الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف مع التطبيق على الأساليب التكنولوجية المدنية، مرجع سابق، ص: 75 – 76.

[2] د. رمزي رشاد عبد الرحمن، الحقوق المجاورة لحق المؤلف، مرجع سابق، ص: 278.

الهيئة شبه العامة. وكذلك قانون حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة الإماراتي لسنة 2002م، ويتضح ذلك من خلال نص المادة (30) الذي جوز فيها لأصحاب حقوق المؤلف والحقوق المجاورة أن يتنازلوا عن حقوقهم المالية إلى جمعيات معينة متخصصة لإدارتها، أو أن يوكلوا جهات أخرى لمباشرة هذه الحقوق وعد المشرع الإماراتي العقود التي تبرم بهذا الشأن عن طريق هذه الجمعيات أو الجهات عقوداً مدنية تخضع لقانون المعاملات المدنية الإماراتي الاتحادي وأخضع من خلال المواد (32، 33) هذه الجمعيات والجهات لرقابة وسلطات وزارة الثقافة والإعلام الإماراتية.

قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة والمصنفات الأدبية والفنية السوداني لسنة 2013م لم يحدد شكل الإدارة الجماعية لحق المؤلف والحقوق المجاورة وترك ذلك للنظام الأساسي الخاص بالإدارة حيث نص المشرع السوداني في المادة (5) على: "يحدد النظام الأساسي كيفية إجراءات تنظيم عمل الإدارة الجماعية وانضمام العضوية لها".

نرى أن الجمعيات أو الهيئات شبه العامة التي تشرف عليها الدولة هو الأنسب والأفضل للسودان لأن هذا العمل يحتاج إلى تعاون ومتابعة مستمرة وحصر دقيق وتنظيم وتحديث مستمر للمصنفات الأدبية والفنية والمبدعين فبالتالي لابد من وجود آليات فنية متعددة ومتعاونة ومتقدمة لتسهيل وتنفيذ هذا العمل وهذا يتوفر في الهيئات أو الجمعيات شبه العامة التي تشرف عليها الدولة.

يمكن القول أن اختيار شكل الإدارة الجماعية لحقوق المؤلفين والحقوق المجاورة يتوقف على النظام القانوني السائد في الدولة وتراعي فيه الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ومدى تطورها وتقدمها في مجال حماية حقوق الملكية الفكرية بصفة عامة وحماية الملكية الأدبية والفنية بصفة خاصة.

ثانياً: متطلبات الإدارة الجماعية:

حتى تقوم هيئات الإدارة الجماعية لحقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة بمهامها على أكمل وجه وهي الدفاع عن حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة، وتحصيل عوائد استغلال منصفات المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة وتوزيعها يجب أن تتوفر في هذه الهيئات المتطلبات الآتية:

أ/ الكادر المؤهل:

يكون بإعداد العنصر البشري فنياً وعلمياً وإدارياً إلى جانب الإلمام التام بتطبيق القوانين الخاصة بحماية حق المؤلف والحقوق المجاورة وقواعد التحصيل وكيفية تجميع الحقوق من أجهزة الإذاعة والتلفزيون وشركات الإنتاج، وعلى أن تتاح لهم فرص التدريب في الجمعيات ذات الخبرة مثل الجمعية الفرنسية والجزائرية والمكتب المغربي لحماية حق المؤلف وغيرها من الجمعيات[1].

وجود الكادر المؤهل المدرب يساعد على التعرف بكل سهولة ويسر على حالات التعدي غير المشروعة على المصنفات والأداءات والتسجيلات الصوتية والبرامج الإذاعية ويقوم بمتابعتها وضبطها والإبلاغ عنها.

ب/ حصر المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة في قاعدة بيانات إلكترونية:

من الضروري أن تكون هيئة الإدارة الجماعية على علم دائم بكافة المؤلفين و(أصحاب الحقوق المجاورة) والناشرين الذين تمثلهم، مما يستلزم حصر كافة هؤلاء المؤلفين والناشرين و(أصحاب الحقوق المجاورة) مع ضرورة تحديث هذه المعلومات بصورة مستمرة لمواجهة ما قد يطرأ من تغيرات عليها سواء

[1] د. حسام أحمد حسين مكي، المسئولية القانونية المترتبة على انتهاك حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، مرجع سابق، ص: 150.

بالإضافة أو التعديل، وهو ما يستلزم إعداد قاعدة بيانات إلكترونية كاملة بأسماء الأعضاء المشتركين في عضويتها، وصفة العضو (مؤلف، منتج، صاحب حق مجاور)[1].

من التشريعات العربية المقارنة التي نصت على هذا المتطلب قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة الإماراتي الاتحادي لسنة 2002م المادة (33): "تلتزم الجمعيات وغيرها من الجهات التي تتولى إدارة حقوق المؤلف والحقوق المجاورة بمسك سجلات بأسماء أعضائها وصفاتهم والأعمال التي تعاقدوا بشأنها، موضحاً بها نوعية العمل والمدة والمبلغ المتفق عليه، وعليهم إبلاغ الوزارة بذلك كلما حدث تغيير في تلك السجلات..".

ج/ العلم التام بالالتزامات الدولية:

يجب على هذه الهيئات أن تكون على علم تام بالالتزامات الدولية التي تقع على عاتق هذه الهيئات خاصة الالتزامات الناشئة عن العضوية في هذه الاتفاقيات مثل اتفاقية (برن) لحماية المصنفات الأدبية والفنية، واتفاقية روما لسنة 1961م بشأن حماية فناني الأداء ومنتجي التسجيلات الصوتية وهيئات الإذاعية، واتفاقية جنيف لسنة 1971م بشأن حماية منتجي التسجيلات الصوتية وغيرها من الاتفاقيات الدولية الخاصة بالحقوق المجاورة.

نرى أن هذه الإدارات يجب عليها توفير خبراء لمتابعة قوانين الملكية الأدبية والفنية ولمتابعة تطورها وفق المتغيرات وتطوير أساليب ونظم العمل،

[1] د. إبراهيم أحمد إبراهيم، الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف مع التطبيق على الأساليب التكنولوجية الحديثة، مرجع سابق، ص: 81.

وتشجيع الدولة للانضمام للاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية الملكية الأدبية والفنية.

د/ التنسيق الإداري:

يجب على هذه الهيئات أن تعمل على التنسيق الإداري بينها وبين الإدارات العامة في الدول وذلك حتى لا تعرقل هذه الإدارات عمل هذه الهيئات وحتى تتفادى النقد الذي وجهه لبعض هيئات القانون الخاص، وذلك لأن عمل الإدارات الجماعية يحتاج إلى تعاون ومتابعة مستمرة وحصر دقيق وتنظيم وتحديث مستمر للمصنفات الأدبية والفنية والمؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة، ولا يتم ذلك إلا بالتنسيق والتعاون الإداري مع الإدارات العامة في الدولة.

هـ/ اقتسام وتوزيع الحقوق على أصحابها:

يجب على هيئات الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف و(أصحاب الحقوق المجاورة) أن تعمل على اقتسام وتوزيع الحقوق على أصحابها طبقاً لنظام عادل لا يضر بأي فئة من فئات أصحاب الحقوق، وعدم الغلو في خصم مصروفات إدارية وتكاليف لهذه الهيئات حتى لا يضار الأعضاء من ذلك[1].

في فرنسا مثلاً نجد شركة (L'ADAGP) التي تتولى تحصيل وإدارية معظم الفنانين التشكيليين الفرنسيين وورثتهم وتحصل منهم رسوم قدرها 2% لقاء جهودها، تخصم من المبالغ التي تقوم بتحصيلها لحسابهم. وقد قامت إلى جوارها شركات أخرى مثل (LASAIF) في مجال إدارة مصنفات التصوير الفوتوغرافي ولوحات الرسوم المتحركة[2].

---

[1] د. رمزي رشاد عبد الرحيم، الحقوق المجاورة لحق المؤلف، مرجع سابق، ص: 280 – 281.

[2] المرجع السابق، ص: 281.

و/ تأسيس صندوق اجتماعي:

ذلك لتوفير حد أدنى للحماية الاجتماعية للمؤلفين و(أصحاب الحقوق المجاورة)، والذي تموله اشتراكات المؤلفين و(أصحاب الحقوق المجاورة) المستقطعة من كل عملية توزيع للحقوق ويهدف هذا الصندوق إلى منح المساعدة المالية للمؤلف و(صاحب الحق المجاور) عند تعرضه للمرض أو الوفاة، كما يهدف إلى تنمية روح التضامن بين المؤلفين و(أصحاب الحقوق المجاورة)[1].

نرى أن تأسيس صندوق اجتماعي لرعاية المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة من أهم متطلبات الإدارة الجماعية خاصة في الدول النامية[2] التي تعاني من المشاكل الاقتصادية وعدم الاستقرار، وبالتالي يعتبر الصندوق الاجتماعي للمؤلف وصاحب الحق المجاور صمام أمان وضمان له في حالة تعرضه للمرض أو الوفاة.

يحتاج هذا العمل إلى آليات تضمن سرعة التنفيذ وتفعيل دور هذه الإدارات الجماعية ويمكن هنا الاتصال بالمنظمة العالمية للملكية الفكرية والتي حرصت دائماً على دعم هذه الأعمال في مجال حماية الملكية الفكرية بل هي تشجع دائماً على مواكبة النظم والأساليب المتطورة في مجال الملكية الفكرية

---

(1) د. حسام أحمد حسين مكي، المسئولية القانونية المترتبة على انتهاك حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، مرجع سابق، ص: 151.

(2) يعاني المؤلفين وفناني الأداء السودانيين من مطربين وممثلين وعازفي الموسيقى في السودان في الوقت الراهن من ظروف اقتصادية حرجة نتيجة لتدهور الاقتصاد السوداني وعدم الاستقرار السياسي خاصة عند تعرضهم للمرض، حيث لا يستطيعون تحمل نفقات العلاج، ولاحظنا في الآونة الأخيرة في السودان كثرة المناشدات وحملات التبرع في الصحف اليومية ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة لعلاج عدد كبير من المؤلفين والمطربين وعازفي الموسيقى، ولو وجد صندوق اجتماعي في ظل وجود إدارة جماعية سودانية لوفرت لهم العلاج والرعاية الاجتماعية دون عناء وبدون حملات ومناشدات تبرع.

خاصة إذا نظرنا إلى أهمية هذه الإدارات والفائدة التي يجنيها أصحاب هذه الحقوق لأن الإدارة تقوم بخصم نسبة الإيرادات لاستغلالها فيما بعد كمعاشات لأصحاب هذه الحقوق، أو توزيعها لهم عند المرض أو العجز[1].

تساهم برامج المنظمة العالمية للملكية الفكرية في تقديم المساعدات الشاملة إلى البلدان النامية والبلدان الأقل نمواً في استحداث أنظمة الإدارة الجماعية لحق المؤلف والحقوق المجاورة وتقويتها على المستويين الوطني والإقليمي، وتأخذ المساعدة التي تقدمها المنظمة العالمية للملكية الفكرية أشكالاً مختلفة منها: تنمية الموارد البشرية وإسداء المشورة القانونية ووسائل حماية المعلومات الإلكترونية المتعلقة بإدارة الحقوق وإتاحة الحواسيب والبرامج كما تضمن الويبو التشغيل التام لهيئات الإدارة الجماعية وإشراكها في المعاملات الدولية[2].

السودان عضواً في المنظمة العالمية للملكية الفكرية منذ العام 1967م وبالتالي يحق له الاستعانة والاستفادة من الدعم الذي تقدمه المنظمة العالمية للملكية الفكرية لإنشاء وتقوية نظام الإدارة الجماعية السودانية.

إذا توافرت كل هذه العناصر في الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة، تستطيع أن تحقق أهدافها بصرف النظر عن شكلها هيئة عامة أو خاصة، شركة أم جمعية.

---

[1] د. سوسن سعيد شندي، قانون حماية المؤلف والحقوق المجاورة، السلطة القضائية السودانية، (ب. ت)، ص: 37.

[2] الموقع الإلكتروني للمنظمة العالمية للملكية الفكرية على شبكة الإنترنت: www.wipo.int.

المطلب الثاني

مهام هيئات الإدارة الجماعية

إن الصورة الملائمة التي تمكن هيئات الإدارة الجماعية من القيام بوظائفها تستلزم قيام المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة بالتنازل لها عن حقوقهم ويتم ذلك في صورة عقد مشاركة أو عقد إدارة يبرم فيما بين الهيئة والمؤلف وصاحب الحق المجاور، على أن تتولى الهيئة تحصيل عوائد استغلال مصنفاته من مستخدمي هذه المصنفات، ثم تتولى توزيعها بعد ذلك، كما يخول المؤلف وصاحب الحق المجاور الهيئة وفقاً لهذا العقد تمثيله أمام مختلف الجهات القضائية والإدارية وتعود للمؤلف وصاحب الحق المجاور كافة حقوقه بنهاية العقد أو بانتهاء عضويته في هيئة الإدارة الجماعية ما لم يكن التنازل لمدة محددة، والغالب ألا يكون التنازل محدد المدة[1].

والمهام التي تقوم بها هيئات الإدارة الجماعية تنحصر في أربع مهام هي:

1/ التفاوض على المعاهدات والاتفاقيات الجماعية،

2/ ممارسة حقوق أعضائها،

3/ توزيع المبالغ المتحصلة،

4/ الدفاع عن حقوق أعضائها.

أولاً: التفاوض على المعاهدات والاتفاقيات الجماعية:

[1] عادل شكري سيد، محاضرات في حق المؤلف، (ب. ن)، (ب. ت)، ص: 143.

من المهام التي تقوم بها هذه الهيئات هي التفاوض على المعاهدات والاتفاقيات الجماعية وذلك لما لها من نيابة قانونية عن أعضائها من خلال التوكيل الصريح الصادر إليها من قبل الأعضاء، ويحق لها بموجب هذا التوكيل المشاركة في المفاوضات والتوقيع عليها، ومن أمثلة ذلك المشاركة في اللجان التي تحدد المقابل المالي للرخص القانونية والإجبارية التي تفرض على المؤلفين والمصنفات الأدبية والفنية[1].

نص قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة والمصنفات الأدبية والفنية السوداني لسنة 2013م على هذه المهمة وذلك من خلال نص المادة (4/42/أ) تكون لوحدة الإدارة الجماعية الاختصاصات والسلطات الآتية: .. تمثيل الأعضاء المنضمين إليها في المفاوضات وعقد الاتفاقيات مع المستغلين وذلك في إطار صلاحياتها". من التشريعات العربية المقارنة التي نصت على هذه المهمة قانون حماية الملكية الأدبية والفنية اللبناني لسنة 1999م المادة (1/67) حيث أعطت شركات وجمعيات إدارة حقوق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة حق تنظيم العقود مع الجهات التي تقوم باستعمال العمل وتحديد التعويض المتوجب جبايته.

ثانياً: ممارسة حقوق أعضائها:

قلنا أن هيئات الإدارة الجماعية عن طريق التوكيل الممنوح لها من قبل المؤلف تستطيع بموجبه ممارسة حقوق أعضائها والتي تتمثل في الآتي:

أ/ الحق في إعطاء الترخيص لحساب أعضائها، ويتم ذلك عن طريق إبرام عقود الاستغلال المالي لحق المؤلف بين الهيئة والمستفيدين، وبالتالي يحق

[1] د. رمزي رشاد عبد الرحمن، الحقوق المجاورة لحق المؤلف، مرجع سابق، ص: 290.

للهيئة صياغة وتجديد عقود الاستغلال المالي لحق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة من نسخ وترجمة وتحوير والتوقيع عليها.

ب/ وكذلك تقوم هيئات الإدارة الجماعية بتحرير واستلام وتحصيل المقابل المالي المستحق عوضاً عن التراخيص القانونية مثل المقابل عن النسخ أو النقل إلى الجمهور[1].

القانون السوداني لحماية حق المؤلف والحقوق المجاورة والمصنفات الأدبية والفنية لسنة 2013م أعطى هيئات الإدارة الجماعية سلطة ممارسة حقوق أعضائها من خلال نص المادة (4/42/ب/ج) حيث سمح لها بمنح التراخيص للمستغلين في إطار نشاطاتهم واستلام المقابل المادي للاستغلال من المستغلين.

كما نص قانون حماية الملكية الأدبية والفنية اللبناني لسنة 1999م على هذه الصلاحية لجمعيات وشركات إدارة الحقوق الجماعية لحقوق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة حيث نصت المادة (4/67) على تكون لجمعيات وشركات إدارة الحقوق الجماعية الصلاحيات الآتية: "الحصول من مستغلي الأعمال على كافة المعلومات اللازمة من أجل احتساب وتحصيل وتوزيع التعويضات المحصلة".

ثالثاً: توزيع إجمالي المبالغ المتحصلة:

يعتبر توزيع إجمالي المبالغ المتحصلة المهمة الثانية لهيئات الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف و(أصحاب الحقوق المجاورة) وهي المبالغ الناجمة عن الرخص القانونية والتي تسمى بالمقابل العادل، ويتم توزيعها على المؤلفين والناشرين و(أصحاب الحقوق المجاورة)، بعد خصم مقابل النفقات الفعلية لتحصيل الحقوق ويعتبر ما تقوم به جمعيات الإدارة الجماعية من خصم مقابل

[1] المرجع السابق، ص: 290.

النفقات الإدارية مقبولاً، حتى لم تتجاوز نسبته 30% من الفوائد التي تم تحصيلها كحد أقصى، وإن كان معدل النفقات الإدارية في العديد من الجمعيات يقل عن هذه النسبة، ويتم توزيع إجمالي المبالغ المتحصلة على الأعضاء كل بنسبة استحقاقه[1].

بهذا المبدأ أخذ قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة والمصنفات الأدبية والفنية السوداني لسنة 2013م المادة (4/42/د) والتي تقرأ: "توزع المبالغ المتحصلة على أصحاب الحقوق وذلك بعد خصم المصرفات الإدارية".

وكذلك قانون حماية الملكية الأدبية والفنية اللبناني لسنة 1999م من خلال نص المادة (2/67) التي أعطت جمعيات وشركات الإدارة حق توزيع التعويضات المحصلة على أصحاب الحقوق، وكذلك المادة (64) من قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة السوري لسنة 2013م التي أوجبت توزيع المبالغ المحصلة على أصحاب الحقوق مرة في السنة على الأقل وذلك على نحو يتناسب مع الاستعمال الفعلي لأعمالهم ولا يجوز للجمعية أن تتجاوز نسبة أتعابها نسبة مئوية تحددها لها الهيئة العامة للجمعية.

رابعاً: الدفاع عن حقوق الأعضاء:

تلعب هيئات الإدارة الجماعية دوراً مهماً وفعالاً في الدفاع عن حقوق أعضائها[2]، وذلك لكفاحها المرير ضد الاعتداء على هذه الحقوق عن طريق أجهزتها وموظفيها الذين يمثلون قوة في مراقبة حقوق الأعضاء والدفاع عنها.

---

[1] د. إبراهيم أحمد إبراهيم، الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف مع التطبيق على الأساليب التكنولوجية الحديثة، مرجع سابق، ص: 83.

[2] من ذلك مثلاً: المؤسسة التونسية لحماية حقوق المؤلفين التي أوجدها القانون التونسي لسنة 1996م، الخاصة بالمؤلفين والملحنين وتمثلت مهامها في الدفاع عن مصالح المؤلفين

تمارس هيئات الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة الدفاع عن حقوق الأعضاء بموجب التوكيل الذي أبرم بينها والأعضاء، وهو الذي يعطيها الصفة القانونية للدفاع هن حقوق أعضائها، وبالتالي تملك هذه الهيئات الصفة القانونية التي تجعلها ترفع الدعاوى اللازمة لحماية حقوق أعضائها ضد أي اعتداء يمس الحق المالي والمطالبة بتوقيع العقوبات الجنائية والتعويضات المدنية اللازمة لجبر الضرر ورفعه[1].

نلاحظ أن القانون السوداني الجديد لسنة 2013م منح الإدارة الجماعية حق الدفاع عن حقوق أعضائها، حيث نص في المادة (5/4/42) على: "تكون لوحدة الإدارة الجماعية حق الدفاع عن أصحاب الحقوق بكل الوسائل والطرق بما في ذلك تمثيلهم أمام القضاء والأجهزة المختصة".

من التشريعات العربية أيضاً التي منحت جمعيات وشركات إدارة حقوق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة سلطة الدفاع عن حقوق أعضائها قانون حماية الملكية الأدبية والفنية اللبناني لسنة 1999م، وذلك من خلال نص المادة (4/67) حيث يحق لهذه الإدارة الجماعية اتخاذ كافة الإجراءات من إدارية

وتمثيلهم عند التعامل مع الغير كما أنها تعمل على حسن سير مصالح المؤسسة وحماية حقوق المؤلفين و(أصحاب الحقوق المجاورة) المالية والأدبية، وأوجبت على المؤلفين و(أصحاب الحقوق المجاورة) التزامات منها منح الترخيص لاستغلال المصنف أو (الحق المجاور) أي أن يكون تعامل المؤلف أو (صاحب الحق المجاور) مع الغير بواسطة المؤسسة وأن يصرح المؤلف للمؤسسة بكل مصنف جديد يبتكره وذلك قبل أن يبرم عقود الاستغلال مع الغير بخصوصه. مفيدة خليل مخزوم الصويد، الحماية المدنية لحقوق المؤلف المالية، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 2015م، ص: 21.

[1] عادل شكري سيد، محاضرات في حق المؤلف، مرجع سابق، ص: 149.

وقضائية وتحكيمية وجيبية من أجل حماية حقوق موكليها المشروعية وتحصيل التعويض المتوجب.

أخيراً يمكن القول أن نظام الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة أصبح آلية مهمة وواجبة لحماية حقوق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة نتيجة للتقدم التقني والفني في عالم الاتصالات اليوم وثورة المعلومات التكنولوجية والرقمية وللإمكانيات المادية والبشرية المتوفرة لهذه الإدارات.

الخاتمة

بعد أن انتهينا من دراسة موضوع أحكام تنظيم الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في القانون السوداني توصلت الدراسة لعدد من النتائج والتوصيات وهي:

أولاً: النتائج:

1/ تشكل الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة الحل الأمثل لإدارة حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة أمام التطور التقني المتصاعد وسرعة انتشار وتبادل المصنفات الفكرية بواسطة شبكة الإنترنت والأقمار الصناعية.

2/ تؤدي جمعيات الإدارة الجماعية دوراً هاماً في حماية حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة المالية والمعنوية حيث تأخذ دور الوسيط والرابط بين أصحاب الحقوق والمنتفعين بهذه الحقوق.

3/ تتخذ هيئات الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة أشكالاً مختلفة بحسب الاتجاه السائد في الدولة التي تتواجد فيها ومدى تطورها وتقدمها على صعيد حماية حقوق الملكية الفكرية بشكل عام وحقوق المؤلف والحقوق المجاورة بشكل خاص.

4/ للمنظمة العالمية للملكية الفكرية دور كبير ومهم في دعم الدول النامية والأقل نمواً في إنشاء وتحديث نظام الإدارة الجماعية الخاصة بحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة من خلال المساعدات والاستشارات التي تقدمها لتلك الدول.

5/ القانون السوداني لم يحدد شكل الإدارة الجماعية، وترك تحديد شكلها للنظام الأساسي الخاص بالإدارة الجماعية السودانية عند تكوينها وتأسيسها.

6/ تلعب هيئات الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة دوراً فاعلاً في حماية وتحصيل حقوق أعضائها والدفاع عن حقوقهم.

ثانياً: التوصيات:

1/ ضرورة التوعية بحقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة ونشر ثقافة احترام حقوق الملكية الفكرية في السودان.

2/ ضرورة تأسيس وإنشاء هيئة إدارة جماعية سودانية على أسس حديثة تحقق حماية حقيقة وفعالة للمؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة السودانيين على أن تأخذ شكل الهيئة العامة وتكون تحت إشراف وزارة الثقافة والإعلام السودانية لأنها الأنسب والأوفق للوضع السوداني.

3/ ضرورة أن تتضمن هيئة الإدارة الجماعية السودانية تأسيس صندوق اجتماعي لتوفير حماية اجتماعية للمؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة السودانيين من منح المساعدة المالية والتأمين.

4/ ضرورة أن ينص المشرع العربي على نظام الإدارة الجماعية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة في الاتفاقية العربية لحماية حقوق المؤلف لسنة 1981م.

5/ العمل على إنشاء إدارة جماعية لحماية حقوق المؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة العرب على مستوى الدول العربية على أسس حديثة تتولى حماية أصحاب الحقوق العرب.

6/ ضـرورة انضـمام هيئـة الإدارة الجماعيـة السـودانية إلـى الاتحـاد الـدولي لجمعيـات المـؤلفين والملحنـين لكـي يـتمكن المـؤلفين وأصـحاب الحقـوق المجـاورة السـودانيين مـن حمايـة حقـوقهم عالميـاً عـن طريـق التعـاون مـع هـذا الاتحاد.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع القانونية:

1/ د. أنور أحمد حمرون، الملكية الفكرية وفقاً للاتفاقيات الدولية والمعاهدات الدولية والقوانين السودانية، الطبعة الثالثة، 2013م.

2/ د. حسام أحمد حسين مكي، المسئولية القانونية المترتبة على انتهاك حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، المركز السوداني لدراسات الملكية الفكرية، الطبعة الأولى، 2013م.

3/ د. حسن حسين البراوي، الحقوق المجاورة لحق المؤلف، دار النهضة العربية للنشر، الطبعة الأولى، 2004م/ 2005م.

4/ د. حسني محمود عبد الدائم، حماية المصنفات الفكرية وحقوق المؤلف، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2015م.

5/ داليا ليبزك، حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، ترجمة: د. محمد حسام لطفي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1424هـ – 2003م.

6/ د. رمزي رشاد عبد الرحمن، الحقوق المجاورة لحق المؤلف، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008م.

7/ د. سوسن سعيد شندي، قانون حماية المؤلف والحقوق المجاورة، السلطة القضائية السودانية، (ب. ت).

8/ د. شحاته غريب شلقامي، الملكية الفكرية في القوانين العربية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2008م.

9/ عادل شكري سيد، محاضرات في حق المؤلف، (ب، ن)، (ب. ت).

10/ د. عبد الرحمن خليفي، الحماية الجزائية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2007م.

11/ د. عبد الفتاح بيومي حجازي، حقوق المؤلف في القانون المقارن، بهجان للطباعة والتجليد، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 2009م.

12/ د. محمد بابكر محمد مالك، الحماية الجنائية لحق المؤلف، (ب. ن)، 1432هـ - 2011م.

13/ د. محمد خليل يوسف أبوبكر، حق المؤلف في القانون المقارن، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، 2008م.

14/ د. مصطفى أحمد أبو عمرو، حق المؤلف في التتبع، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2016م.

15/ مفيدة خليل مخزوم الصويد، الحماية المدنية لحقوق المؤلف المالية، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 2015م.

16/ نعيم مقبقب، الملكية الأدبية والفنية والحقوق المجاورة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2008م.

ثانياً: المراجع القانونية باللغة الإنجليزية:

1/ Marketing Crafts and visual Arts: the role of intellectual property apractial guide, international trade center unctad and world intellectual property organization, Geneva, 2003.

2/ R. F. whale, copy right Evaluation theory and practice, Longman London, 1972.

3/ Longman. Group, Intellectual Property Law, Longman, London, 1994.
4/ Haijun Lu, Chinese collective management of copyright: the need of extensive changes, Queen mary journal of intellectual property, volume 6, Number 2, 2016, Edward Elgar publishing, 2016.

ثالثاً: القوانين:

أ/ السودانية:

1/ قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة السوداني لسنة 1996م الملغى،

2/ قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة والمصنفات الأدبية والفنية لسنة 2013م.

ب/ العربية:

1/ قانون حماية حق المؤلف التونسي لسنة 1994م،

2/ التشريع النموذجي العربي لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة لسنة 1998م،

3/ قانون الملكية الأدبية والفنية اللبناني لسنة 1999م،

4/ قانون حماية حقوق الملكية الفكرية المصري لسنة 2002م،

5/ قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة الإماراتي الاتحادي لسنة 2002م،

6/ قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة السوري لسنة 2013م.

رابعاً: الاتفاقيات الدولية:

1/ الاتفاقية العربية لحماية حقوق المؤلف لسنة 1981م.

خامساً: المواثيق الدولية:

1/ النظام الأساسي للاتحاد الدولي للمؤلفين ومؤلفي الموسيقى لسنة 1926م.

سادساً: الرسائل العلمية:

1/ ياسر موسى كباشي، الإدارة الجماعية لحق المؤلف في الفقه والقانون، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، 2009م،

2/ الطبيب عمر أشيقر، الحماية القانونية للحقوق المجاورة لحق المؤلف بين الفقه الإسلامي والقانون، رسالة دكتوراه، جامعة النيلين، 2015م.

سابعاً: الأوراق العلمية:

1/ د. محمد عريقات، الإطار القانوني لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة عبر منظمات الإدارة الجماعية في القانون الفلسطيني، جامعة القدس، منشورات الجامعة بالموقع الإلكتروني: https://dspace,alqule/alquds.edu/hamdle/250500-2213/.

2/ د. إبراهيم أحمد إبراهيم، الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف مع التطبيق على الأساليب التكنولوجية، حقوق المؤلف في الوطن العربي في إطار التشريعات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1999م.

ثامناً: المواقع الإلكترونية:

1/ موقع جامعة القدس، منشورات باحثي الجامعة: https://dspace,alqule/alquds.edu/hamdle/250500-2213/.

2/ الموقع الرسمي للمنظمة العالمية للملكية الفكرية على شبكة الإنترنت: http://www.wiopo.net.

نظرية الحقول الدلالية في التأليف المعجمي العربي : كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري نموذجاً

The Theory of Semantic Fields in Arabic Lexical Composition: The Rain Book by Abi Zaid Al-Ansari As An Example

إعداد/ د.خالد بريمة يوسف مرجب

Dr.Khalid Briema Yousif Morgab

أستاذ علم اللغة المشارك – كلية التربية جامعة غرب كردفان – السودان

معرف الاوركيد0000-0003-15743440

Associate Professor of Linguistics – College of Education

West Kordufan University – Sudan

E-mail:khalid3hd@gmail.com

معرف الاوركيد0000-0003-15743440

المستخلص :

تأثر الفكر المعجمي قديماً وحديثاً بنظرية الحقول الدلالية وذلك لأن الحقول الدلالية هي بمثابة المرتكز الرئيس الذي تقوم عليه فكرة البناء المعجمي، لذا جاءت هذه الدراسة لتبين أهمية نظرية الحقول الدلالية في رحاب العمل المعجمي. وقد هدفت الدراسة للتعريف بنظرية الحقول الدلالية علمياً وربط ذلك التعريف بالجانب التطبيقي المتبع في التأليف المعجمي لمعرفة العلاقات الداخلية التي تربط بين الألفاظ داخل الحقل الدلالي، ولمعالجة هذا الجانب الدلالي في رحاب علم المعاجم اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي

يناسب طبيعة الدراسة التي مزجت بين الجانب العلمي والجانب التطبيقي، ومن خلال تلك المزاوجة توصلت الدراسة إلى عدة نتائج في مقدمتها: إن نظرية الحقول الدلالية تضبط المفردات وتنظمها وفق العلاقات الداخلية التي تجمع بين هذه المفردات. وزيلت الدراسة بجوانب تطبيقية من كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري، وقد عكست هذه الجوانب التطبيقية مدى إعمال العرب لنظرية الحقول الدلالية في جهودهم المعجمية.

الكلمات المفتاحية : المعاجم اللغوية – الحقول الدلالية – المعجم الدلالي – الفروق اللغوية

Abstract

Lexical concept, ancient and modern, was influenced by the theory of semantic fields, because the semantic fields are the main basis on which the idea of lexical construction is based. Therefore, this study came to show the importance of the theory of semantic fields in the field of lexical work. The study aimed to define the theory of semantic fields scientifically and to link that definition to the applied aspect used in lexical composition to know the internal relations that link words within the semantic field, and to address this semantic aspect in the field of lexicology. The study followed the analytical descriptive approach that fits the nature of the study that mixed the scientific aspect with the applied side. The study reached several results, in the forefront of which: The semantic field's theory regulates vocabulary and organizes it according to the internal relations that combine them. The study was removed with applied aspects of the rain book by Abi Zaid Al-Ansari, and these applied aspects reflected the extent to which the Arabs applied the theory of semantic fields in their lexicographical efforts.

Keywords: linguistic Dictionaries - Semantic fields - Semantic Lexicon - Linguistic Differences

المقدمة:

في ظل نظرية الحقول الدلالية تطورت معاجم المعاني والموضوعات في العصر الحديث، حيث استطاعت نظرية الحقول الدلالية أن تضبط المفردات داخل المعجم وتنظمها، وذلك وفق العلاقات التي تجمع بعضها ببعض فازدهرت عملية التأليف المعجمي وتعددت المعاجم الدلالية.

سبب اختيار الموضوع:

تعتبر نظرية الحقول الدلالية من أهم الأسس التي تبنى عليها الفكرة المعجمية، لذا جاءت هذه الدراسة لتبين أهمية نظرية الحقول الدلالية في رحاب العمل المعجمي حديثاً.

الهدف من الدراسة:

هدفت الدراسة لتحقيق الآتي:

1-التعريف بنظرية الحقول الدلالية.

2-بيان مراحل نظرية الحقول الدلالية في مجال العمل المعجمي.

3-إبراز الناحية العلمية والتطبيقية لنظرية الحقول الدلالية في كتاب المطر.

4-بيان مدى استفادة أبي زيد الأنصاري من نظرية الحقول الدلالية في كتابه(المطر).

5-الوقوف على العلاقات الداخلية الدقيقة بين الكلمات داخل الحقل الدلالي في كتاب(المطر).

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في أنها تناولت الفكر المعجمي عند العرب وما تجسد في ذلك الفكر من أسس ومبادئ للعديد من النظريات المعجمية التي ظهرت في مجال علم المعاجم قديما

وحديثاً ، وقد أظهرت هذه الدراسة مدى نضوج الفكر المعجمي العربي قديما وبينت مدى أصالته فهو بمثابة المرتكز لجميع النظريات اللغوية قديما وحديثاً.

منهج الدراسة:

من أنسب المناهج التي تعالج طبيعة دراسة نظرية الحقول الدلالية (المنهج الوصفي التحليلي) لذا اتبعت الدراسة هذا المنهج علمياً وتطبيقياً بغية الوصول لنتائج تفيد الجميع، وفي ذلك ربطاٍ بين الناحية العلمية والتطبيقية التي تهدف إليها الدراسة.

مشكلة الدراسة:

توجد في المعاجم اللغوية فجوات معجمية ظاهرة وهذه الفجوات المعجمية تقتضي تنزيل مبادي نظرية الحقول الدلالية في العمل المعجمي، وذلك يحقق ضمان الشرح والتحليل لأي فكرة لغوية حواها المعجم.

نظرية الحقول الدلالية

تعريفها: هي مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع تحت لفظ عام يجمعها، مثال لذلك كلمة الألوان في اللغة العربية فهي تقع تحت مظلة المصطلح العام(لون) وتضم كلمة لون ألفاظ متعددة مثل (أحمر – أصفر – أزرق...الخ).

وتنطلق نظرية الحقول الدلالية من تصور عام هو: أن كلمات اللغة لم تضع مبعثرة وإنما هناك نظام متجانس تكون فيه الكلمات على شكل مجموعات وتحظى كل مجموعة بمجال مفاهيمي يسمى (الحقل الدلالي)، ويقوم الحقل الدلالي على أن جميع الكلمات في الحقل لها معاني متقاربة وذات سمات دلالية مشتركة.

ونظرية الحقول الدلالية تعرف بانها أحدى نظريات تحليل المعنى.

لم تتبلور نظرية الحقول الدلالية إلا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين على أيدي علماء سويسريين والمان (هيمولرت1967م–هوردور1855م–وخاير1910م).

–وأهم تطبيقاتها المبكرة تمثلت في الدراسات الالمانية الوسيطة للألفاظ الفكرية في اللغة.

الحقل الدلالي أو (الحقل المعجمي):

يعرف بأنه مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية.

ويعرف جورج مونان الحقل الدلالي بقوله: (مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام يحدد الحقل).

نظرية الحقول الدلالية وفي ضوء ما يعرف بالحقل الدلالي تعرف بأنها: توزيع الكلمات وفق علاقات تشابكية تعين الباحث على تعيين دلالاتها وعدم الخلط بين المعاني، والعلاقات نوعان:–

1–علاقة مبنية على المعايير الصورية مثل كلمة (تعليم) فهي توحي بكلمات أخرى مشتقة منها وتنتمي إلى نفس المجال الدلالي (علم، تعلم).

2–علاقة مبنية على المعايير الدلالية فكلمة (تعليم) توحي بكلمات أخرى مثل: (تربية، تعلم، تكوين...الخ).

–دي سوير وضع الإطار العام الذي يمكن أن تدرس الألة اللغوية.

–مصطلح العلاقة الصورية الذي قال به دي سوير أطلق عليه العرب.

ويعد الحقل الدلالي أحد ركائز علم الدلالة وأهم موضوعاته.

نظرية الحقول الدلالية عند العرب:

الناظر إلى التراث اللغوي العربي يجد لنظرية الحقول الدلالية حضوراً عند الأصوليين والمفسرين واللغويين، حيث ألف العرب المعاجم اللغوية عامة ومعاجم المعاني على وجه الخصوص، وكانت معاجم المعاني عبارة عن رسائل صغيرة في موضوعات مختلفة وكل موضوع يضم مجموعة من الألفاظ يجمعها مشترك لفظي، والموضوع هو عبارة عن وعاء يصنف فيه الكلمات التي تدخل ضمن مشترك لفظي واحد.

نظرية الحقول الدلالية عند الأصوليين والمفسرين وعلماء اللغة:

فهم المعاني عند الأصوليين مبنياً على فهم مكونات الخطاب اللغوية والسياقية والدلالة، لذا نجدهم قد توسعوا في علم الدلالة اللسانية ومباحث السياق لاستنباط الأحكام الشرعية، ومن أهم المؤلفات عندهم مجاز القرآن وغريب الألفاظ، العلاقة بين اللفظ والمعنى، تطور معاني الألفاظ، والترادف والأضداد.

معاجم المعاني ومعاجم الألفاظ التي تتسم بالمنهجية والدقة والسعة والتنظيم والوضوح.

ومعاجم المعاني والموضوعات هي التي ترتب الألفاظ في مجموعات تنضوي كل منها تحت فكرة واحدة أو محور عام، وقد بدأت في شكل كتيبات صغيرة تتناول كل واحدة منها موضوعاً من الموضوعات.

ويعتبر معجم العين للخليل بن احمد الفراهيدي البداية الاولى للتأليف المعجمي العربي، فانصب اهتمام الناس به دون غيره من من المعاجم الأخرى والتي لم تزد عندهم إلا إشارة عندما يتحدثون عن التأليف المعجمي الشامل.

مراحل المعاجم الدلالية:

مرت هذه المعاجم بمراحل وأول هذه المراحل تلك المرحلة التي بدأ فيها الإنسان بتجميع الألفاظ في مصنفات بنيت على علاقة اللفظ بمدلوله، ويرى البعض أن الهنود كان لهم فضل السبق في هذا الجانب، ويرى آخرون أن الصينيين هم من كان لهم فضل السبق في هذا المجال، ويرى فريق ثالث أن العرب هم من أسسوا لهذا الفن من الفنون اللغوية، وما يدل على ذلك ما ورد في تراثنا العربي من معاجم للمعاني والموضوعات، فهذه المعاجم تشبه إلى حد كبير ما يعرف في عصرنا الحاضر بمعاجم الحقول الدلالية، لذا ما كتبه العرب من هذا اللون من المعاجم يعتبر بمثابة الأساس الذي ارتكزت عليه جميع معاجم الحقول الدلالية في العصر الحديث.

مصطلح الإشتقاق الصغير الذي يقوم على تغيير صورة الجذر، ولكنه يلتقي مع الصور الأخرى بالدوران حول نواة المعني.

-تطورت قضية القوى الدلالية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر على يد عالم اللغة الألماني تزير، والذي قام بتوزيع مقررات اللغة الألمانية في خطين ووزعها إلى مرحلتين كالآتي:-

1-في المرحلة الأولى وضع الصفات الجيدة والصفات غير الجيدة.

2-في المرحلة الثانية جمع الكلمات المرتبطة بالجزئية الدينية والمعرفة والفن.

لم يستعمل تزير مصطلح الحقل الدلالي وإنما استعمل الحقل المعجمي.

-نظرية الحقول الدلالية تقوم على تجميع كل مفاهيم الكون أو بعضها وفق حقول تمثلها كلمات مركزية، وتتفرع عنها كلمات تنحدر معها بالمفهوم العام.

-المعجم المصنف وفق الحقول الدلالية ترتبط فيه الكلمات بمفاهيم كلية والقارئ يستطيع فهم هذه الكلمات وفق علائقها بعضها ببعض.

أول معجم عربي دلالي هو الغريب المصنف للقاسم بن سلام ت(224هـ)

رسائل الأصمعي – الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمزاني ت(320هـ)

مبادئ اللغة عبدالحفيظ الإسكافي ت(421هـ)

تعتمد عملية جمع الكلمات وتصنيفها ضمن حقول دلالة على خطوتين:

1/جمع المادة اللغوية ثم تصنيفها إلى حقول دلالية.

2/دراسة العلاقات الدلالية بين كلمات كل حقل.

وأول من أشار إلى هذا الجانب والذي قال: (إن الكلمات تندرج ضمن نوعين من العلاقات)، وهي:-

أ/علاقات مبنية على التشابه والتقارب من حيث اللفظ (تعليم- تعلم).

ب/علاقات مبنية على التشابه في المعنى (تعليم- تربية- تكوين...).

ومن تلكم الآراء التي قال بها ديسوير برزت بعض النظريات في مجال استنباط العلاقات الأساسية بين الأدلة، ومن ذلك نجد:

أ/ بناء حقول دلالية باعتبار العلاقات التراتبية من الأدلة اللغوية كنسبة الفرد للجماعة- خضوع الجزء للكل- وخضوع الخاص للعام...الخ.

ب/ وضع حقول دلالية بناءً على علاقة التقابل أو التضاد مثل: ليل– نهار، حياة–موت، وتضاف إليها علاقات دلالة أخرى كالتدرج أو التعاقب ثم الترادف...الخ.

وهذه المعاجم اللغوية الشاملة والأخرى معاجم لموضوعات تختلف عن مثيلاتها عند الغربيين في هذا العصر لأسباب أهمها الزمان وتطوره وتوسع آفاق الدرس الدلالي.

وما قدمه العرب من جهود في هذا الجانب يعد عملاً رائداً في مجال الحقول الدلالية وقد غلب على تلك الجهود الجانب التطبيقي أكثر من التنظير.

كتاب المخصص حوى تطبيقات نظرية الحقول الدلالية، فقال صاحبه: (قام هذا الكتاب من قبل كيفية وضعه فمنها تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص، والإتيان بالكليات قبل الجزئيات.

والعرب قد عرفوا نظرية الحقول الدلالية منذ القرن الثاني للهجرة، أما الغرب فلم يعرفها إلا في القرن التاسع عشر.

وتعد معاجم الحقول الدلالية أساساً في تطور معاجم المعاني أو معاجم الموضوعات في العصر الحديث.

–النتائج– نظرية الحقول الدلالية تضبط المفردات وتنظمها وفق العلاقات التى تجمعها.

–المعاجم في ظل نظرية الحقول الدلالية تستوجب جميع التغيرات الدلالية التى حملتها الكلمات في مسيرتها التاريخية.

–يرى الدكتور أحمد عزوز أن ترتيب الكلمات في مجموعات ترتبط بفطرة الإنسان ومن خصائص العقل الإنساني الذي بِطبيعته الميل نحو التصنيف والبحث عن العلاقة التي

تكون أجزاء هذه المجموعة أو تلك، حتى يتثنى لنا فهمها، ووضع قوانينها ثم الحكم عليها والاستنتاج.

أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري(صاحب كتاب المطر):

هو أحد أئمة اللغة والأدب غلب عليه جانب اللغات والنوادر والغريب. قال عنه بن خلكان: (وكان يرى رأي القدر وكان ثقته في روايته) ولمكانته روي عنه أبي عثمان المازني أنه قال: (رأيت الأصمعي قد جاء إلى حلقة أبي زيد الأنصاري فقبل رأسه وجلس بين يديه وقال: (أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة- وفي رواية40 سنة، وأخرى 30سنة فكان الأصمعي يبجله ويحترمه.

أهم مؤلفاته: القوس والترس، الإبل، المطر، المياه، النوادر وغيرها.

وفاته: كانت وفاته بالبصرة في سنة خمس عشرة-14-16 ومئتين وعمر عمراً طويلاً حتى قارب المائة.

التعريف بكتاب المطر(لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري):-

ظهرت الكتب ذات الموضوعات عند العرب قديماً، وظهر هذه الكتب في ذلك التاريخ الضارب في القدم دليل على مدى استيعاب العرب القدامى للغتهم وكيفية تصنيفها وتبويبها وذلك وفق دلالاتها، والذي أدى لتوسع العرب في علم الدلالة الحاجة لفهم النص القرآني ودلالاته المتنوعة، فالألفاظ القرآنية ألفاظ وارفة الدلالة ويحتاج فهمها إلى عمق تفكير وبعد نظر لاستخلاصها ومعرفة المقصود من معانيها وفي توسع الدلالة للفظ القرآني دلالة على فصاحة اللغة القرآنية فهي لغة رفيعة إحتار العرب في أمرها.

ويعتبر كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري واحد من تلك الكتب التي تجسدت فيها نظرية الحقول الدلالية في أبهى صورها حيث استفاد المؤلف من هذه النظرية في حسن اختيار الألفاظ ومدى تناسقها وانسجامها ويبدو ذلك واضحاً من خلال الاطلاع على أبواب الكتاب، حيث صنف كل باب من هذا الكتاب ورتبه وفق مفهوم معجمي دلاليومن خلال التبويب تتبع المؤلف جميع التغيرات الدلالية التي تطراء على اللفظ عبر مسيرته التاريخية، وقد حفل الكتاب بمختلف الألفاظ التي تقع تحت مظلة(ألفاظ المطر) وما يلحق بها من الأنواء والغيوم والرعد والبرق...الخ.

كتاب المطر جمع فيه المؤلف اللغة من قبائل مختلفة ظهرت فيه الاختلافات بين لهجات القبائل ، فالاختلاف في الألفاظ الواردة في الكتاب مرده إلى:

1-وقوع بعض الألفاظ بلغات القبائل المختلفة(اختلاف القبائل في تسمية الظواهر المتماثلة).

2-الإستعمال المجازي للفظ.

3-التطور الدلالي للفظ.

4-ندرة الاستعمال للفظ.

5-الإشتراك اللفظي.

6-النظم وما يتعلق به من حذف وتقديم وتأخير وإشتقاق.

وقد تضمن كتاب المطر العديد من الفوائد اللغوية فصار مرجعاً من مراجع علوم اللغة.

ومن أشهر طبعاته تلك الطبعة التي نشرها الأب لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة بيروت في العام1905م.

الجوانب التطبيقية لنظرية الحقول الدلالية في كتاب المطر:

أصحاب نظرية الحقول الدلالية يجددون الكلمة من خلال علاقتها بمجموعة من الكلمات ترتبط معها في دلالتها وتمثل معها معنى أو مفهوم عام يجمعها.

المصطلحات:-

-حقل الكلمة أو الحقل القاموسي للكلمة.

-المجال الدلالي أو الحقل الدلالي.

-المجال اللغوي.

-الحقل التركيبي.

المبادئ:-

-لا بد أن تنتمي كل وحدة معجمية إلى حقل دلالي.

-ليس هنالك وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل دلالي.

-لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

-استحالة دراسة المقررات مستقلة عن تركيبها النحوي.

المعاجم الحديثة ترتب الألفاظ أو الكلمات على حسب درجة تحقق المعنى، وزادت المعاجم الغربية على ذلك أن ترتيب الألفاظ ترتيباً منطقياً أو نوعياً.

وفي كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري تجلت بوضوح نظرية الحقل الدلالي وكل حقل من هذه الحقول حوى مجموعة من المعاني أو الكلمات المتقاربة التي تتميز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة، وتكتسب كل مفردة من مفردات الحقل الدلالي معناها من المعاني والمفردات المحيطة بها.

مثال لذلك: الحقل الدلالي الذي وردت فيه من الألفاظ: (الوابل، الغيث، الجود، ...الخ).

فجميع هذه الألفاظ ذات معاني متقاربة وتميزت بملامح دلالية مشتركة مفادها (أنواع المطر).

والناظر في كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري يرى أن فكرة الحقول الدلالية تقوم على العلاقات المنطقية التي تربط بين الألفاظ، فتنتج من الألفاظ شبكات دلالية ترتبط بعضها ببعض، وذلك وفق العلاقات الدلالية المألوفة في كلام العرب.

يرى الدكتور أحمد عزوز إن ترتيب الكلمات في مجموعات يرتبط بفطرة الإنسان ومن خصائص العقل الإنساني الذي من طبيعته الميل نحو التصنيف والبحث عن العلاقة التي تكون أجزاء هذه المجموعة أو تلك حتى يتثنى لنا فهمها ووضع قوانينها ثم الحكم عليها والاستنساخ

الألفاظ داخل الحقل الدلالي تتوزع وفق علاقات تشاكلية تعين الباحث على تعيين دلالاتها وعدم الخلط بين المعاني.

وبما أن الحقول الدلالية هي مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام يحدد الحقل الدلالي أي: هي مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع تحت لفظ عام يجمعها، نجد أن أبي زيد الأنصاري أعتمد في تصنيفه وتبويبه لكتاب المطر على فكرتين:

أ/التدرج Hierarchy.

ب/تداعي المعاني Associative Of Meaning.

وذلك لأن المجالات الدلالية تعتبر أبنية مستقلة من المعاني القائمة عن التصنيف من العامل الخاص، وعملية البناء المتدرج تحدد علاقة الكلمات بعضها ببعض.

وفي كتاب المطر نلاحظ إن الكلمات في الحقول الدلالية تدور حول محاور عامة يرشد إليها عنوان الباب، وهي تتدرج من العام إلى الخاص ومن الكلي إلى الجزئي (تداعي المعاني والاستطراد).

وقد أشار إلى ذلك النسق اللغوي في الحقول الدلالية دي سيور رائد اللسانيات الحديثة فقال: (إن اللغة نظام من العلامات، وأن هذه العلامات تكتسب قيمتها من خلال علاقتها بالعلامات الأخرى تماماً كقطعة الشطرنج (الفارس) فهي لا تعني شيءً خارج رقعة الشطرنج وإنما تستمد قوتها من خلال علاقاتها بالقطع الأخرى).

وعلى هدى ذلك التأليف الدلالي سار علماء اللغة المحدثين يصنعون معاجمهم، وعن طريق هذا التأليف يمكن الوقوف على البنية الدلالية لكل لغة وفي هذا تختلف اللغات الإنسانية عن بعضها البعض بإختلاف ثقافة الشعوب وتجاربها.

والمعنى المعجمي هو تلك الرابطة والعلاقة بين علم الدلالة والمعنى المعجمي، والمعنى المعجمي يتصل اتصالاً وثيقاً بعلم الدلالة وعلم المفردات وعلم المعاجم.

فكل كلمة من كلمات اللغة العربية تحمل دلالات معجمية مستقلة من دلالات زائدة على تلك الأصلية ويطلق عليها الدلالة الإجتماعية.

هنالك علاقة مبنية بين علم المعاجم وعلم الدلالة الذي يعنى بالمعنى الذي تحمله اللفظة، وفي هذا دليل على وجود علاقة تعرف بالمعنى المعجمي.

-علم الدلالة هو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يقوم بدراسة المعنى المعجمي.

-علم الدلالة يهتم بدراسة المعنى المعجمي لوحدة إلا أنه استطاع أن يبين العلاقة اللازمة بين علم الدلالة والمعجم.

-علم المعاجم جزءً من علم الدلالة- كون علم الدلالة يهتم بدراسة المعنى بعيداً عن المعاني الرئيسة أي: المعاني المعجمية.

نماذج تطبيقية من كتاب المطر:

كتاب المطر: للمؤلف أبي زيدٍ الأنصاري الشهير بصاحب النوادر، وقد جمع فيه كل ما ورد في كتب اللغة عن المطر وما يلحق به من الأنواء والغيوم وما شاكلها والرعد والبرق ...الخ.

أنواع البرق : وقد أورد المؤلف في هذا الحقل الألفاظ التي تدل على أنواع البرق، وهي كالتالي:

1-البرق الوليف: وهو البرق الذي يلمع لمعتين لمعتين، فكأن إحداهما وليفاً للأخرى، وكانوا يثقون به، لذلك كنوا به عن المواتاه ومطاوعة الزمان وعطف الأحبة، قال الشاعر من هذيل:

لسماء بعد سنان النوى***وقد بت أحبلت برقاً وليفا

2-البرق الخلب: والخلب جمع خلوب وهي تعني المخادعة، والبرق الخلوب: هو البرق الخادع ولا يصحبه مطر، صفات النسوة (يخدعن إذا وعدن)، وكنوا به عن إدبار الزمان، قال النابغة الجعدي:

ولست بذي ملق كاذب***الاقِ كبرق في الخلب

وتكنى الدنيا بالخلوب أي: المخادعة، قال الشاعر:

أيه يا دنيا أعبسي أو فابتسمي***ما أرى برقك إلا خلب

3-البرق الوميض: وهو البرق الساطع الذي يتوالى لمعانه، وقد ورد ذكره في حديث النبي صل الله عليه وسلم استناداً إلى ما أورده ابن دريد في كتابه صفة السحار، قال صل الله عليه وسلم وهو يسأل اصحابه وقد أخبروه عن سحابة فكيف يرون برقها: (أوميضاً أو خفواً، قالوا: بل يشق شقاً: أي: ينطلق طولاً في السحاب)

والبرق الخفو هو البرق الذي لا يكاد يبين وهو خليف المطر.

4-العقيقة: وهي البرقة تظهر طولاً في السحاب، وفي ذلك يقول العرب: (عق السيل الحرة): إذا اخترقها وتشعب فيها، وقد ورد لفظ العقيقة في قول الشاعر عنترة بن شداد:

وسيفي كالعقيقة فهو كمعي***سلاحي لا أفل ولا فطار

5-البرق: وهو البرق الذي يلمع سبعين لمعة أو أكثر وهذا النوع من البرق كانوا يثقون بمطره، وفي كلمة سبعين لمعة دليل على صبرهم في مراقبته كيف لا يصبرون على ذلك وبالمطر ترتبط حياتهم، وكلما كثر اللمع في البرق دليل على كثرة السحاب واحتكاك السحب مع بعضها البعض وهذا أدعى للمطر

7–الصاعقة أو الصاقعة: وهي البرقة بين السحاب والأرض وتظهر في الأرض وتحرق ما تأتي إليه، ومما جاء في الشعر قال لبيد وصف فارس هلك بصاعقة:

فجعل الرعد والصواعق***بالفارس يوم الكريهة النجد

وغير ذلك من أنواع البرق التي أوردها المؤلف في هذا الحقل، فجميع هذه الألفاظ تدور حول فكرة عامة وهي: (البرق)، وتختلف هذه الألفاظ في دلالتها الدقيقة (أنواع البرق) فهي معاني تتدرج من العام إلى الخاص، وكل معنى من هذه المعاني يختلف أختلاف دقيق في المعنى والمعاني الأخرى (الفروق اللغوية).

أنواع السحب:

وقد أورد المؤلف في هذا الحقل الدلالي من الألفاظ التي تدل على السحب وأنواعها:

القزع: قطع السحاب المتفرقة في السماء.

الجفل والجهام: السحاب الذي هراق ماءه.

الحلي: الغيم القريب الحسن.

الضباب: شبه الدخان يظلل السماء.

الطخارير: السحاب الصغار الواحدة صخرور.

الركامي: يتحول إلي الركام المزني الممطر، ويقال سحاب ركامي إن تراكم بعضه على بعض، ويكون السحاب الركامي في ارتفاعات منخفضة قريب إلى الأرض وفي أشكال عمودية.

الرباب: وهو الغيمة الخفيفة، وفي ذلك يقول الشاعر لبيد بن ربيعة:

فافزع في الرباب يقود بلقى***محمومة تدب على السحالي

الريق: هو أول السحب الماطر.

الكنهور: وهو العظيم من السحاب، وفي ذلك يقول العرب: (وميضة في كنهور ربابها).

الرهج: وهو السحاب الرقيق، كأنه غبار، وفي ذلك يقول الهذلي:

ففي كل دارٍ منك للقلب حسرة***يكون لها نوء من العين موهج

وألهجت السماء إذا أمطرت.

وقد تكون هذا الحقل الدلالي من مجموعة من الألفاظ أو الكلمات المتقاربة التي تشير إلى أنواع السحاب وجميع هذه الألفاظ ذات عناصر أو ملامح دلالية مشتركة، وتكتسب كل مفردة من مفردات الحقل الدلالي معناها من معاني المفردات المحيطة بها مع بعض الاختلاف اللغوي الدقيق (الفروق اللغوية).

وقد يعود ذلك إلى اختلاف القبائل في لهجاتها أو التطور الدلالي للفظ أو الاشتراك اللفظي.

أسماء المطر:

الولي: إذا أتى المطر بعد المطر.

الرجيع: إذا رجع يتكرر المطر.

الشآبيب: هو المطر الذي يهطل على دفعات.

الورق: إذا استمر المطر في الهطول.

الغيث: هو المطر الذي يأتي ليروي النبات.

الوابل: المطر ضخم القطر شديد الوقع.

الجود: المطر الغزير الذي يروي كل شيء.

الديمة: نوع المطر الدائم مع السكون.

اشتمل هذا الحقل الدلالي على مجموعة كلمات تدور حول أسماء المطر وقد دل على ذلك عنوان الباب، وهذه الكلمات تتفاوت فيما بينها من حيث المعاني ولكنها جميعها تشير إلى دلالة عامة فحواها (المطر) وتعدد الكلمات والألفاظ مرده إلى التفاوت في المعاني الذي جاء على السنة القبائل العربية المختلفة أو من باب التوسع في المعنى (المشترك اللفظي) أو غير ذلك من الأسباب التي قال بها صاحب الكتاب في عدة مواضع من كتاب المطر.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبدالله المبعوث بالرحمات وعلى آلة وصحبه وسلم.

استعرضت هذه الدراسة نظرية الحقول الدلالية دراسة تطبيقية على كتاب (المطر) لأبي زيد الأنصاري، وفي تناول ذلك الجانب المعجمي وفق الحقول الدلالية تتجلى عظمة العلماء العرب ومدى تمكنهم من ناصية اللغة فقد قعدوا لجمع هذه النظريات اللغوية والأسس والقواعد التي يزعم كثير من الناس جملاً أنها وليدة علم اللغة الحديث ونتاجاً لعلماء اللغة الغربيين، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

1-تعتبر نظرية الحقول من أهم النظريات اللغوية في مجال صناعة المعاجم اللغوية.

2-عن طريق نظرية الحقول الدلالية تتم معالجة الفجوات المعجمية والثغرات اللغوية في مجال المفردات.

3-فهم العرب قديماً لنظرية الحقول الدلالية وتجسيد ذلك من خلال معاجم لغوية.

4-حصر الحقل الدلالي في كتاب المطر لأبي زيد ساعد كثيراً في تحديد المعنى الدقيق للفظ وبيان الفروق الفردية بين معاني الألفاظ.

5-هناك علاقات دلالية بين الألفاظ في الحقل الدلالي تقوم على أساس التباين أو التضاد، الكل- الجزء، وكل ذلك يساعد في تحديد المعنى.

المصادر والمراجع:

1. ابن دريد، الأذدي، الإمام أبوبكر محمد بن الحسن، وصف المطر والسحاب ومانعتته العرب الرواد من البقاع، المؤلف عزالدين التنوخي، المجمع العلمي دمشق-1963م.
2. ابن سيده-أبوالحسن بن اسماعيل، المخصص، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي- منشورات دار الآفاق الجديدة-بيروت لبنان، ج1، ص15.
3. ابن قتيبية، أبو محمد عبدالله بن مسلم، الأنواء في مواسم العرب، حيدر آباد- الهند-1956م، ص76.
4. أبي زيد سعيد الأنصاري، كتاب المطر، نشره الأب لويس شيخو اليسوعي- المطبعة الكاثلوكية اليسوعية-بيروت-1905م.
5. احمد طاهر حسنين، نظرية الاكتمال اللغوي عند العرب، ط1-1987م، ص162.
6. احمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص13.

7. احمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5-1988م.
8. بالمر- علم الدلالة، ترجمة: محمد عبدالحليم الماشطة، جامعة المستنصرية- بغداد-1985م، ص78.
9. خالد احمد- مجلد مجمع اللغة العربية-دمشق ص87-ج1.
10. السكري- شرح أشعار الهزليين،طبعة لندن43.
11. صلاح الدين زركل، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت، منشورات الأختلاف-الجزائر-ط1-2008م، ص83.
12. عنترة بن شداد، ديوانه، ص43.
13. فاطمة الأمين جمعة- كتاب المطرلأبي زيد الأنصاري دراسة لغوية، مركز البحوث- مركز الدراسات الجامعية لبنان-1414هـ.
14. فايز الدبة، علم الدلالة العربي، ط(د ت)، ص204-210.
15. لبيد بن ربيعة، ديوانه، الناشر دار صادر1995م، ص79.
16. محمود جاد الرب، نظرية الحقول الدلالية والمعاجم اللغوية عند العرب، مجمع اللغة العربية- القاهرة.
17. منقور عبدالجليل، علم الدلالة، ص76.
18. النابغة الجعدي، ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل، طبعة دار المعارف2009م.
19. (Desaussare.Courseln ganral linguisties p.110).

واقع تطبيق ادارة الجودة الشاملة في الفنادق بمدينة بنغازي

دراسة ميدانية علي الفنادق بمدينة بنغازي

اعداد / د. خالد عطية الصغير

الخلفية النظرية :

إن الاهتمام بقطاعات الخدمات يعكس مراحل النمو الاقتصادي لأي دولة. ففي حالة المرحلة الأولى كان الاهتمام الأساسي مركزاً على الزراعة باعتبارها المصدر الرئيسي للسع باعتبار أن القطاع الزراعي هو القطاع الذي تستند إليه كافة القطاعات وعلى الصناعات الاستخراجية، فمع زيادة التطور الاقتصادي ازدادت الحاجة إلى المواد الأولية التي تحتاجها الصناعات الوليدة لذلك فقد ظهرت مناجم وغيرها من الصناعات الاستخراجية ثم تلا ذلك مرحلة التصنيع والتي بدأت مع بداية الثورة الصناعية وتطبيق مبادئ الإدارة العلمية في الصناعات المختلفة ولقد كان ظهور الصناعات بمختلف أشكالها يعني ظهور المنافسة وبالتالي استخدام مختلف أساليب جذب الزبائن ومن بين هذه الأساليب التسويقية التي بدأت في ميدان الصناعة والسلع الصناعية لذلك فقد اكتسبت خصوصية في هذا الميدان وأخذت ملامحها الأساسية فيه، ومن ثم تأتي إلى المرحلة الثالثة والأخيرة وهي التركيز على صناعة الخدمات.

تعريف الخدمات:

اتفقت الدراسات الحديثة على أن الخدمات من المفاهيم التي يصعب تعريفها بدقة وذلك بسبب الخصائص التي تنفرد بها مقارنة بالسلع المادية, وهذا ما أدى إلى تعدد التعاريف بتعدد الكتاب والمهتمين بهذا المفهوم كما يلى:

عرفت الخدمات بأنها "أحد أشكال المنتجات التي تقوم بإنتاجها منظمات الأعمال مثل الفنادق والسياحة والمصارف والمؤسسات والهيئات مثل مؤسسات التأمين وهيأت البريد والوزارات والمصالح الحكومية مثل الاتصالات والمرور والتعليم"[1].

تعريف الجمعية الأمريكية لتسويق الخدمة بأنها " النشاطات أو المنافع التي تعرض للبيع أو التي تعرض لارتباطها بسلعة معينة"[2].

وتعرف الخدمة بأنها "نشاط أو إنجاز أو منفعة يقدمها طرف لطرف آخر وتكون أساساً غير ملموسة ولا ينتج عنها أيه ملكية, وأن إنتاجها أو تقديمها يكون مرتبطاً بمنتج مادى ملموس أو لا يكون"[3].

أما Eric Vogles فيعرف الخدمة على أنها "أكثر من إنتاج أشياء وغير ملموسة فهى تفاعل اجتماعي بين المنتج والزبون الذي يشبع احتياجاته ورغباته أثناء عملية الإنتاج"[4].

ويعرفها قاسم نايف علوان بأنها "تفاعل اجتماعي بين مجهز الخدمة والزبون يهدف هذا التفاعل إلى تحقيق الكفاءة لكليهما"[5].

تصنيف الخدمات:

هناك أنواع عديدة من الخدمات التي يمكن تصنيفها كما يلى:

1. حسب مشاركة الزبون أو المستفيد:

حيث يتطلب بعض الخدمات حضور الزبون أو مشاركته للحصول على الخدمة مثل العلاج الطبي، السياحة، الإطعام، بينما لا تتطلب خدمات أخرى مشاركة الزبون أو حضوره طوال الوقت مثل خدمة إصلاح أو صيانة السيارات[1].

---

[1]- جمال الدين محمد المرسي (1998): أساسيات التسويق المعاصرة, مكتبة التوحيد الحديثة, القاهرة, ص465.

[2]- هاني حامد الضمور (2005):.تسويق الخدمات, دار وائل للنشر ,الطبعة الثالثة الاردن,ص18.

[3]- محمد عبد العظيم أبو النجا(2008): التسويق المتقدم ,الدار الجامعية ,الاسكندرية ص28.

[4]-eric:vogler(2004):management strategique des services,edition dunod,pais,pio

[5]- قاسم نايف علوان المنياوي(2006): إدارة الجودة في الخدمات, دار الشروق للنشر والتوزيع, الأردن ص52.

2. حسب الخبرة المطلوبة في أداء الخدمة: وهي كالتالي:

- خدمات مهنية: مثل خدمات الأطباء والمحامين والمستشارين الإداريين والماليين.
- خدمات غير مهنية: مثل خدمات حراسة العمارات ومواقف السيارات.

3. من حيث الاعتمادية:

حيث تتنوع الخدمات على أساس اعتمادها, إما على المعدات أو على الأفراد، كما تتنوع حسب أدائها من قبل عمال ماهرين أو غير ماهرين، وهنا أصبح طلب الخدمة يتأثر بالشخص الذي يتولى تقديمها وكذلك الحال في الخدمات التي تعتمد على المعدات، إذ هي الأخرى تختلف إذا ما كانت المعدات ذات تسيير ذاتي أم أنه ليس كذلك[2].

4. حسب الزبون: حيث يمكن تصنيفها إلى:

- خدمات المستهلكين: وهي الخدمات التي تقدم لإشباع حاجات شخصية مثل السياحة والتأمين على الحياة وسميت هذه الخدمات بالخدمات الشخصية.
- خدمات المنشآت: هي الخدمات التي تقدم لتلبية حاجات منظمات الأعمال كما هو الحال في الاستثمارات الإدارية والمالية وصيانة المعدات.

5. حسب دوافع مقدم الخدمة: حيث يمكن تصنيفها إلى:

خدمات غير ربحية: وهي خدمات تقدم من طرف مجموعة من الأفراد أو منظمات أو جمعيات إلى مختلف الأفراد وليس بدوافع

- الربح مثل الخدمات المقدمة من طرف الدولة كالتعليم والعلاج الطبي والجمعيات الخيرية.

---

[1]- حميد الطائر ومحمود الصعيدي وآخرون (2006): الأسس العلمية للتسويق الحديث، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن عمان ص 193.

[2]- قاسم نايف علوان المحياوي (2006): مرجع سبق ذكره، ص 70.

- الخدمات الربحية: تقدم بدافع الربح مثل المنظمات الخاصة كالمستشفيات والمدارس والجامعات الخاصة.

6. الخدمات طبقاً لدرجة كثافة العمالة: وتنقسم إلى:

- الخدمات الكثيفة العمالة: تعتمد على العمالة بدرجة أكبر في تقديمها مثل الخدمة الفندقية، خدمات التدريس وغيرها.
- كثيفة الآلة: تعتمد على الآلة بدرجة أكبر في تقديمها مثل خدمة النقل والمواصلات وغيرها[1].

7. الخدمات حسب درجة الاتصال بالمستفيد: وتنقسم إلى:

- خدمات ذات اتصال شخص عالٍ: مثل خدمات المحامي وخدمات السكن وخدمات النقل الجوي وهنا وجود العميل أثناء تقديم الخدمة ضرورياً.
- خدمات ذات اتصال منخفض: مثل إصلاح السيارات، التسوق عبر الإنترنت، وهي بذلك لا تتطلب وجود عميل أثناء تقديمها.

8. الخدمات حسب وجهة النظر التسويقية: حيث يمكن تصنيفها إلى:

- خدمات سهلة المال: يحصل عليها الزبون بشكل سهل مثل النقل والحلاقة.
- خدمات خاصة: مثل خدمة استئجار بعض الأشخاص لحماية وحراسة بعض الشخصيات الهامة.

9. الخدمات حسب طبيعة الخدمة: وتصنف إلى:

- خدمات ضرورية: مثل الخدمات الصحية، التعليم.
- خدمات كمالية: مثل التسلية والترفيه.

[1]- محمد علي بركات علي (2001): قياس رضا العملاء عن جودة الخدمة،رسالة ماجستير، كلية التجارة، جامعة عين شمس، ص59 .

عناصر إنتاج الخدمة:

تتكون المنظمة الخدماتية من عدة عناصر تتفاعل فيما بينها لإنتاج وتقديم الخدمة التي تتمثل في:

- نظام عمليات تشغيل الخدمة.
- الدعم المادي.
- العمال المباشرين.
- الزبون.
- عرض الخدمات.

1. نظام تشغيل الخدمة: يتمثل نظام عمليات تشغيل الخدمة في الإدارة العليا للمنظمة التي تعتبر مصدر القرارات المتعلقة بعرض الخدمات توظيف وتسيير الموارد البشرية وتحديد أشكال الاتصال بين المنظمة والزبائن.. إلخ وبذلك يكون لهذا الجزء من عملية الإنتاج تأثيراً مباشراً في عملية تقديم الخدمة وجودتها[1].
2. الدعم المادي: يظهر الدعم المادي في التصميم الداخلي للمنظمة التجهيزات والمعدات الضرورية لإنتاج الخدمة في موقع المنظمة ... إلخ وهو يؤثر في عملية إنتاج الخدمة وتقديمها.
3. العمال المباشرون: ويقصد بالعمال المباشرين مقدمي الخدمات الذين يتعاملون مباشرة مع الزبائن ويمثلون المنظمة في نظرهم ويؤدى هؤلاء الموظفون دوراً بالغاً في عملية تقديم الخدمة وجودتها مما تتطلب حصولهم على مهارات وكفاءات عالية.
4. الزبائن: إن كل من يتعامل مع المنظمة ويتلقى سلع وخدمات منها يعتبر زبوناً لها.

عرض الخدمات: تتمثل النتيجة المتولدة من مجموعة التفاعلات الحاصلة بين مختلف عناصر إنتاج الخدمة التي تعتمد تقديمها في الغالب وجود مقدم الخدمة والزبون في آن واحد. ويمكن توضيح

[1]- صليحة رقاد (2008): تقييم جودة الخدمة من وجهة نظر الزبون ,رسالة ماجستير إدارة الاعمال جامعة الحاج ,باتنة ,ص 10:9 .

طرق تقديم الخدمة:.

- **طريقة الخدمة الباردة:.**

تتسم هذه الخدمة بانها تعتمد أساليب وإجراءات سيئة في تقديم الخدمة للعملاء ,إضافة إلى تعاملات غير جيدة وتواجه مواقف وسلوكاً غير مناسب من العملاء أنفسهم جراء السلوكيات غير المقبولة من قبل مقدمي الخدمات لذلك تكون الخدمة غير مريحة وغير متناسقة ,وفي الجانب الإجرائي (تمثل النظم والإجراءات المحددة لتقديم الخدمة), أما الجانب الشخصي ,(طرق التفاعل والتعامل مع الزبون عند تقديم الخدمة من قبل مقدمي الخدمات), فتمتاز بأنها غير واضحة، وعادة ما تكون باردة وغير شفافة، وتتسم بعدم الاكتراث للعملاء إذ يمقتون هذه الخدمة ولا يرغبون بها.

- **طريقة المصنع للخدمة :**

إن هذه الطريقة تمتاز عادة بارتفاع الاهتمام بالجانب الإجرائي في تقديم الخدمة, أما الجانب الشخصي، فيتسم بانخفاض أهميته، أما فيما يخص الجانب الإجرائي فإنها تأتي في الوقت المناسب وتكون منتظمة ومناسبة وتقدم صورة موحدة لجميع العملاء .

- **طريقة الحديثة الوردية للخدمة:**

إن هذه الطريقة في تقديم الخدمة للعملاء تتميز بالاهتمام الكبير بالجانب الشخصي مع انخفاض ملحوظ بالمستوى الإجرائي الذي تكون فيه الخدمة بطيئة وغير متناسقة، أما الجانب الشخصي فتتميز الخدمة بأنها جذابة ولافتة للنظر وبارعة وسليمة في سبل تقديمها مرغوبة من قبل العملاء.

- **طريقة جودة وخدمة العميل:**

إن هذه الطريقة تتميز عادة بارتفاع الجوانب المتعلقة بكل من الاتجاهين الإجرائي والشخصي , وتعد من أفضل الطرق التي يتم استخدامها في تقديم الخدمة ,فتتسم هذه الطريقة من الناحية الإجرائية بأنها منتظمة ومتناسقة عادة, وتقدم صورة موحدة للعملاء، أما على المستوى الشخصي فتكون سبل تقديم الخدمة جذابة ولافتة للنظر.

تعريف جودة الخدمة:

تعددت التعاريف بتعدد المهتمين بمفهوم جودة الخدمة، لذلك سيتم عرض أهم هذه التعاريف بهدف الوصول إلى مفهوم عام على النحو التالي :

- تعريف باديرو Badiro :

تعرف الخدمات بأنها مستوى متعادل لصفات تتميز بها الخدمة مبنية على قدرة المنظمة الخدمية واحتياجات العملاء ويضيف ذن مجموعة الصفات التي تحدد قدرة جودة الخدمة على إشباع حاجات العملاء هي مسؤولية كل مستخدم أو عامل في المنظمة[1].

- تعريف آخر : جودة الخدمة طريقة مشتقة بشكل تجريبي، قد تكون مستعملة من قبل المنظمة لتحسين نوعية الخدمة[2].
- ويعرف آخرون : جودة الخدمة تعني مسايرة توقعات العملاء , والارتقاء إليها بشكل مستمر، وتحدد بالفرق بين الخدمة المتوقعة والخدمة المدركة[3].
- تعريف آخر: الأثر الإجمالي للمنتج من خلال خصائص الخدمة المعرضة للاستعمال والتي تحدد درجة تلبية رغبات الزبون[4]

أما lewis 4 booms فيرى أن جودة الخدمة : هي مفهوم يعكس مدى ملائمة الخدمة المقدمة بالفعل لتوقعات المتقدم للحصول على هذه الخدمة , أي تسليم الخدمة يعني المطابقة لمواصفات الخدمة المقدمة لتوقعات الخاصة بهذه المواصفات، وعليه الذي يحكم على جودة الخدمة هو المستفيد الفعلي منها[5].

ويمكن أن نستخلص أن جودة الخدمة تمثل معيار لدرجة تطابق الأداء الفعلي مع توقعات العملاء لهذه الخدمة وبشكل مستمر، مما يضمن الرضا الدائم للمستفيدين, ويحقق للمنظمة ميزة تنافسية بالنسبة للآخرين ,وهذا انطلاقا من الخصائص المستمدة من هذه الخدمة، وذلك على النحو الذي يعرضه الشكل التالي :

---

[1]- توفيق محمد عبد المحسن (2006): قياس الجودة والقياس المقارن .مكتبة ايتراك, مصر,ص40.

[2]-http://www.12managr.com(vule 14-01-2010 a 14h:30)

[3]-http://marketer.1talk.net.(vule 13-01-2010 a 14h:30)

[4]-Hanan bentaleb(1998):.la qualite de service des systemes.these de doctorat specialite informatiqes,

[5]- ثابت عبد الرحمن إدريس (2006): كفاءة وجود الخدمات اللوجستية . الدار الجامعية ,الإسكندرية, ص291 .

مشكلات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في القطاع الفندقي

معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة:

عند تطبيق أي نظام جديد دائما ما يوجد عدد من المعوقات إما بسبب التطبيق الخاطئ او عدم الفهم للمطلوب أو عدم وضوح الرؤية أصلاً قبل التطبيق ويمكن إيجاز أهم معوقات تطبيق الجودة الشاملة بما يلي :

1. عدم وجود التزام من الإدارة العليا بدعم منهجية تطبيق إدارة الجودة :حيث توجد كثير من الإدارات العليا لا يهمها مدى النجاح الفعلي في التطبيق وتلمس النتائج بقدر ما يهمها النجاح الصوري أمام العملاء .

2. حداثة ظهور علم إدارة الجودة الشاملة وخاصة في البلدان النامية: حيث إن علم إدارة الجودة منذ أكثر من ثلاثين سنة مطبق في أمريكا واليابان وأوروبا لم يجد صداه للتطبيق في البلدان النامية سوى في التسعينيات ولعدد محدود جدا من المنظمات حيث تأخر في التطبيق حوالى عشرين سنة .

3. عدم توفر الكفاءات البشرية المؤهلة في هذا المجال لعدم وجود وضوح للرؤية الخاصة بتطور علم إدارة الجودة وعدم إقبال الشركات على التطبيق وبالتالي يتم توفير الكفاءات حسب العرض والطلب على الوظائف .

4. تخصيص مبالغ غير كافية لأجل تطبيق إدارة الجودة الشاملة لعدم الاقتناع بجدوى تطبيق المنهجية، وخاصة لدى الشركات التي تحقق برمجية عالية بدون تطبيق المنهجية، واعتقاد كثير من الإدارات العليا بأن التطبيق لن يغير شيئاً .

5. الاعتقاد الخاطئ لدى بعض العاملين : وخاصة القدامى منهم بعدم حاجتهم للتدريب, حيث كثير من المديرين ينشغل بالمحافظة على مقعده وعدم المساس به وكذلك انشغاله بتحقيق الهدف المرجو من وظيفته دون تحمل عبء الدخول في متطلبات وأعباء وظيفية أخرى قد تكون ليست من مهامه في وجهة نظره، وهي وجهة نظر ورؤية قصيرة المدى، حيث تنظر إلى المصلحة العامة قدر نظرتها للمصلحة الشخصية .

6. اتباع الأسلوب الدكتاتوري في الإدارة وتشدد المديرين في تفويض صلاحياتهم حيث يعتقد الكثير من المديرين أن الموظفين وجدوا لكي ينفذوا الأوامر والتعليمات فقط، وأنه ليس من مهامهم وضع الأهداف

والتعليمات وتصحيح الانحرافات وقياس مدى دقة الأداء لأن كل هذه المهام من مهام المديرين أنفسهم حيث ادلى أحد المديرين بقوله ماذا نفعل نحن إذا هم شاركوا (أي العمال) في وضع الأهداف وخطط العمل وإجراءاته على هواهم.

7. مقاومة التغيير لدى بعض العاملين بسبب طبيعة المقاومة للتغيير أو بسبب الخوف من تأثيرات التغيير عليهم : إن طبيعة النفس البشرية الخوف من المجهول وخاصة إذا كان هذا المجهول مبهماً وغير واضح المعالم بالنسبة للعاملين بسبب حداثة التطبيق .

8. عدم الالمام بالأساليب الإحصائية للجودة حيث ليس من مهام العاملين معرفة الأساليب الإحصائية إلا إذا كان من صميم عملهم الرقابة والقياس وهذا موجود على مستوى متدن جداً بين المنظمات.

9. توقع النتائج السريعة للفوائد التي يمكن أن تجنيها المنظمة من إجراء تطبيق إدارة الجودة الشاملة : حيث هناك عجالة في جني المردود من المبالغ والتكاليف التي تم صرفها في إدارة الجودة وبالتالي التسرع في الحكم على النتائج بعد مضى سنة أو سنتين وخاصة في حالة عدم تلمس النجاحات في الأجل القصير .

10. عدم وجود نظام فعال للاتصالات والتغذية الرجعية: وخاصة بين العاملين داخلياً في نفس المنظمة وخارجياً بين المنظمة والعملاء والموردين وهما يؤديان إلى عدم وضوح الرؤية وعدم وجود حقائق تبنى عليها قرارات فعالة تؤدى إلى التحسين .

11. عدم وجود الانسجام والتناغم بين أعضاء الفريق أو بين فرق العمل فيما بينها : وخاصة في وجود عشوائية اختيار الموظفين التابعين لإدارة الجودة وهذا هو الواقع في كثير من المنظمات وأيضاً بسبب عدم بث روح التعاون وتوضيح المفاهيم للعاملين والاكتفاء بالمشاهدة من خارج الحلبة على الصراعات وعدم تحمل عناء التدخل لحلها أو الحد منها أو منع حدوثها.

12. التأخر في إيصال المعلومات عن الإنجازات التي يحققها العاملون والفرق في الوقت المناسب: حيث يتم البخل على الموظفين بالنتائج حتى لا تدخل الإدارة في صراعات طلبات زيادة الرواتب والحوافز والمكافآت والاكتفاء بطلب مزيد من الجهود دائماً بين العاملين[1].

معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق

تنقسم المعوقات التي تواجه الفنادق الى معوقات تتعلق بالبيئة الخارجية والداخلية للمؤسسات الفندقية ومعوقات تتعلق بمتطلبات تطبيق ادارة الجودة الشاملة في المؤسسات الفندقية وتتمثل في النقاد التالية :

أولا: المعوقات المتعلقة بالبيئة الخارجية والداخلية للمؤسسات الفندقية :

1 – معوقات البيئة الخارجية الخاصة:

وهي تلك العراقيل التي تواجهها المؤسسات الفندقية سواء أكانت عمومية أم خاصة في مواجهة قوى التنافس التي تفرضها عليها المؤسسات الفندقية الوافدة من الخارج, لاسيما فنادق السلاسل العالمية "كالشيراتون" و"الهيلتون" وما شابهما والتي سوف يتم إبراز أهم جوانبها من خلال التحليل التالي :

- التفوق الواضح للمؤسسات الفندقية الوافدة في جميع المجالات المادية والبشرية والتكنولوجية .
- محدودية القدرة على التنافس لدى المؤسسات الفندقية المحلية إزاء هذه الاوضاع, علاوة على ما ذكر سابقا هناك ضعف التعاون وتقديم الدعم اللازم ,والمساندة القوية من مسيريها والمالكين لها والعاملين فيها وكل ذوي المصلحة بها .
- تنامي ظاهرة الخدمات البديلة المتمثلة في الفيلات والشقق المفروشة وغيرها, خاصة في اماكن الجذب السياحي وبأسعار جد تنافسية .

[1]- عبد العزيز عبد العال زكي (2010): إدارة الجودة ودورها في بناء الشركات، رسالة دكتوراه، الجامعة الافتراضية الدولية بالمملكة المتحدة، ص ص 12: 14.

- غياب تطبيقات الجودة، واعتمادها أداة استراتيجية لمواجهة قوى التنافس هذه، لأن تطبيق الجودة الشاملة يزيد من دافعية العاملين والعمل على تحسين الأداء مما يجعلهم يدخلون التنافسية .

2 – معوقات البيئة الداخلية للمؤسسات الفندقية :

حيث إن العنصر البشري هو الأهم في منظومة الجودة الشاملة وهو محور اهتمام برنامج الجودة ولكن تظهر المعوقات في غياب النقاط التالية :

- عدم الإلمام اللازم بمسائل الجودة, حيث إنها لم يوجد من يُعنى بقضايا الجودة وترقية مسعاها داخل هذه المؤسسات وهذا على غرار العديد من دول العالم .
- غياب عنصر التحفيز من طرف المسؤولين المتعلق بالجودة أو الهادف إلى تكريس روح التنافس والابتكار والإبداع، وذلك من خلال تخصيص جائزة لأحسن مؤسسة فندقية في هذا المجال, وكما هو موجود أيضا في العديد من بلدان العالم .
- الهياكل التنظيمية للمؤسسات الفندقية خالية تماما من تخصيص وحدة تنظيمية تعني بشؤون الجودة في هذه المؤسسات وذلك كما تمت الإشارة إليه سابقا إذ أنه لا توجد مؤسسة فندقية تمتلك نظاما للجودة وفقاً لما كشف عنه التحقيق الماضي .
- ينظر الى مفهوم الجودة في أحسن الظروف على أنه أعلى تقدير وعلى أنه يعني جودة المنتج أي الخدمات المقدمة فقط دون النظر إلى بقية الجوانب المرتبكة بهذه الجودة وذات مسؤولية مشتركة عن إنتاجها, وهي بالذات النظرة التقليدية لمفهوم الجودة .
- عدم التحكم في تقنيات التسيير وافتقار هذه المؤسسات للمورد البشري الماهر الكفء على غرار المؤسسات الفندقية للسلاسل العالمية الموجودة مثلا. إذ يشكل هذا الجانب (تقنيات التيسيير) البنية التحتية الأساسية التي يقام عليها مشروع إدارة الجودة الشاملة كون أن هذا الأخير يعد منهجا تسييريا استراتيجيا متطورا في أساسه.

ثانيا: المعوقات المتعلقة بمتطلبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الفندقية :

1- المعوقات المتعلقة بثقافة إدارة الجودة :

- ان غالبية العاملين بالمؤسسات الفندقية لم يدركوا بعد مفهوم الجودة بالحد الكافي وهذا من شأنه أن تكون له تداعيات سلبية إزاء تطبيق هذا المفهوم, لاسيما فيما يتعلق بمقاومة التغيير, التي يتطلبها لإنجاحه وهذا تأكيد لما كشفت عنه النتائج المتعلقة بدراسة البيئة الاجتماعية الثقافية من خلال التطرق إلى البيئة الخارجية العامة للمؤسسات الفندقية على وجه العموم .
- هذا ما أدى إلى ضعف الاهتمام بقضايا الجودة بمؤسسات العينة ,حيث أفادت النتائج في هذا السياق أنها لم تكن ضمن الاهتمامات الرئيسة لكافة العاملين بهذه المؤسسات .

2- المعوقات المتعلقة بمجال دعم وتأييد الإدارة العليا لمسعى الجودة:

- قلة الموارد المالية المخصصة إلى دعم قضايا الجودة, حيث إن ما يخصص لدعم مشاريع الجودة يعد تكلفة لاستثمار طويل المدى تظهر عوائده تحديدا في كسب رضا وثقة العميل الذي يؤثر إيجابيا في تحقيق ربحية المؤسسة وتعزيز وضعها التنافسي لضمان بقائها وتطورها.
- محدودية الجهود الرامية إلى إحداث التغيير الإيجابي لدى العاملين تجاه الجودة.
- كما أنه ثمة أمور تنظيمية يمكنها أن تعيق مسار هذا التغيير تعود مسؤوليتها في الأساس الى الإدارات العليا بهذه المؤسسات .
- الأسلوب المتسلط والدكتاتوري لبعض المديرين والعاملين في الوقت المناسب .

3- معوقات متعلقة بمجال القياس .

4- المعوقات المتعلقة بمجال التركيز على العميل (الضيف) :

- التخطيط للخدمات الفندقية المبني على تحديد احتياجات وتوقعات العملاء (الضيوف) .
- كما يجب تسجيل شكاوى واقتراحات العملاء (الضيوف) والعمل على معالجتها .
- الفجوة بين رغبات العملاء والخدمات التي تقدم لأنه يجب وفق تطبيق إدارة الجودة الشاملة تطبيق استمارة احتياجات ثم تلبي المؤسسة الفندقية هذه الاحتياجات .

5- المعوقات المتعلقة بمجال العاملين بالمؤسسات الفندقية :

هناك بعض السلوكيات التي تمارسها المؤسسات مثل :

- عدم اعتبار المؤسسات الفندقية عامليها عملاء داخليين، يجب عليها العمل على تحفيزهم وإرضائهم, بل تنظر لهم على كونهم مجرد أفراد عاملين يبيعون قوة عملهم مقابل إنجاز شيء معين يتم لمصلحتها ويتقاضون أجورا مقابل ذلك .
- عدم الاهتمام باقتراحات العاملين والسماح لهم فيما يخص المسائل والقضايا المرتبطة أساسا بأعمالهم.
- وكذلك فيما يتعلق بمسألة تكليف العاملين بالأعمال التي تقع ضمن اختصاصاتهم لم تراع بالقدر الكافي والمطلوب على المستوى أغلب هذه المؤسسات.

6- المعوقات المتعلقة بمجال التدريب :

رغم أنه من أهم مبادئ الجودة الشاملة الاهتمام بالتدريب إلا أنه في بعض الحالات يغيب هذا المفهوم أو يكون محدودًا جدا ولا يشمل جميع المديرين والعاملين بهذه المؤسسات .

- ولم يكن مجديا إزاء إبراز أهدافه كتعزيز روح التعاون وتحقيق التحسين المستمر لجودة الخدمات التي يتم تقديمها .

7- المعوقات المتعلقة بمجال فرق العمل :

تنادي الجودة الشاملة وتدعم العمل في فرق للتأكيد على روح العمل الجماعي والسعي لتحقيق الهدف العام أو الرؤية الخاصة بالمؤسسة .

ثالثًا: أخطر وأهم المعوقات وهو مقاومة التغيير[1]:

[1]- عصام عبد اللطيف (2015): السكرتير الفعال في عالم متغير ـ نيولينك الدولية للنشر والتدريب، القاهرة، مصر، ص ص188:189.

مقاومة التغيير:

وفي ضوء حتمية إحداث التغيير الفعال وتطبيق مبادئ الجودة الشاملة تقوم الإدارة باتخاذ العديد من القرارات التي تستهدف إجراء تغير في البيئة الداخلية للمنظمة بهدف تكييفها، والتغييرات التي تحدث في البيئة الخارجية ويلاحظ أن هناك بعض قرارات التغيير تقبلها القوى العاملة في المنظمة وتنفذها، والبعض الآخر من قرارات التغيير يلقى مقاومة من قبل العاملين باعتبارها تؤثر سلبيا بصورة مباشرة أو غير مباشرة في أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والوظيفية وخاصة أن قرارات التغيير عادة تشمل :

1- تبديل الأجهزة والآلات والمعدات وفقا للتطورات التكنولوجية.

2- تغيير الطرق والأساليب الفنية والإدارية المتبعة في إنجاز الأعمال التي اعتاد العاملون عليها.

3- إجراء تنقلات بين القوى العاملة.

4- إعادة النظر في التنظيم الإداري للمنظمة ويترتب على ذلك تغيير هيكل الصلاحيات والمسؤوليات.

5- إجراء تغييرات وتعديلات في سياسات الأجور والمكافآت والترقيات.

2 - مشكلة البحث

بالرغم من اقتناع دول العالم النامي والمتقدم بقضية الجودة والانتباه إليها وتسابقها نحو تطبيق المستحدث في مجالها، فلسفة ومفهوم مدخلات المنظمات وإدارتها كنظم فنية واجتماعية، والوفاء باحتياجات العملاء وتوثيقهم حالياً ومستقبلاً وتحقيق إرضائهم إلا أن اهتمام المنظمات الليبية بقضية الجودة لا يزال ضعيفاً.

ويمكن استنباط ذلك من خلال عدد من الظواهر والمؤشرات الدالة على وجود مشكلة في الخدمات الفندقية وعدم رضا عملاء الفنادق عن هذه الخدمات، وكذلك عدم توفر الرضا لدى العاملين بالفنادق وعدم إشراك العاملين في عملية اتخاذ القرارات وعدم السماح بإبراز آرائهم ومقترحاتهم وعدم

اهتمام الإدارة العليا بوظيفة الجودة، كل تلك العوامل تؤدي إلى تدني مستوى جودة المنتجات والخدمات الفندقية.

وبالتالي فإن الباحث يعتقد أن هذا الضعف يعود إلى عدم الاهتمام بمقومات إدارة الجودة الشاملة وعليه فإنه يمكن تلخيص مشكلة هذا البحث في التساؤلات التالية:

- ما هو واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق بمدينة بنغازي؟
- وما هو تأثير تطبيق إدارة الجودة الشاملة في جودة الخدمات الفندقية بالفنادق محل البحث والدراسة؟
- وما هي المشكلات التي تواجه تطبيق إدارة الجودة الشاملة بالفنادق؟ وهل هناك تحديد لهذه المشكلات لدى إدارة الفنادق ومدى سعيها لحل هذه المشكلات؟
- هل هناك وعي لدى المؤسسات الفندقية بالتحديات التي تحتم عليها الارتقاء بمستوى الأداء؟ وهل تعي أن الاستمرارية والنجاح والبقاء سيكون للأجود في جميع منظمات العمل السياحي وفى مقدمتها مؤسسات الإيواء الفندقي؟
- هل تهتم الفنادق محل البحث بوجود استراتيجية واضحة وعلمية تعتمد على البحوث والدراسات المختصة بالبحث والتقصي عن رغبات السائحين والمعوقات التي تواجههم والاستجابة لشكاويهم من تدني الخدمات الفندقية لهم إن وجدت؟

3 - أهداف البحث

1. التعرّف على واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق بمدينة بنغازي.

2. التعرّف على أهمية دور إدارة الجودة الشاملة عند تطبيقها في الفنادق بالأسلوب العلمي وصولاً إلى جودة أداء الخدمات المقدمة في هذه الفنادق، وبالتالي الوصول إلى رضا السائح (العميل).
3. محاولة التعرف على أهم المعوقات والمشاكل في تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق محل الدراسة والبحث.
4. تقديم مجموعة من التوصيات والملاحظات التي يجدها الباحث أنها تساعد في جودة أداء الخدمات المقدمة في الفنادق، وتؤدي إلى النجاح في تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق.

4 - فروض البحث

في ضوء مشكلة البحث فقد تمت صياغة فروض البحث على النحو التالي:

الفرض الأول:

لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مشكلات تطبيق إدارة الجودة الشاملة وجودة أداء الخدمة المقدمة فعليًا في الفنادق محل الدراسة طبقًا لمتغير (مستوى الفندق: 3 ، 4 ، 5 نجوم).

الفرض الثاني:

لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مشكلات تطبيق إدارة الجودة الشاملة وجودة أداء الخدمة المقدمة فعليًا في الفنادق محل الدراسة طبقًا لمتغير (المستوى الاداري : ادارة عليا ، ادارة وسطى، ادارة اشرافية)

الفرض الثالث:

لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مشكلات تطبيق إدارة الجودة الشاملة وجودة أداء الخدمة المقدمة فعليًا في الفنادق محل الدراسة طبقًا لمتغير (سنوات الخبرة: أقل من 5 سنوات ، 5–10 سنوات ، أكثر من 10 سنوات).

الفرض الرابع:

لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مشكلات تطبيق إدارة الجودة الشاملة وجودة أداء الخدمة المقدمة فعليًا في الفنادق محل الدراسة طبقًا لمتغير (المؤهل العلمي: بكالوريوس ، دبلوم عالي ، دبلوم متوسط).

6 - حدود البحث

يشمل البحث كافة مرافق القطاع الفندقي العامل في حدود مدينة بنغازي وهو يمثل قطاعاً مهماً من القطاعات الاقتصادية في الدولة، وتم اختيار مدينة بنغازي باعتبارها ثانى كبرى المدن الليبية من حيث المساحة والسكان والثقل الاقتصادي، والقطاع الفندقي بالمدينة يسهم في تحقيق هدف أن تكون بنغازي العاصمة الاقتصادية لدولة ليبيا، وهو ما يحتاج لتوفير سعات فندقية مناسبة وأن تكون في مستوى أداء متقدم وذات جودة عالية.

ويتكون مجتمع الدراسة من جميع الفنادق الموجودة في مدينة بنغازي وعددها (30) فندقاً منها:

- عدد 2 فندقين : خمسة نجوم.
- عدد 8 فنادق: أربعة نجوم.
- عدد 20 فندقاً: ثلاثة نجوم.

ويمثل أيضاً مجتمع البحث العاملين والمديرين بهذه الفنادق جميعاً.

وتم استخدام اسلوب العينات بدلا من الحصر الشامل لمراعات التغطية الشاملة لمشكلة البحث وذلك بسبب كبر حجم مجتمع البحث والظروف التى تمر بها مدينة بنغازي فترة إعداد البحث.

ويلفت الباحث الانتباه إلا أن هذا البحث أغفل باقي المنشآت الفندقية المصنفة بأقل من ثلاثة نجوم , كونها لا تطبق إدارة الجودة الشاملة ولعدم وجود مردود اقتصادي لها مؤثر في السوق الفندقية بالمدينة.

جدول رقم (1)

أسماء المنشآت السياحية (الفنادق السياحية) بمدينة بنغازي

م	اسم الفندق	التصنيف	العنوان	الهاتف
1	فندق تبيستي	5 نجوم	سيدي حسين	–
2	فندق أوزو	5 نجوم	جليانة	9095166
3	فندق الفضيل	4 نجوم	جليانة	9095300
4	فندق النوران	4 نجوم	الصابري	9972091
5	فندق عمر الخيام	4 نجوم	–	9095100
6	فندق الواحات	4 نجوم	الصابري	9972781
7	فندق أشبيليا	4 نجوم	–	9099781
8	فندق بنغازي	4 نجوم	الصابري	3373618
9	فندق قصر الجزيرة	4 نجوم	بنغازي المدينة	–
10	فندق دوجال	4 نجوم	بنغازي المدينة	9092079
11	فندق أفريقيا	3 نجوم	الصابري	9094894
12	فندق القرية العائلية	3 نجوم	قاريونس	9096350
13	فندق الراحة	3 نجوم	سيدي حسين	9080910
14	فندق فلسطين	3 نجوم	الصابري	–
15	فندق الأنيس	3 نجوم	بنغازي المدينة	9093148
16	فندق الجبل الأخضر	3 نجوم	بنغازي المدينة	9093180
17	فندق تاقرفت	3 نجوم	بنغازي المدينة	9093179
18	فندق الممتاز	3 نجوم	بنغازي المدينة	9097580
19	فندق البحر المتوسط	3 نجوم	الصابري	9090386
20	فندق الحديقة	3 نجوم	سيدي حسين	9093628
21	فندق القرضابية	3 نجوم	بنغازي المدينة	9096997
22	فندق الأمة العربية	3 نجوم	الصابري	–

م	اسم الفندق	التصنيف	العنوان	الهاتف
23	فندق النجوم	3 نجوم	الصابري	9090016
24	فندق بوهادي	3 نجوم	بنغازي المدينة	–
25	فندق سرت	3 نجوم	بنغازي المدينة	9097343
26	فندق السفير	3 نجوم	الصابري	–
27	فندق النجمة	3 نجوم	الصابري	9972316
28	فندق الحديقة	3 نجوم	الصابري	9093628
29	فندق مودة	3 نجوم	سيدي حسين	–
30	فندق فيكتوريا	3 نجوم	الصابري	–

المصدر: الهيأة العامة للسياحة . فرع بنغازي

7 - منهجية البحث

يعتبر هذا البحث من النوع الاستكشافي، إذ يسعى إلى معرفة واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة ومشكلات تطبيقها في الفنادق بمدينة بنغازي, وبالتالي فإن منهجية البحث تشتمل على الجوانب التالية:

1. الجانب النظري:

يهتم هذا الجانب بمراجعة الأدب الإداري المنشور في مجال إدارة الجودة الشاملة، وذلك من خلال الاطلاع على الكتب والدوريات والرسائل العلمية وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) والتي تطرقت إلى هذه الموضوعات.

2. الجانب الميداني:

يتضمن هذا الجانب تجميع البيانات الأساسية للبحث عن طريق استمارة الاستبانة، ولكي يحقق البحث أهدافه لابد من الربط بين الإطار النظري والواقع العملي والمتمثل في القيام بالدراسة

الميدانية التي يتم من خلالها تجميع البيانات الأولية ثم تحليلها لاستخلاص بعض النتائج المعبرة عن واقع مشكلة البحث.

3. الجانب التحليلي:

يتضمن هذا الجانب تحليل البيانات التي تم جمعها من الجانب العملي للبحث لغرض استخلاص النتائج منها باستخدام الأساليب الإحصائية الملائمة للموضوع محل البحث.

دراسة أحمد عادل سيف النصر(1) 2012 :

وهي بعنوان " تفعيل مفهوم إدارة الجودة الشاملة: دراسة تطبيقية على شركات السياحة ووكالات السفر".

وأوضحت هذه الدراسة أن مدى مساهمة الموظفين في إدارة الجودة الشاملة يتأثر برؤيتهم لمدى تطبيق رؤسائهم لأسلوب إشراكهم في صنع القرارات قبل تبني منظمتهم منهج إدارة الجودة الشاملة، وأن تقييم الموظفين لمزايا إدارة الجودة الشاملة يحكم المدى الذي يذبون إليه في دعمهم لمنهج إدارة الجودة الشاملة، وأن هذا التقييم للمزايا من جانب الموظفين هو أهم في التنبؤ بإسهاماتهم المستقبلية في إدارة الجودة الشاملة من إسهاماتهم الفعلية المبدئية في هذا المنهج قبل تقييمهم للمزايا.

دراسة إبراهيم بظاظو(2) (2010) :

وهي بعنوان تقييم واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق، دراسة ميدانية على عينة من فنادق الخمس نجوم في الأردن.

[1] - أحمد عادل سيف النصر (2012)، تفعيل مفوم إدارة الجودة الشاملة: تطبيق على شركات السياحة ووكالات السفر، أطروحة ماجيستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية السياحة والفنادق جامعة الفيوم.

[2]- إبراهيم بظاظو (2010): تقييم واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق، دراسة ميدانية على عينة من فنادق الخمس نجوم في الأردن، مجلة العلوم الإنسانية، السنة السابعة العدد 45، ص 9.

وهدفت إلى بيان أهمية تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في المنشآت الفندقية في مدينة سائل في فرنسا ,وقد أظهرت النتائج أن تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المنشآت الفندقية أدى إلى تطور مستوى الخدمة السياحية المقدمة للسائح ,كما بينت نتائج الدراسة أن أكثر المعوقات إعاقة في تطبيق إدارة الجودة الشاملة بنجاح هي الموارد البشرية والمشاكل الهيكلية والإستراتيجية.

- **دراسة نعيم علي سعد الزوي[1] (2009)**

وهي بعنوان إدارة الجودة الشاملة كمدخل لتحسين الأداء.

وأوضحت هذه الدراسة عدم ملاءمة الثقافة التعليمية السائدة بمكاتب الخدمات البريدية فيما يتعلق بأنماط القيادة وتحسين الجودة والأبداع والابتكار للثقافة التنظيمية المطلوبة لنجاح تطبيق إدارة الجودة الشاملة كمدخل لتحسين الإداء ، وعدم ملاءمة نظم إدارة الموارد البشرية السائدة فيما يتعلق بنظام الاتصال لنظم إدارة الموارد البشرية المطلوبة لنجاح تطبيق إدارة الجودة الشاملة كمدخل لتحسين الإداء ، وأوصت قبل البدء في تطبيق إدارة الجودة الشاملة أن تقوم الإدارة بتهيئة الثقافة التنظيمية بمكاتب الخدمات البريدية ونشر هذا الاسلوب .

[1]- نعيم على سعد الزوي (2009): إدارة الجودة الشاملة كمدخل لتحسين الأداء، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، بنغازي، ليبيا.

دراسة ديمة أكرم استيتة(1) (2005)

وهي بعنوان إدارة الجودة الشاملة وتكلفة الجودة : دراسة تحليلية لقطاع صناعة الأدوية في الاردن.

وهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة وتكلفة الجودة في قطاع صناعة الادوية , وقد توصلت إلى عدد من النتائج أهمها :. أن شركات صناعة الدوائية تتبنى مفهوم إدارة الجودة الشاملة الذي يعكس محاولتها مواجهة التحديات المتماثلة في زيادة حدة المنافسة المحلية والعالمية .

مناقشة فرضيات الدراسة

للإجابة على السؤال الذي ينص على "هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مشكلات تطبيق إدارة الجودة الشاملة وجودة أداء الخدمة المقدمة فعليًا في الفنادق محل الدراسة، طبقا للمتغيرات التالية (مستوى الفندق, المستوى الاداري, سنوات الخبرة، المؤهل العلمي).

الفرض الأول :

ينص الفرض الأول على : " لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مشكلات تطبيق إدارة الجودة الشاملة وجودة أداء الخدمة المقدمة فعليًا في الفنادق محل الدراسة طبقًا لمتغير (مستوى الفندق: 3 ، 4 ، 5 نجوم)".

[1]- ديمة أكرم استيتية (2005): إدارة الجودة الشاملة وتكلفة الجودة: دراسة تحليلية لقطاع صناعة الأدوية في الأردن، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

وللتحقق من صحة هذا الغرض قام الباحث باستخدام اختبار كروسال – والاسر – , وقد كانت النتائج كما في الجدول (20)

الجدول رقم (20)

نتائج اختبار كروسكال – والاسر للكشف ن دلالة الفروق بين متوسط استجابات أفراد عينة الدراسة حول معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في فنادق بنغازي لمتغير مستوى الفندق.

المجال	محتوى المجال	المتوسط الحسابي			درجة الحرية	قيمة 2	مستوى الدلالة
		3 نجوم	4 نجوم	5 نجوم			
الأول	معوقات تتعلق بإدارة الفندق	2.2807	3.6667	3.2955	2	88.171	0.000
الثاني	معوقات تتعلق بالعاملين بالفندق	2.4328	3.4523	3.0634	2	40.152	0.000
الثالث	معوقات تتعلق بمنشأة الفندق	2.6293	3.5919	3.1859	2	44.805	0.000
جميع المجالات		2.6966	3.6900	3.4257	2	79.190	0.000

قيمة x^2 الجدولية عند مستوى معنوية 0.05=α درجة حرية "2" تساوي (5.99).

نلاحظ من الجدول السابق بأنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (α≤0.05)بين إجابات المستجيبين حول معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة، وبصفة عامة يتبين أن قيمة مستوى الدلالة لجميع المجالات تساوى (0.000) وهي أقل من (0.05) وقيمة (فاى تربيع) المحسوبة أقل من قيمة الجدولية التي تساوي (5.99) عند مستوى دلالة (α≤0.05) درجة حرية (2)، مما يعني قبول الفرضية أي توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (α≤0.05) بين إجابات

المستجيبين حول معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في فنادق ليبيا (بنغازي)، ويرجع الباحث هذه النتيجة إلى أن :

-أن واقع إدارة الجودة الشاملة ضعيف.

-غياب تطبيق مبادئ إدارة الجودة في الفنادق.

الفرض الثاني :

وينص على لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مشكلات تطبيق إدارة الجودة الشاملة وجودة أداء الخدمة المقدمة فعليًا في الفنادق محل الدراسة طبقًا لمتغير (المستوى الاداري: ادارة عليا ، ادارة وسطى، ادارة اشرافية). وللتحقق من صحة هذا الغرض قام الباحث باستخدام اختبار كردسكال – والاسر – وكانت كما في الجدول (21).

الجدول رقم (21)

نتائج اختبار كردسكال – والاسر للكشف عن نتائج الفروق بين متوسط استجابات أفراد عينة الدراسة حول معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في فنادق ليبيا التى تعزى لمتغير المستوى الاداري

المجال	محتوى المجال	المتوسط الحسابي			درجة الحرية	قيمة 2	مستوى الدلالة
		ادارة عليا	ادارة وسطى	ادارة اشرافية			
الأول	معوقات تتعلق بإدارة الفندق	2.7560	3.0146	2.7111	2	2.350	0.309
الثاني	معوقات تتعلق بالعاملين بالفندق	2.5923	2.9790	2.9515	2	6.867	0.032
الثالث	معوقات تتعلق بمنشأة الفندق		3.0132	2.8044	2	1.262	0.532

جميع المجالات	3.0280	3.2182	3.0594	2	2.654	0.265

قيمة x^2 الجدولية عند مستوى معنوية $\alpha=0.05$ درجة حرية "2" تساوي (5.99).

من الجدول السابق يتضح بأنه : توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha\leq0.05$) بين إجابات المستجيبين حول معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق طبقًا لمتغير (المستوى الاداري: ادارة عليا ، ادارة وسطى، ادارة اشرافية).

من الجدول السابق يتبيّن أن قيمة مستوى الدلالة لمجال (معوقات تتعلق بإدارة الفندق) تساوي (0.032) وهي أقل من (0.05) وقيمة المحسوبة للمجال المذكور تساوي (6.867) وهي أكثر من قيمة الجدولية التي تساوي (5.99) عند مستوى معنوية ($\alpha\leq0.05$) ودرجة الحرية "2" ما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين آراء المستجيبين حول معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق تعزى للمستوى الاداري والفروق لمصلحة الادارة الاشرافية.

أما في بقية المجالات، فلا توجد فروق جوهرية تذكر في آراء المستجيبين حول معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق تعزى للمستوى الاداري, حيث إن قيمة مستوى الدلالة لكل مجال أكبر من (0.05), وقيمة x^2 المحسوبة أقل من قيمة x^2 الجدولية التي تساوي (5.99) عند مستوى دلالة ($\alpha\leq0.05$) ودرجة حرية "2".

وبصفة عامة يتبين أن قيمة مستوى الدلالة لجميع المجالات مجتمعة تساوي (0.263)، وهي أكبر من (0.05)، والقيمة المحسوبة أقل من قيمة الجدولية التي تساوي (5.99) عند مستوى معنوية ($\alpha\leq0.05$)

.

ودرجة حرية، كما يعنى رفض الفرضية؛ أي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين إجابات المستجيبين حول معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق، ويعزو الباحث ذلك إلى :

- كثرة أعداد النزلاء في المواسم لعدد العاملين بالفندق.
- افتقار العاملين لثقافة الجودة.
- قلة توفر حوافز كافية للعاملين .
- استخدام الوسائل التقليدية من قبل العاملين بالفندق.

الفرض الثالث :

وينص على " لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مشكلات تطبيق إدارة الجودة الشاملة وجودة أداء الخدمة المقدمة فعليًا في الفنادق محل الدراسة طبقًا لمتغير (سنوات الخبرة: أقل من 5 سنوات ، 5-10 سنوات ، أكثر من 10 سنوات).

وللتحقق من هذا الغرض قام الباحث باستخدام اختبار كروسكال – والاس وقد كانت النتائج كما الجدول (22)

الجدول رقم (22)

نتائج اختبار كروسكال – والاسى للكشف عن دلالة الغرض بين متوسط استجابات عينة الدراسة حول معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في فنادق ليبيا تعزى لمتغير سنوات الخبرة.

المجال	محتوى المجال	المتوسط الحسابي			درجة الحرية	أكبر قيمة	مستوى الدلالة
		أقل من 5	6-10 سنوات	11سنة فأكثر			

		سنوات				
الأول	معوقات تتعلق بإدارة الفندق	2.6870	2.8407	3.0426	2	4.954	0.084
الثاني	معوقات تتعلق بالعاملين بالفندق	2.6818	2.7973	2.9879	2	3.963	0.138
الثالث	معوقات تتعلق بمنشأة الفندق	2.8527	2.9642	3.1436	2	4.059	0.131
جميع المجالات		2.9531	3.1215	3.2429	2	5.442	0.066

قيمة X^2 الجدولية عند مستوى معنوية 0.05=∝ ودرجة حرية "2" تساوي 5.99

نلاحظ من الجدول السابق أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05 ≥∝) بين استجابة المستجيبين حول معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في فنادق مدينة بنغازي (ليبيا) تعزى لسنوات الخدمة (أقل من 5 سنوات، 6 –10 سنوات ، أكثر من 10 سنوات).

وبصفة عامة يتبين أن قيمة مستوى الدلالة لجميع الحالات مجتمعة تساوي (0.066) وهي أكثر من (0.05) وقيمة X^2 المحسوبة تساوي (5.442) وهي أقل من قيمة X^2 الجدولية التي تساوي (5.99) عند مستوى دلالة (0.05 ≥∝) ودرجة حرية "2" مما يعني قبول الفرضية الصفرية، أي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05 ≥∝).

ويعزو الباحث ذلك إلى:

- يقع على عاتق الفندق متمثلا في إدارته نشر ثقافة الجودة، وتدعيم خبرات العاملين بالدورات التدريبية.
- لا تعتبر سنوات الخدمة عائقًا أمام برامج الجودة بل تدفع العاملين جميعًا إلى تمثل الجودة في أدائها.
- أن الفئات الثلاث يبدون نشاطًا وحماسًا وجدية للعمل بدرجة متساوية، وكذلك أداؤهم يعانون بنفس الدرجة من المشاكل إن وجدت.
- الجميع يخضع إلى الأنظمة والقوانين نفسها.

الفرض الرابع :

وينص على " لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مشكلات تطبيق إدارة الجودة الشاملة وجودة أداء الخدمة المقدمة فعليًا في الفنادق محل الدراسة طبقًا لمتغير (المؤهل العلمي: بكالوريوس ، دبلوم عالي ، دبلوم متوسط).وللتحقق من هذا الغرض قام الباحث باستخدام اختبار كروسكال – والاس وقد كانت النتائج كما الجدول(23)

الجدول رقم (23)

نتائج اختبار كروسكال – والاسى للكشف عن دلالة الغرض بين متوسط استجابات عينة الدراسة حول معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في فنادق ليبيا تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

المجال	محتوى المجال	المتوسط الحسابي			درجة الحرية	أكبر قيمة	مستوى الدلالة
		بكالوريوس	دبلوم عالي	دبلوم متوسط			
الأول	معوقات تتعلق بإدارة الفندق	2.5760	2.9417	3.0529	2	4.954	0.084
الثاني	معوقات تتعلق بالعاملين بالفندق	2.5815	2.6961	2.977	2	3.862	0.138
الثالث	معوقات تتعلق بمنشأة الفندق	2.8417	2.8552	3.1515	2	4.048	0.101
جميع المجالات					2	5.332	0.066

قيمة X^2 الجدولية عند مستوى معنوية 0.05=∝ ودرجة حرية "2" تساوي 5.99

نلاحظ من الجدول السابق أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05 ≥∝) بين استجابة المستجيبين حول معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في فنادق مدينة بنغازي (ليبيا) تعزى للمؤهل العلمي (بكالوريوس، دبلوم عالي ، دبلوم متوسط).

وبصفة عامة يتبين أن قيمة مستوى الدلالة لجميع الحالات مجتمعة تساوي (0.066) وهي أكثر من (0.05) وقيمة X^2 المحسوبة تساوي (5.332) وهي أقل من قيمة X^2 الجدولية التي تساوي (5.99) عند مستوى دلالة ($\propto \leq 0.05$) ودرجة حرية "2" مما يعني قبول الفرضية الصفرية، أي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\propto \leq 0.05$).

ويعزو الباحث ذلك إلى:

- يؤكد على ان ادارة الفنادق بديها مسؤولية في تشر ثقافة الجودة وتقديم الدعم الفني للعاملين سواء من حملة البكالوريوس أو الدبلوم العالي أو الدبلوم المتوسط.
- لا تعتبر نوع أو درجة المؤهل العلمي عائقًا أمام تطبيق برامج ادارة الجودة الشاملة.
- أن الفئات الثلاث لديهم قبول وتنفيذ ادارة الجودة الشاملة والرغبة في تجاوز أي معوقات.

النتائج:

لقد توصل الباحث الى عدة نتائج أهمها :-

أن واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق محل الدراسة ضعيف في مجملها وهو ما يؤثر على تحسين جودة الخدمة المقدمة، وتبين ذلك من خلال اختبار الفروض حيث توصل الباحث الى انه:-

1 - افتقار العاملين بالفنادق محل الدراسة الى ثقافة الجودة.

2 - يستخدم العاملين بالفنادق الوسائل التقليدية في أداء عملهم وقلة توافر الحواز الكافية للعاملين.

3 - العاملون بمختلف مستوياتهم الوظيفية وسنوات خدمتهم الفعلية لديهم الرغبة والحماس لتطوير عملهم وهم دميعا يخضعون الى الانظمة والقوانين نفسها وتقع على ادارات الفنادق مهمة تدعيم خبرات العاملين من خلال الدورات التدريبية ونشر ثقافة الجودة وصياغة ونشر نظام بمرتبط بمفهوم ومتطلبات الجودة الشاملة بحيث يعزز لدى العاملين قيم مثل:

- اداء العمل بصورة سليمة من اول مرة يتعامل فيها مع نزلاء الفندق.
- ضرورة العمل المستمر والدؤوب لخدمة متلقي الخدمة الفندقية.
- التأكيد على العمل بروح الفريق.

المقترحات:

ومن خلال الدراسة توصل الباحث الى عدد من المقترحات للتغلب على المعوقات:

1. تفعيل استخدام نظم المعلومات الحديثة في الجانب الإداري.
2. إعادة تخطيط الميكنة الإدارية والتوصيف الفني للمديرين بما يسمح لهم القيام بالمهام التخطيطية.
3. اعتماد نظام الحوافز لتشجيع الموظفين لأداء أعمالهم بكفاءة.
4. تعزيز الثقة بين إدارة الفندق والعاملين، وكذلك بين العاملين أنفسهم.
5. العمل على تأهيل العاملين في المجال الإداري من خلال:
   أ- تبصير الإداريين بمفاهيم الجودة وتطبيقها وفوائدها.
   ب – الارتقاء بالطاقم الإداري.
   جـ – عقد الدورات وورش العمل لتطوير قدرات الإداريين.
6. انشاء وحدة لإدارة الجودة في كل قسم بالفندق ووضع دليل ارشادي لجودة الخدمة والاداء بالفندق..

التوصيات:

وفي الختام يوصي الباحث بالآتي:

- تحليل مواقع الضعف والقوة في الاداء واستخدام التقنيات الحديثة في تنمية وتهيئة العاملين بالفنادق من خلال التدريب وحلقات الجودة والعصف الذهني وخريطة السبب والاثر.
- الحد من المركزية في اتخاذ القرارات، وضرورة مشاركة العاملين في اتخاذ وصنع القرار.
- توفير الأجواء النفسية والعلمية والاجتماعية في الفنادق؛ بحيث تكون قائمة على المودة والاحترام المتبادل بين الإدارة والعاملين.
- العمل على إيجاد ونشر ثقافة مفهوم إدارة الجودة الشاملة.
- عمل دراسات بين فندق وآخر وبين الاقسام للمساعدة في تحسين جودة اداء الخدمات الفندقية
- عمل دراسات مقارنة بين فنادق في ليبيا وفنادق في خارجها من ناحية جودة الخدمة وطرق التعامل من معوقات تطبيق الجودة الشاملة وآلية التعامل معها.

***

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية:

أ- الكتب:

1- توفيق محمد عبد المحسن ، قياس الجودة والقياس المقارن ، ط1 . مكتبة ايتراك, مصر ، 2006م.

2- توفيق محمد عبد المحسن، تخطيط و مراقبة جودة المنتجات، دار النهضة العربية. القاهره، 1998م

3- ثابت عبد الرحمن إدريس ، كفاءة وجود الخدمات اللوجستية، الدار الجامعية, الإسكندرية ، 2006م

4- جمال الدين محمد المرسي ، أساسيات التسويق المعاصر، مكتبة التوحيد الحديثة، القاهرة ، 1998م

5- عصام عبد اللطيف ، السكرتير الفعال في عالم متغير . نيو لينك الدولية للنشر . القاهرة مصر ، 2015

6- قاسم نايف علوان المنياوي ، إدارة الجودة في الخدمات ,دار الشروق للنشر ،,الأردن ، 2006م

7- محمد عبد العظيم أبو النجا ، التسويق المتقدم، الدار الجامعية ، 2008م

8- هاني حامد الضمور ، .تسويق الخدمات ، ط3 ، دار وائل للنشر , الاردن ، 2005م

ب-المجلات:

1- إبراهيم بظاظو ، تقييم واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الفنادق، دراسة ميدانية على عينة من فنادق الخمس نجوم في الأردن، **مجلة العلوم الإنسانية**، السنة السابعة العدد 45، شتاء 2010م.

ج-الرسائل العلمية:

1. أحمد عادل سيف النصر، ، تفعيل مفهوم إدارة الجودة الشاملة: تطبيق على شركات السياحة ووكالات السفر، أطروحة ماجيستير غير منشورة، السياحة والفنادق جامعة الفيوم، 2012م

2. ديمة أكرم استيتية ، إدارة الجودة الشاملة وتكلفة الجودة: دراسة تحليلية لقطاع صناعة الأدوية في الأردن، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ،، 2005م.

3. صليحة رقاد ، تقييم جودة الخدمة من وجهة نظر الزبون ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة باتنة ، الجزائر ، 2008م

4. عبد العزيز عبد العال زكي ، إدارة الجودة ودورها في بناء الشركات، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الافتراضية الدولية بالمملكة المتحدة ، 2010م

5. محمد علي بركات علي ، .قياس رضا العملاء عن جودة الخدمة ، رسالة ماجستير . كلية التجارة. جامعة عين شمس ، 2001م.

6. نعيم على سعد الزوي (2009): إدارة الجودة الشاملة كمدخل لتحسين الأداء، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، بنغازي، ليبيا.

ثانيًا: المراجع باللغة الإنجليزية:

1 Abdulhakim , A . al – babtain , Methods and philosophy of statistical process contraol. Quality control. 5th edition, 2009

2 Anderws,Sudhir. Hotel HouseKeeping. New York: MC Graw-Hill, 1985

3 Cabe,Steven Me. Quality Improvement Techniques in Constriction. England: Longman Limited, 1998

4 Dale, Barrie G. Managing Quality. 2th: New York: Prentice Hall, 1994

5 Dale; H.B (et.l) , Total Quality Management, 2nd ed, (upper saddle River: Prentice – Hell, p1,1999

6 Ecrles, Gavin. & Durand, Philip. Improving Service Quality: Lessons and Practice form the hotel sector–Managing service quality, Vol.7,No5, 1997

7 eric:vogler, management strategique des services,edition dunod,pais,pio,2004

8 Goetsh, O. L & Davis. B , Quality Management Introduction to total Quallity for froduction Processing & services, 3rd, ed , prent,2000

9 Hanan bentaleb. la qualite de service des systemes.these de doctorat specialite informatiqes, 1998

الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر ودوره في المجتمع التشادي من 1942 – 2018م

اعداد الباحث/ فيصل حسن محمد

محاضر بجامعة سار وجامعة الملك فيصل بتشاد

المستخلص

جاءت الدراسة التي كانت بعنوان الشيخ حسين حسن أبكر ودوره في المجتمع التشادي من 1942 _ 2018 م، هذه الدراسة تهدف لمعرفة الشيخ حسين حسن أبكر ومساهمته في نشر الثقافة الاسلامية بتشاد، يكمن فيها اربعة مباحث ،المبحث الاول تناول نسبه ، ومولده ، وتلاميذه ، ودرجته العلمية ، ومراحله التعليمية ، وشيوخه ، المبحث الثاني تناول الوظائف التي تقلدها، الداخلية والخارجية ، واسباب وصوله الى اللجنة العليا للفتوى الاسلامية بجمهورية تشاد سابقا، المبحث الرابع تناول دوره في بناء المساجد.

ومن خلال هذه الدراسة توصل الباحث الى نتائج وتوصيات التالية:

النتائج :

1. تمكين اللغة في مراسم الاحتفالات العلمية والدولية
2. نشر الثقافة العربية والاسلامية في تشاد
3. تكوين جيل المستقبل من الباحثين والمثقفين بالعربية
4. اعداد الأئمة ونشر المساجد ما يحتاج اليها المجتمع التشادي

التوصيات

5. على المجلس الاعلى لشؤون الاسلامية بجمهورية تشاد، ان يدون انجازات الشيخ حسين حسن ابكر
6. على المجلس ان يحافظ على انجازات الشيخ وتطويرها بصورة اكبر
7. على الحكومة التشادية والمؤسسات التعليمية الاهتمام بما قدمه الشيخ حسين حسن للمجتمع التشادي .

Abstract

The study was titled Sheikh Hussein Hassan Abkar and his role in Chadian society from 1942-2018 AD. This study aims to know Sheikh Hussein Hassan Abkar and his contribution to spreading Islamic culture in Chad. There are four topics in it. The first topic deals with his lineage, birth, students, and academic degree. , his educational stages, and his elders, the second topic dealt with the jobs he held, internal and external, and the reasons for his arrival to the Supreme Committee for Islamic Fatwa in the former Republic of Chad, the fourth topic dealt with his role in building mosques.

Through this study, the researcher reached the following conclusions and recommendations:

a. Results:
    1. Enabling language in scientific and international ceremonies
    2. Spreading Arab and Islamic culture in Chad
    3. Formation of the future generation of researchers and intellectuals in Arabic
    4. Preparing imams and spreading what Chadian society needs in mosques

B. Recommendations

1. The Supreme Council for Islamic Affairs of the Republic of Chad should record the achievements of Sheikh Hussein Hassan Abkar
2. The council should preserve the Sheikh's achievements and develop them further
3. The Chadian government and educational institutions should pay attention to what Sheikh Hussein Hassan presented to the Chadian community.

مقدمة:

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وسخر له الكون عبرة ليعرف من خلق، وينظر إلى آثار خلقه ليكتب ويؤرخ بالقلم، والصلاة والسلام على سيد الأمم نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ذو الكرم وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم لا ينفع فيه الندم.

أما بعد:

جاء البحث تحت عنوان: الشيخ حسين حسن أبكر شخصته ودوره في المجتمع التشادي من 1942 – 2018م، يتناول شخصيته بدءا من ميلاده ونشأته وهجرته إلى السودان لتلقى العلم وبيان مراحل دراسته، وتقلده للمناسب الداخلية والخارجية، وعلاقته الدبلوماسية وعلاقته الداخلية والخارجية والدور الذي قدمه للمجتمع التشادي في شتى متطلبات الحياة الدينية والدنيوية والتي تفسر في بناء المساجد وتطوير الخلاوي القرآنية والمدارس الإعدادية والثانوية والمعاهد والجامعات وتكوين حفظة كتاب الله أساتذة باحثين ودكاترة جامعين وبرلمانين وإنشاء مراكز صحية وتدريبات أئمة المساجد والدعاة والداعيات، وكفالة اليتيم وحفر الأبيار والتبرعات لشيوخ المهتدين إلى أداء مناسك الحج وغيرها من أعمال الخيرية.

*** مشكلة الدراسة**:

فترة مرحلتي بجامعة الملك فيصل تعلق قلبي بكتابة تاريخ تشاد الحديث والمعاصر وخاصة الشخصيات الظاهرة والمشتهرة في تشاد مما أدى لاختيار لهذا الموضوع دور الشيخ حسين حسن أبكر في تطوير الثقافة الاجتماعية والصحية والدينية بجمهورية تشاد في الفترة ما بين 1942 إلى 2018م.

أهمية البحث

تضمنت أهمية البحث في الآتي:

1. شخصية الدكتور الشيخ حسين حسن أبكر ودوره النادر والمتميز بين الشخصيات أبناء جمهورية تشاد.
2. بيان حبه للوطن وخدمة المسلمين التي خلفها بعد وفاته في متلف جوانب الحياة، وتطوير الثقافة المتنوعة بجمهورية تشاد.
3. الاعتناء بهذه الشخصية لدى معاصريه خشية أن ينسى ما قدمه للمجتمع التشادي.

أهداف البحث

جاءت أهداف البحث في الآتي:

1. معرفة شخصية الدكتور حسين حسن أبكر.
2. توضيح منهج ودوره في تطوير الثقافة المتنوعة بجمهورية تشاد.
3. مساهماته في دوره الاجتماعي، والتعليمي، في الصحة والديني في تشاد.

منهج الباحث

اتبع الباحث المنهج التاريخ والوصفي والتحليلي لوصف شخصية الدكتور حسين حسن أبكر، وتحليل بعد الكلمات في دوره ومنهجه في تطوير الثقافة العامة بجمهورية تشاد.

أسئلة البحث

يطرح البحث الاسئلة التالية:

- من هو الشيخ حسين حسن أبكر؟
- ما الدور الذي قدمه في بناء الوطن؟
- ما هي انجازاته الثقافية والاجتماعية، والصحية، والدينية.

المبحث الأول : شخصية الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر

- **نسبه**

الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر رحمه الله تعالي هو من قبيلة السلامات .

- **مولده**

ولد في قرية تدعي الرحيد تبعد لمسافة 5 كلم من مدينة (أمدم) إقليم دار سيلا كناتو داجوا شرقا في عام 1942

- **نشأته**

نشا الشيخ حسين حسن أبكر وترعرعا في مدينة (أمدم) عند أسرته بين والدي حسن أبكر ووالدته دقجة بحر، وإخوته 6 ذكور وامرة وكان في عائلة كريمة ومحترمة بين المجتمع .

- **تعلميه**

بدا تعليمه القرءان الكريم مع الشيخ ادم عبدا لله في مدينة (أم درمان) السودان وبعد ختمه للقران الكريم انتقل إلي علوم الشريعة عند الشيخ ادم بركة في مدينة (أبشا) تشاد وتلقي

منه الفقه والحديثة واللغة العربية والسيرة النبوية ثم عاد إلي السودان في عام 1965م مع أخيه الأكبر جبريل حسن أبكر لتلقي العلم في السودان (أم درمان) [1]

- **مراحل الأكاديمية**

1/ مرحلة الإعدادية : بمعهد أم درمان العلمي

2/ المرحلة الثانوية : معهد أم درمان العلمي

3/ المرحلة الجامعية : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (السعودية)

4/ مراحل الدراسات العليا : جامعة أم درمان الإسلامية (السودان)

- **شيوخه**

تتلمذ علي عدد من المشايخ في تشاد والسودان ، ونذكر منهم علي سبيل المثال (الشيخ ادم عبدا لله) تشادي والشيخ ادم بركة (تشادي) والشيخ محمد جبريل يمين (تشادي) والشيخ ادم عباس (سوداني) الشيخ خليل عبد الماجد (سوداني) الشيخ مجذوب مدثر مفتي السودان (سوداني)

- **تلاميذه**

التلاميذ الذين تلقوا منه العلم سواء في السودان أم في تشاد كثيرون لا يحصر لهم عدد ، الشيخ الدكتور حبسن حسن أبكر بدا التدريس في السودان عام 1970م وكان له حلقة علم في مسجد الخرطوم الكبير فحلقته مليئة بالطلاب العلم وأيضا ، في مسجد أم مدرمان الكبير يحصر فيه الكثير من طلاب العلم ، وله درس في مسجد الشنقيط بحي البصطا وعندما رجع التشادي عام 1990م انشأ له حلقة واسعة النطاق في مسجد الملك فيصل

[1]) محمد ، فيصل حسن : الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر وجهوده في النهضة بالثقافة الإسلامية بجمهورية تشاد بحث اعد لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الملك فيصل عام 2020-2021م غيرمنشور ص 6-9

2) مقابلة مع الشيخ جبريل حسن أبكر ، بحي السلامات بأبشه ، يوم10 – 8 – 2022م، الساعة 15:45

بالسوق الكبير ، ثم انتقل يدرس في مسجد عثمان ابن عفان بحي أم رقيبة ، فنبدأ بإبراز تلاميذه الذين اخذوا.[1]عنه العلم في السودان إلي عن وصل تشاد منهم مفتي البلاد الشيخ احمد النور الحلو (تشادي) أمين الدعوة والدعاة الشيخ صالح محمد رمضان (تشادي) والشيخ يوسف سعيد (بمنقامي) قيرا والشيخ الغالي خليل عمر نائب رئيس المشيخة التجانية بجمهورية تشاد هؤلاء اخذوا عنه العلوم في السودان تلقوا منه علم الحديث ومصطلح الحديث وأصول الفقه وفقه الإسلامي (اقرب المسالك)

- **درجته العلمية**

قد نال الشهادة الثانوية بمعهد أم درمان العلمي بحي الفتيحاب عام 1979م الشهادة الجامعية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام1984م

- نال الدبلوم العالي لتدريس الأئمة والدعاة بمكة المكرمة
- نال شهادة (ماجستير) بجامعة أم درمان الإسلامية

نال الدكتوراة بجامعة أم درمان الإسلامية عام 1997م وكان الموضوع : تخريج الأحاديث المرفوعة في الجزء الأول من كتاب لسان العرب لابن منظور ،

المبحث الثاني: الوظائف التي تقلدها

أ/ الوظائف الداخلية : تقلد الشيخ الدكتور حبسن حسن أبكر في داخل وطنه (جمهورية تشاد) مناصب عديدة نذكر منها ففي عام 1990م أصبح رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية إلي حين وفاته 1/14 2018م وفي عام 1990م وفي عام 1991– 1993م أصبح رئيسا لجامعة الملك فيصل .

تم تعينه كمشرف علي مركز الملك فيصل بأنجمينا ، وكان رئيسا للجنة بعثة الحج عددت مرات ، ومدير إذاعة القرءان الكريم بمجلس الأعلي لشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد ،

[1] محمد ، فيصل حسن : وجهوده في النهضة بالثقافة ص6-9 مرجع سبق ذكره

ورئيس مكتب مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة بتشاد ، وعضو للجنة المبعوثة إلي أمريكا من اجل استخراج نفط جمهورية تشاد

ب/ الوظائف الخارجية : تولي الشيخ الدكتور حبسن حسن أبكر مناصبا عدة ومشرفة في خارج البلاد منها : كان عضو المجلس تأسيس لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، وعضوا في مجمع الفقه الإسلامي بالسودان وعضو في مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية بالسودان .

وعضو مجلس أمناء الهيئة الخيريةالاسلامية العالمية بدولة الكويت .

وعضو الملتقي العالمي الأول للعلماء المفكرين بمكة المكرمة .

وهذا قليل من كثير الذي تحمله هذا البطن والفيض الجاري الشيخ حبسن حسن التشادي رحمه الله تعالي وادخله فسيح جناته مع النبيين والصدفين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. [1]

المبحث الثاني: علاقاته الداخلية والخارجية.

أ. العلاقات الداخلية:

من المعروف لدا الشعب التشادي من يشاهدوه عبر الإعلام السمعي والمرئي والمقرئ تأكد أن الشيخ حسين حسن أبكر له علاقات حميمة وقوية ومتينة مع حكومة جمهورية تشاد تربطهم علاقات دبلوماسية جيدة، من أجل الأمن وبناء الوطن وخاصة مع رجال الكنائس فيما يخص بالتعايش السلمي في ربوع البلاد، أيضاً مع الوزراء والحكام وعلى رأسهم فخامة رئيس الجمهورية إدريس دبي إتنو كان يشاركه في مشورته لكل كبيرة أو صغيرة في ما يخص الأمور الدينية وتكوين جيل صالح للمستقبل، ومن علاقاته الموثوقة بينهما حيث بعثه فخامة رئيس الجمهورية مع مجموعة من الوزراء إلى واشنطن عاصمة ولايات المتحدة الأمريكية

[1]) محمد ، فيصل حسن : وجهوده في النهضة بالثقافة الإسلامية ، ص 6-10 مرجع سابق

لتصديق مستندات النفط للبلاد التشادية، كما شرفا مميزاً واحتراما لفضيلة الشيخ/ حسين حسن،ذكر رئيس القبيلة للسلامات الشيخ طاهر موسى عند لقائه مع رئيس الجمهورية إدريس دبي إنتو بمدينة أم جرس قال له رئيس الجمهورية تشاد (أنا أحببت أناساً في حياتي كثيرين من الأسرة وغيرهم، ولكن لم أجد شصاً وقع في قلبي مثل الشيخ حسين حسن) لذا أيضا كان له علاقات طيبة مع الوزراء التشاديين والبرلمانيين وسفراء الدول في جمهورية تشاد، والمنظمات الخيرية هؤلاء جميعهم ربطوا جسرا قوياً دبلوماسياً بين فضيلة الشيخ حسين حسن أبكر.

لقائه مع الدبلوماسيين من بينهم ممثل صندوق الأمم المتحدة في حفلة بمركز ملك فيصل الصحي وبعد ختام الحفل ألقى الشيخ حسين حسن أبكر شكره للوفد على المساعدة التي قدمت للمركز ودعا فيها وزير الصحة إلى الإسراء بتقديم المساعدة، فبدأ بالبسملة والحمد لله وبالصلاة على النبي صلى عليه وسلم (قال الأخ: ممثل صندوق أمم المتحدة للسكان والإخوة المرافقين له والأخ مدير المركز الصحي والإخوة العاملين والعاملات والذين وفدوا لأجل العلاج في هذا المركز والإخوة الصحفيين من الصحافة المرئية والمسموعة والمقروءة الكل أحييكم بتحية الإسلام وأقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اجتمعنا في صبيحة هذا اليوم بمناسبة تقديم هدية يبلغ قدره ستة مليون فرنك سيفا من الأخ ممثل صندوق أمم المتحدة، وأخيرا قال لهم شكرا وألف شكر لهذه الهدية التي جاءت في وقتها) يرى الباحث أن هذا الحفل قد أثلج صدر الشيخ حسين حسن أبكر مما لاحظت في كلامه حين رى الهدية التي قدمت لمركز الصحي قال:

أعتبر ستة مليون كأنه ستون مليوناً، وبدلا من شكر واحد قال ألف شكر وأيضا في مجال التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين قد ربط الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر جسراً يمتد من مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وإلى الأسقف ماتياس أنغارتاري علاقة دبلوماسية جيدة ونتجت ثمارها في ربوع البلاد خاصة في جنوب تشاد يعيش المواطنون في ود وسلام وفي إطار العلاقات بين رجال الدين قد أفادتنا جريدة أنجمينا تم لقاءات عديدة بين رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مع رجال الدين المسيحية بمختلف مناهجهم ونذكر من تلك اللقاءات منها لقاء

مع أسقف ممثل كنيسة الكاتلوكية بتشاد ماتياس أنغارتاري في علاقات دينية التي تربط بين رجال الدين الإسلامي والمسيحي في تشاد.[1]

فقد قام في يوم الخميس 31/ 5 / 2012م، كل من أسقف مدينة أنجمينا ومعه رئيس تجمع الكنائس الإنجيلزية سونيا بوتيفار بزيارة إلى مقر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الكائن بجامع الكبير للملك فيصل بأنجمينا، وذلك لتقديم التعزية إلى الأمة الإسلامية التشادية عبر جهاز المسلمين بمناسبة وفاة الشيخ علي حسن عبد الله الكانمي عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي وافته المنية يوم الأحد 5/27/ 2012م، بعد مرض طويل، وقد كان في استقبالهما رئيس المجلس وبهذه المناسبة أوضح أسقف ماتياس أنغارتاري بقوله إننا سمعنا بأن المجلس فقد احد أعضائه البارزين وبهذه المناسبة أتينا نتقاسم الحزن مع أشقائنا وإخوتنا أعضاء المجلس ففي وقت الشدائد والوفيات يعرف الأصدقاء والأهل، كما تعلمون أن رجال الدين في تشاد يعملون سويا منذ أكثر سنوات من أجل الوحدة أتباعنا ليكونوا شعباً واحدا وأمة واحدة لأب واحد حول هذا المقصد، (أما رئيس تجمع الكنائس الإنجليزية سونيا بوتيفار، فقد أعرب عن شعوره بهذه المناسبة قائلاً: نحن جئنا إلى إخواننا لأننا أمرنا أن نواسي بعضنا ونتبادل الحزن ونتقاسمه ، أن أعضاء المجلس هم أخواننا وأصدقائنا فنحن نعمل سويا في مختلف المجالات وهذا ليدعونا ليعزز قوتنا وترابطنا حول هذا السدد نقدم لهم تعازينا وأسفنا، ونسأل الله أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته)، من جانب رئيس المجلس فقد وصف الزيارة بقوله (طبعاً من الابتلاءات والامتحانات ابتلينا لال هذه الأيام بفقدان عالم جليل أفنى كل عمره في خدمة الإسلام والمسلمين سند أساس للجنة الإسلامية وهو محب لدمة الإسلام والمسلمين والوطن...) لو تأملنا تماما في هذه الجلسة الودية بين رجال الدين المسلمي والمسيحي على رأسهم فضيلة الشيخ: حسين حسن أبكر والوفد الزائر على رأسه أسقف أنغارتاري يتضح لنا أن هناك تعايش سلمي بين المسلمين

[1]) **جريدة أنجمينا** الجديدة رقم (197) الاثنين 2012/06/04م

والمسيحيين في أرجاع تشاد، وهذا الأمر قد كلفنا الله سبحانه وتعالى حيث قال (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. [1]

ب . **العلاقات الخارجية:**

كان الشيخ الدكتور أبكر علاقات متينة دبلوماسية مع سفراء الدول ومن أهمية هذه العلاقات يترددون إليه بالزيارات عند مقره بمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، زيارة السفير الأمريكي لدا البلاد يرافقه السكرتير الأول للسفارة الأمريكية ومدير مكتب شؤون الثقافية بالسفارة في زيارة ودية صباح الجمعة 2012/2/4م، عند مكتب الشيخ: يستقبل فضيلة الشيخ حسين حسن مارك بلوار السفير الأمريكي والوفد المرافق له ،وكان الهدف من الزيارة هو التهنئة المجلس بذكرى مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفي نهاية اللقاء صرح الرئيس المجلس بوسائل الإعلامية بالتالي بأن يشاركوا في جميع أفراحنا خاصة الأعياد الثلاثة عيد المولد الشريف / وعيد الفطر المبارك / وعيد الأضحى.

وعندما حان دور خطاب السفير (وقال أن جاء من أجل زيارة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية يهنئهم بذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، نيابة عن شعب الأمريكي) يرى الباحث تحليلاً لكلام السفير الأمريكي أن هناك اعتبار كامل للشعب التشادي لدى ولايات المتحدة الأمريكية في سياستها الراهنة ، وخاصة المسلمين في تشاد تربطهم علاقة سلمية مع ولايات المتحدة الأمريكية، وفي يوم الخميس 14-12-2012م، استقبل فضيلة الدكتور حسين حسن أبكر وعدد من أعضاء المجلس للشؤون الإسلامية بمكتبه وزير الخارجية جمهورية السودان علي كرسي يرافقه سفير السودان لدا تشاد عباس عربي عبد الله وكانت الزيارة ودية انتهز الوزير فرصة وجوده في عاصمة وطنه الثاني انجمينا من أجل المشاركة في القمة الاستثنائية لقادة تجمع دول الساحل والصحراء رغم

[1]) جريدة أنجمينا الجديدة رقم (197) الاثنين 2012/06/04م، رجع سابق.

ضيق الوقت والازدحام البرامج افتتح الوزير من وقته وقام بهذه الزيارة الودية ولإخوة لتفقد أحوال المسلمين عن طريق مجلسهم الذي يرى شؤونهم ، وقد صرح الوزير في نهاية الزيارة بالتصريح التالي: (بسم الله الرحمن الرحيم أنا شاكر لكم هذه الفرصة لمخاطبة الأهل من تشاد فهذا أمر طبيعي نحن اخوة في السودان وفي تشاد شعب واحد من البلدين كما يقولون تمر أحوال الدنيا بالناس ما نعلم جميعا ولكن بطل العهد بيننا قائم بأننا شعب واحد وأننا أسرة واحدة وامر والتداخل بيننا ثقافي وعلمي واعراف موجودة في تشاد وموجودة في السودان وكلما تشكل شعباً واحدا وامتدادننا نحن في السودان موجودة منا وامتداد الشعب التشادي موجود معنا في السودان ...)ثم يرد الرجل المضيف رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الشيخ حسين حسن حول الزيارة أعوذ بالله من الشيطان والبسملة طبعا زيارة معالي وزير خارجية جمهورية السودان زيارة أخ تضيق لشقيقه وتفقد أحوالنا وأحوال العلماء والمشائخ في هذه البلد واطلعناه نشاطنا الذي تقوم به تشاد وتطلعنا نحو اخوتنا في السودان أصحاب الأيادي البيضاء الندبة السخية التي وصلنا وننتهي ان تصلحا في المستقبل أكثر في مما كان وشكرا ، وفي أول أيام 1434هـ، الموافق: 10-05-2012استقبل فضيلة الشيخ الدكتور/ حسين حسن أبكر بمكتبه.[1]

وفي قيل عصر الجمعة 15- 02- 2013م زارة وزير خارجية المغرب مقر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد معالي وزير السيد صلاح الدين بابانا نائب سفير المغرب بتشاد وعضو في السفارة.

استقبل الوفد الذكر فضيلة الشيخ حسين حسن أبكر وعدد من أعضاء المجلس أمام بواب المجلس، وبعد وفد من الاستراحة توجه الوفد الذكر ورئيس المجلس وأعضائه نحو حي دفيل

[1]) جريدة أنجمينا الجديدة رقم (179) الاثنين 2012/02/06م

رياضي لتنفيذ العاملين تنسيد جامع الملك السادس ووصلوا هناك أن الجامع كبير المساحة اكتملت المئتدنة والمباني وقيت خدمات أخرى ولا خيرة عند ذلك تفاجأ العمال بالزيارة وأبدو فرحتهم بها واستمع الوزير من الرئيس الأعلى من المهندس المشرف على المشروع وصافح العاملين والتقط معهم الصورة التذكارية.

وفي الأخير قدم رئيس المجلس شكره وفرحته ولمحة في كلمته تجاه المكتبة فقال: معالي الوزير أنا أقول لا توجد مكتبة حيث الكم والكيف مثل المكتبة التي جاءتنا من المملكة العربية عبر وزارة الأوقاف كل الطلاب الجامعات والمعاهد الجامعية والدراسات المعمقة والماجستير والدكتوراه يلجؤون إلى هذه المكتبة التي رأيتموها، ومن هنا أن أتقدم لأخي رئيس جمهورية تشاد إدريس دبي إتنو حينما أخبرناه بهدية الملك محمد السادس لشعب إدريس إتنو الأرض التي ترونها لأن مترامية لأطراف كانت سوق عامرة فرفع السوق وسلمت لأصحابه أمكنة أخرى ومنحت هذه الارض لهذا المشروع، كانت هذه الارض سوق للمواشي الأغنام والأبقار والجمال، ومن طرف ثاني سوق الحطب للوقود الطعام فتم تحويل سوق المواشي إلى دقيل زافايربما رأته في الدول العربية في ربط العلاقات الخارجية مع بلده جمهورية تشاد فنتجت ثمارها منها ناسب خلية الدراسات الإسلامية ، مشاركة تشاد في المسابقات القرآنية الدولية، وعند زيارته لدولة الكويت فربط علاقة قوية وودية مع أمير دولة الكويت الراحل، كذلك مع أمير قطر الراحل ومع أمير دولة الإمارات المتحدة الراحل علاقات مع صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الاتحاد الاماراتي حاكم الشارقة . علاقة مع الشيخ حمدان بن راشد إلى مكنوم وزير المالية الإماراتية . علاقة مع الشيخ طحنون بن محمد الى ثاني نهاية بالامارات، وعلاقة مع الشيخ الأزهر الشريف عند زيارته لجمهورية مصر العربية ، علاقة مع الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.

يرى الباحث أن هذه العلاقات الدبلوماسية ينر من توضيح جهود وتطور ودور كبير لشيخ حسين حسن أبكر مع تلك الدول العربية كما تشاهد انتشار المنظمات الخيرية ومؤسسات التعليمية من المعاهد والجامعات العربية كل ذلك نتج من هذه العلاقات المؤثرة.[1]

ومما تعارف في شخصية هذا الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر، عن طريق شقيقه الشيخ/ جبريل حسن أبكر تحدث عنه أنه أخذ الشيخ حسين حسن أبكر من البدو قرب مدينة أم دم في عام 1962م، وكان عمره عشرة سنوات ودخل به مدينة ابنه بمنزلة الشيخ/ آدم عبد الله وكنت في بيته ث ابتدا القرآن الكري مع الشيخ آد عبد الله ، وبعد ختم للقرآن الكريم انتقل إلى فضيلة الشيخ آدم بركة بابنه ونال من العلوم ما قسم الله له ثم انطلق به الشيخ جبريل حسن وهو أخيه الأكبر لشيخ حسين حسن أبكر إلى أم درمان (السودان) ونزلا بحي أبو روف زاوية الكبرى للتجانية للخليفة والمفتي العام للسودان الشيخ ميذوب مؤثر وفي ذلك الوقت وجد الشيخ محمد جبريل يمين خديماً للزاوية وتلميذ لشيخ التجانية ميذوب مدثر والذي يقرأ للشيخ المتون عند التدريس وحكى الشيخ حسن أبكر له اتباع في التعليم بصورة غير معتادة للأطفال، كان لا يرى جريدة أو مجلة على التراب إلا رفعها وقرأها حريساً على التعليم والقراءة من غير ملل ولا كلل، ثم التحق بالعهد أم درمان العلمي كما أسلفناه في مراحل التعليمية للشيخ حسين حسن أبكر، حتى نال الشهادة الثانوية وسافر السعودية بجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

المبحث الثالث: وصول الشيخ إلى اللجنة الإسلامية العليا للفتوى.

[1]) جريدة أنجمينا رقم (235) الاثنين 18- 02- 2013م

وفي عام 1988م في السودان عند ما كان يدرس الشيخ صالح محمد رمضان مع الشيخ حسين حسن أبكر في حي أمبدا بأم درمان، وفي تلك الفترة حدث فيضان أدى لتدمير المساكن ضمنها منزل الشيخ حسين حسن أبكر، ومن ثم ذهب الشيخ صالح محمد رمضان إلى الشيخ حسين حسن أبكر أي بعد وقوع تلك الكارثة وقدم له خبزاً كهدية ففرح الشيخ بذلك أشد الفرح وحينها أخبره بأنه ينوي العودة إلى تشاد، وذهبا لزيارة مكتبة الدار السودانية للكتب، اشترى منها الشيخ حسين حسن أبكر كمية من الكتب كالعشماوي – والأخضري، وباحث الحثيث في علم الحديث، والعزية، وزبد العقائد في العقيدة الأشعرية، وكتبا في التصوف...وغيرها، فسأله الشيخ صالح محمد رمضان عن ماذا يصنع بتلك الكتب فرد الشيخ حسين حسن أبكر عليه قائلاً: إني أريد أن أنشأ مكتبة وأُعلم بها الناس– وذلك في عام 1989م، وفي عام 1990 تهيأت له فرصة العودة إلى وطنه تشاد، ومن ثَمّ عاد ايضا الشيخ صالح محمد رمضان ووجد الشيخ حسين حسن بمنزل الإمام بدوي عووضة، فطلب من الشيخ محمد صالح رمضان أن يبحث له منزلاً للكراء ولم يوفق، وفي هذه الفترة طلب رئيس الجمهورية من الإمام الشيخ موسى إبراهيم ضيف ليأتي ويتولى القيادة الدينية فاعتذر وقال للرئيس إني كبرت في السن، وهذا العصر تتطلب القيادة الدينية إلى أُناس درسوا النظامية وتحصلوا على شهادات عالية فهناك شخص مؤهل لذلك وهو لايخونك ولاتخونه ومخلصا في عمله وغيورا لوطنه يقطن الآن عندكم، ولكن دعني حتى أكمل رحلتي إلى المغرب وعند العودة سأمر بكم بتشاد وأطلعكم عليه وأجمع بينكما، فلما كان الشيخ موسى إبراهيم راجعا من رحلته تلك مرَّ بتشاد وقابل الشيخ حسين حسن أبكر وطلب منه أن يتولى القيادة الدينية تلبية لطلب رئيس الجمهورية إدريس ديبي إتنو فرفض الشيخ هذا العرض رفضا باتا فلم يقبل منه الشيخ موسى إبراهيم هذا الرفض وقال: لا تخذلني لأنني قد زكيتك عند الرئيس، فبناء على رغبته طلب الشيخ حسين حسن أن

يمهله واحد وعشرين يوما للتفكير وبعد هذه المدة قبل أن يتولى هذه القيادة الدينية ليكون رئيس لجنة الفتوى الإسلامية بجمهورية تشاد.[1]

يرى الباحث بناء على تلك المعلومات المذكورة آنفاً التي تلقاها من أحد تلامذة الشيخ وهو الشيخ صالح محمد رمضان، أن الشيخ أصلا ما كانت له علاقة مع هذا النظام الحاكم مسبقا لولا أن الشيخ موسى إبراهيم هو السبب لوصول الشيخ حسين حسن إلى القيادة الدينية بتشاد، فقد كان الشيخ شغله هو التعليم والتعلم في السودان وسبب عودته إلى تشاد هو لإنشاء مكتبة علمية وتدريس العلم كما جاء في مقابلته مع الشيخ صالح محمد رمضان فهذه المقابلة تنفي كل الأقاويل التي تنسب إلى الشيخ حسين حسن أبكر من أنه دخل مع الثوار ويحمل بندقية كقائد عسكري هذا الكلام لا أساس له من الصحة فالذي يقف على هذه المقابلة يدرك الحقيقة.

لذلك فإن الشيخ حسين حسن أبكر لم يخيب حسن ظن الشيخ موسى إبراهيم ضيف لمقالته السابقة بتزكيته عند الرئيس إدريس ديبي إتنو.

تأسيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

وفي عام 1990م بعد وصول الشيخ حسين حسن أبكر الذي جاء بأفكار بناءة ومطورة لثقافة الإسلامية بتشاد فعقد بدأ بالإدارة أولا وهي إدارة شؤون المسلمين خاصة، فقد قام باستبدال كلمة لجنة بمجلس، وثم ترجمت من العربية إلى الفرنسية. [2]

بخط الأستاذ عطية جار النبي نائب عميد كلية الآداب والفنون بجامعة آدم بركة بأبشة. وهي عبارة عن هيئة إسلامية مستقلة ذات شخصية اعتبارية وصفة تعاقبية مستديمة لها قائمتها المستقلة ومعاملتها القانونية، ولها الحق في التقاضي باسمها، ورئيس

[1]) مقابلة مع الشيخ صالح محمد رمضان ، أمين الدعوة والدعاة بالمجلس ، بتاريخ09/15 /2019م عند الساعة الثامنة مساء.

[2]مقابلة مع الدكتور: عطية جار النبي, عميد كلية الآداب والفنون, جامعة ادم بركة بأبشة , يوم 2019/7/28م ,الساعة 20: 11 صباحا.

المجلس هو الممثل للمسلمين في الداخل والخارج نيابة عن رئيس الجمهورية، وهذه الأمانة والمقام الرفيع بأمر من فخامة رئيس الجمهورية إدريس ديبي إتنو.

ويؤكد الباحث أن تلك المقولة كان الرئيس يكررها في كل لقائه مع المجلس في أيام العيدين (الفطر –الأضحى) في كلمته المشهورة التي بثت عبر الإعلام المسموع والمرئي حيث قال: (أن المجلس من مسؤوليتي ولكنه أمانة لديكم ليس بيني وبينكم وسيط ...)، وقد قال هذه الكلمة أيضا في آخر لقائه مع الشيخ حسين حسن أبكر مع رفقة أعضاء المجلس أثناء زيارتهم المعتادة بعيد الفطر المبارك عام 2017م.

أهم أهداف المجلس للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد

- تبليغ الدعوة الإسلامية بالمنهج الوسطي للمسلمين بالتي هي أحسن.
- الاهتمام بحديثي العهد بالإسلام.
- نشر الثقافة الإسلامية والتربية الوطنية لتأهيل جيل صالح للمستقبل.
- محاربة الفساد الاجتماعي، والتصدي على أبواب ووسائل الفتن بين المواطنين.
- حملات دعوية عبر المنابر والمحاضرات لوحدة المسلمين والتعايش السلمي فيما بينهم ومع غير المسلمين من أجل بناء الوطن كما شعار وطننا الحبيب(وحدة –عمل– تقدم). [1]

لقد قدم الكثير فضيله الشيخ الدكتور حسين حسن ابكر في مجالات الثقافة وخاصه الثقافة الدينية طور فيها الكثير والعديد من المنشآت، تناول الباحث نموذجاً حيا كتابة وصور في الملاحق بما يخص انشاء مبنى ضخم لمقر المجلس الاعلى لشؤون الإسلامية بجمهوريه تشاد لأول مره في تاريخ تشاد لقاده الدينيين، بداية المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية منذ تكوينه كان مقره الى اليوم بمسجد الكبير للملك فيصل الكائن بجوار السوق المركزي

[1]) مقابلة مع الدكتور عطية جار النبي ،عميد الكلية الآداب والفنون، جامعة آدم بركة ، **مرجع سبق ذكره،**

الكبير شمالا ويعتبر المسجد مساحته وموقعه اكب دائرة المرور في تشاد وبالأخص مدينه انجمينا، واصبح المقر ضيقا للإدارة ففكر الشيخ حسين حسن ابكر رئيس المجلس بأنشاء مقر واسع مستقلا من مساحه المسجد الكبير الحالي، فسبق للمجلس مساحه واسعة بحي الكركنجية جوار محطة ابشة واتيا ومنقو الحالي هذه المساحة تشمل بين مقر المرآه و المعقة ابعنا كله ملكا للمجلس، فاستشارت السيدة المرآه الاول هنده ديبي اتنو بواسطه رئيس الجمهورية المارشال ادريس بان تبني للمرآه التشاديه مقر في جزء الجنوب للمساحة، فوافق الشيخ حسين حسن ابكر بذلك وتم بناءه الآن.

تم موضوع حجر الاساس لمقر المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية عم 2011م، بحضور وفد من نيجيريا علي راسهم فضيل الشيخ العلامة الشريف ابراهيم صالح، بداية العمل شهر ستة 2012م، ميزانية البناء من رئيس الدول فقامة ادريس ديبي اتنو طلب منه الشيخ حسين حسن ابكر فأجابه لذلك، وليس لاول مرة بل طلب منه ان يبني في كل ولاية من ولايات التشادية مسجد كبير وبني في ثلاثة وعشرين ولاية وبعض المحافظات، وكل مسجد الذي بناه لا يقل ميزانيته عن 500 مليون فرنك سيفا.

ام بناء مقره المجلس الكائن بحي انجار بجوار بيت المرأة شمالا بقرب محطة ابشة فكرة بناءه من قائد وهو الشيخ حسين حسن ابكر، الذي قرربناء مقر المجلس في سنين عديدة، فاستشار رئيس الجمهورية فخامه ادريس دبي اتنو فأجازه لذلك فنسق الشيخ حسين حسن ابكر مع شركه اخونا لبناء المقر واستكمل في اربعه مبنى كبيرة وثلاث متوسطة يضم هذا المبنى صاله كبيره للمحاضرات والاجتماعات وصالات صغار وحمامات وغرف للإدارة فكل مبنى لا يقل عن 15 غرفه متورعه في الطابقين وهذه المواصفات لكمن في اربعه مبنى ذو طابقين على النحو التالي:

- مبنى ذو طابقين برئاسة المجلس ويعد اكبر مركز لاشتماله على 18 غرفه اداريه.
- مبنى ذو طابقين لهيئة التعليم ودعوه.
- مبنى ذو طابقين بمركز الخدمات الإعلامية والوثائقية.
- مبنى ذو طابقين للخدمات الخيرية. ([1])

المبحث الرابع: دوره في بناء المساجد

ووفقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من بنى لله بيتا كمفحصي قطاة بني الله له بيتا في الجنة)قام الشيخ حسين حسن أبكر في بناء المساجد وتعميرها بالمدارس العربية دعما وتطويرا للثقافة الإسلامية وتزويد المساجد بآبار المياه للشرب، جهود الشيخ في هذا المجال واسعة يصعب حصرها لكن مالم يجمع كله لا يترك كله، قام الشيخ لهذا المشروع الهائل، بدعم كل من منظمة الدعوة الإسلامية العالمية- الأزهر الشريف – الهلال الأحمر الإماراتي- منظمة قطر الخيرية- بيت الزكاة الكويتي- الهيئة الخيرية العالمية الكويتية- جمعية الشارقة الخيرية – وزارة الأوقاف المغربية- وزارة الأوقاف الكويتية – دائرة الأوقاف بالشارقة- مؤسسات الأمم المتحدة العالمية في تشاد – جمعية التكاتف للتنمية.

هؤلاء المشاركون من المنظمات بعضهم شارك في بناء المساجد والآخر في حفر الآبار وبناء المدارس، وكفالة الأيتام وغيرها من الاحتياجات لذلك تم خلال هذه الفترة التي عاشها الشيخ ببناء أكثر من 500 مسجدا للجمعة موزعة على معظم المحافظات والأقاليم

[1]) مقابل مع رئيس القضاء للمجلس سابقا، الشيخ موسي عبدالعزيز عمر في منزله بحي انجاري، يوم 2022/11/09م الساعة 3:45 مساء

والقرى الوطنية التشادية من ضمنها مسجدين كبرين بالعاصمة هما مسجد الشارقة الذي يبلغ سعته أكثر من أربع هكتار ويقام فيه إحياء ذكر المولد النبوي الشريف.[1]
أيضاً المسجد الثاني هو مسجد جلالة الملك محمد السادس بحي دقيل سوق البقر القديم تم بناؤه عام 2016م، وقد سلمه الشيخ لحلقة عبدالله بن عباس قبل وفاته بسنة، الآن أصبح مركزا لحلقة عبدالله بن عباس فيه كل الأنشطة الدعوية للحلقة.

وفي وسط البلاد إقليم قيرى به 6 مساجد، وفي شرق البلاد إقليم وداي وبه 8 مساجد، والجنوب الشرقي إقليم السلامات وبه 2 مسجدان، هذه هي المشاريع التي تم بناؤها من شركة الحاج كربا فقط.

ومن أهمية الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر في دور المساجد قد عانا فيها الكثير من سوء التفاهم بينه وبين البعض المواطنين ، وقد ضحى في ذلك الكثير منها اغتياله في مدينة أم دم من أجل افتتاح المسجد (سمعت أنجمينا الجديدة باغتيال الشيخ حسين حسن أبكر وأرادت الاستفسار عن هذا الحادث وكان الحادث يوم الجمعة الموافق: 27- 5- 2011م، ومن ثم زارت أنجمينا الجديدة الشيخ حسين حسن أبكر بعد وصوله في العاصمة أنجميا بنزله واطمأنت على صحته ومن ثم قابلت الأمين العام النائب للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد.

(الأستاذ الهادي نعيم) الذي كان ضمن الوفد المرافق للشيخ في هذه الرحلة وبعد السلام سألناه أن يحدثنا عن رحلتهم بصيغة الشيخ إلى أم دم وماذا حصل بالضبط فيا؟ الأستاذ الهادي نعيم أولا بسم الله الرحمن الرحيم الحقيقة أن رحلة الشيخ حسين حسن أبكر والوفد المرافق له كان من أجل افتتاح المسجد الكبير بأم دم (2) .

[1]) مقابلة مع الحاج كربا بكر أنقاري مدير ومؤسس شركة التعمير المنشآت ووكالة سفريات الحج والعمرة بمقره الكائن في (باري كنغوا) أنجمينا يوم 5-10-2019م ، الساعة 11:00 صباحا.

والجدول التالي يوضح ما ذكرناه مبيننا عدد المساجد والآبار[1]

م	الأقاليم	العدد	المساجد	العدد	المدارس	العدد	بئر
.1	إقليم شاري الأوسط	38	مسجدا	5	مدرسة عربية	160	بئر
.2	إقليم مندول	14	مسجدا	1	مدرسة	18	بئر
.3	إقليم تنجلي	14	مسجدا				
.4	إقليم ليري	14	مسجدا				
.5	إقليم شاري باقرمي	43	مسجدا			46	بئر
.6	إقليم حجر لميس	12	مسجدا			36	بئر
.7	إقليم كانم	16	مسجدا				
.8	إقليم قيرا	6	مساجد				
.9	إقليم وداي	8	مساجد				
.10	إقليم سلامات	2	مساجد				
.11	إقليم سيلا	4	مساجد	1 1	مدرسة مركزصحي		
.12	بنقور	4	مساجد				

[1]) مقابلة مع الحاج كربا بكر أنقاري مدير ومؤسس شركة التعمير المنشآت، المرجع السابق .

الخاتمة:

وتشمل(النتائج . التوصيات)

أ. النتائج:

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي:

1- نشر وترشيح الثقافة الإسلامية في تشاد عبر الدارس ومعاهد والجامعات وتطويرها إلى الدراسات العليا .

2- تمكين اللغة العربية والنقط بها رسميا في مراسم الاحتفالات العامة والدولية.

3- تكوين رجال المستقبل في الباحثين والمثقفين ذوي الكفاءة والخبرة في الدولة.

4- إعداد حفظة القرن الكريم ودمجهم ومشاركتهم في الأكاديمية.

5- دور كبير واسع النطاق في النطاق في جانب الاجتماعي والصحي والديني والتربوي في المجتمع التشادي.

6- نسج هزة تواصل وجسر قوي بين تشاد والدول العربية من أجل تطوير الثقافة الإسلامية بجمهورية تشاد.

7- ظهور الخلاوي القرآنية النموذجية الحديثة.

8- انتشار المساجد وحفر لآبار وتوسيع دائرة إفطار الصائم على الأرض للتشادية.

9- زياد عدد المنظمات الخيرية القادمة للأداء ودعهما المتواصل للدول العربية من خدمة المجتمع التشادي.

التوصيات

بعد عرض النتائج التي توصل إليها الباحث يوصي بمايلي:

1) على المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية تشاد أن بدون آثار وانجازات الشخصيات البارزة في خدمة الوطن والمجتمع.

2) على المجلس أن يحافظ على تلك الانجازات التي تم تنفيذها ن قبل المجلس بقيادة الشيخ / حسين حسن أبكر ، وزيادة تطويرها مستقبلاً.

3) على الحكومة أن تكون بدعم الباحثين الذين يقومون بكتابة آثار الشخصيات البارزة لخدمة المجتمع.

4) على المثقفين وأساتذة الجامعين أن يدونوا ما قدموه الشخصيات الدينين والسياسيين ليبقى مصدر للباحثين في المستقبل.

5) على العلماء ورجال الدين أن لا ينسوا أفراد أصدقائهم أمثال الشيخ : حسين حسن أبكر ، لتدوين أعمالهم التي قدموها في حياتهم ليقتدي من خلفهم .

6) على الخريجين سواء من مرحلة الجامعة أو الدراسات العليا بالتدارك فيما فات على الباحث والكتابة عنه .

7) على الحكومة والمؤسسات المعاهد والجامعات ورجال الأعمال أن يترجموا هذا الكتاب بالفرنسية ليعم النفع والاقتداء لهذا الرجل ما قدمه للوطن ومجتمع التشادي.

مقابلة مع شقيقه الشيخ/ حسين حسن أبكر، بأبشه حي السلامات بمنزله 8-8-2022م، الساعة: 25:04 دقيقة.

تجليات فن السيرة في كتاب:

" رجل شريف ماجد، سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا"

إعداد/ د.شوقي صلاح نوح الفرماوي

مدرس الأدب والدراسات الأدبية قسم اللغات الأفريقية – جامعة اسوان

مستخلص:

يتناول هذا البحث لونًا من ألوان الأدب الهوساوي، هو السيرة الفنية، فيحدد معناها، والفرق بينها وبين الترجمة، وقصة الحياة، ويحدد أنواع السيرة والفرق بين الذاتية والغيرية، وعلاقة فن السيرة بالتاريخ والرواية، وذلك بالتطبيق على الكتاب موضوع البحث، وهو كتاب: "رجل شريف ماجد، سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا" للكاتب الكبير: "تريفور كلارك Trevor Clark"، ترجمة الدكتور: "صبري محمد حسن Sabri Muhammad Hassan". وهو كتاب يجمع بين السيرة والتاريخ، فهو يؤرخ لزمن أبي بكر، وفي نفس الوقت سيرة غيريه له. ومن أهمية هذا البحث أن يستخلص تجليات فن السيرة في الكتاب، ويستخلصها من التاريخ.

Abstract

This research deals with a type of Hausa literature, the artistic biography. It identifies the meaning of the art of biography, the difference between it and translation, and the story of life. It identifies the types of biography and the difference between subjectivity and otherness, and the relationship of biography to history and novel, by applying to the book in question, which is a book: "A Sharif Majid Man, Biography and Times of Hajj Sir Abi

Bakr Tafawa Balewa" by the great writer: "Trevor Clark", translated by Dr. Sabri Muhammad Hassan. It is a book that combines biography and history, as it chronicles the time of Abu Bakr, and at the same time, other biography of him. It is the importance of this research to show the signs of the art of biography in the book, and rid it of history.

تقديم:

مادة هذا البحث كتاب جمع بين فن السيرة والتاريخ، فهو يؤرخ لزمن أبي بكر تافاوا باليوا، وفي نفس الوقت يعد سيرة فنية غيرية لأبي بكر تافاوا باليوا رحمه الله.

ويمثل الكتاب مع كتاب سيرتي الذاتية لمؤلفه وصاحب السيرة نفسه المؤلف الزعيم ابن الأكرمين الحاج أحمد بللو رحمه الله، يمثلان نشأة فن السيرة الفنية، الذاتية والغيرية في الآداب الإفريقية في غرب إفريقيا، وبخاصة في الأدب المكتوب باللغة الهوساوية.

أما عن الكتاب الأول، سيرة أبي بكر تافاوا باليوا موضوع هذا البحث فإن البحث هنا يعنى باستخلاص تجليات فن السيرة الفنية في الكتاب، وتخليصها من التأريخ لصاحب السيرة، وزمانه. ويرى النقاد الهوساويون الكتاب بعين الفن السيري في المقام الأول، فهو كتاب سيرة يضم التاريخ معها، يقول تريفور كلارك مؤلف الكتاب: "هذه هي السيرة الذاتية الأولى للحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا (ديسمبر 1912 - 15 يناير 1966م)، رئيس وزراء نيجيريا المستقلة، والكتاب يعد دراسة وافية لحياة الرجل وأزمانه، فضلاً عن كونه أيضا تبصُّراً جديداً في تاريخ أكثر الدول الإفريقية، سكانا في القرن العشرين، وربما تكون أهم الدول الإفريقية، على حدِّ قول البعض، الكتاب قصَّة فريدة لرجل فريد يرويها واحد من أولئك الذين يعرفون أبا بكر حقَّ المعرفة. وهذا الكتاب بمثابة مساهمة خجولة ومتواضعة، من أجنبي يفخر بأنَّه يذكره بالخير وبالحبّ، في اتجاه تقدير وتقييم مستقبلي واسع النطاق

لقامة ذلك الرجل وهامته المرتفعة، وبكلمات الهوسا التقليدية، عندما يؤبنون الراحلين العظام أجدني أقول: يرحمه الله"[1].

وقد نقل حكيم نجم الدين في مقالة له بعنوان أبو بكر تافاوا باليوا صوت أفريقيا الذهبي هذه الكلمات وأضاف إليها "الذين عاصروا أبا بكر، لقد اعترفوا جميعاً بأنَّ الرجل كان صاحب عقل مفتوح"[2].

منهج البحث:

وتعتمد الدراسة في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ فهو المناسب لطبيعة الموضوع، فالوصف لعرض مفاهيم السيرة وأنواعها وخصائصها، والتحليل لتحديد تجليات فن السيرة في كتاب "رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا".

مادة البحث:

يمثل الكتاب – موضوع الدراسة – نموذجا فريدًا من سير القادة والزعماء في نيجيريا، فقد كتبه المؤلف الشهير تريفور كلارك، وعنون له بعنوان "رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا" وترجمه الدكتور صبري محمد حسن إلى اللغة العربية، ونشره المركز القومي للترجمة بمصر تحت رقم (العدد1531)، وصدرت الطبعة الأولى منه عام 2010م، ويقع في أربعة أجزاء من القطع المتوسط. وقد جمع الكاتب في لغة الكتاب بين اللغة الهوساوية واللغة الانجليزية.

---

[1] تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، ترجمة الدكتور صبري محمد حسن، الطبعة الأولى، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، عدد رقم 1531، الطبعة الأولى عام 2010م، ج2، ص237.

[2] حكيم نجم الدين: مقالة بعنوان "الحاج أبوبكر تافاوا باليوا (1912 – 1966) صوت أفريقيا الذهبي"، منشورة على الأنترنت بموقع مدونة حكيم نجم الدين، بتاريخ 2مارس 2018م.

المؤلف:

مؤلف الكتاب هو الكاتب الاسكتلندي تريفور كلارك، تخرج في جامعة أكسفورد، وهو محام غير ممارس في مدينة مدل تمبل. عمل هذا الرجل ضمن القوات البريطانية في كل من سيراليون وجامبيا وبخاصة قوات الحدود الإفريقية الغربية الملكية، في فترة الحرب العالمية الثانية باعتبار هذه القوات جزءًا من الفرقة الحادية والثمانين المتمركزة في وادي كالدان. بعد انتهاء حرب المحيط الهادي، جرى إلحاق تريفور كلارك على الفرقة الثانية والثمانين في رانجون عاصمة بورما برتبة رائد. التحق تريفور كلارك بخدمة صاحبة الجلالة الإدارية في نيجيريا في العام 1948، ومارس الرجل وظيفة رئيس حي مساعد ممارسة ناجحة. كان الرجل مساعدًا لرئيس حي كاتاجوم في بلده آزار ثم أصبح بعد ذلك رئيس حي الاري، ثم بعد ذلك رئيسًا لباوتشي ثم سكرتيرًا منابًا للمجلس التنفيذي، في مكتب حاكم نيجيريا، في مجلس وزراء الشمال، ثم أصبح رئيس حي أول في بلدة إجبيرا في أوكيني. وفي باوتشي تعرف على السير أبي بكر تافاوا باليوا والتقيا بعد ذلك كثيرا في كادونا وأوكيني وليجوس. ثم تقاعد تريفور كلارك من الخدمة العسكرية في العام 1977م[1].

المترجم:

ترجم الكتاب إلى اللغة العربية صبري محمد حسن أستاذ اللغويات غير المتفرغ، حصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الأفريقية تخصص دراسات لغوية هوسا في جامعة القاهرة، وعمل بالترجمة والتأليف، وله أكثر من عشرين كتابا مترجما وأكثر من عشر روايات مترجمة، وأخيرًا عمل بالتدريس بقسم اللغات الأفريقية بكلية الدراسات الإفريقية

[1] تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، ج2، ص505.

العليا بجامعة القاهرة كخبير في لغة الهوسا، وقد اختتم الترجمة بترجمة ذاتيه لنفسه ومؤلفاته وترجماته في الجزء الرابع، ص240، 241[1].

التمهيد:

تنقسم السيرة الفنية إلى نوعين؛ السيرة الذاتية، والسيرة الغيرية، والعنوان يدل على المضمون، فالسيرة الذاتية يكتب فيه السارد عن نفسه، في حين يتوجه السارد إلى الكتابة عن غيره في النوع الأخير. وتعد السيرة النبوية في تاريخ الأدب العربي من أول كتابات السيرة قاطبة، ولكنّها تختلف في كونها سيرة غيريّة، أي كتبها شخص غير صاحبها، وفي المرحلة الراهنة فإنّ أصحاب السير من المشاهير يعهدون بالكتابة والصياغة إلى أحد الكتاب المتمكنين بعد إعطائهم المعلومات اللازمة. وفيما يلي بيان لكلا النوعين:

السيرة الذاتية: تنتشر كتب السيرة الذاتية حول العالم وتنال القدر الأكبر من عناية القرّاء والمهتمين، حيث تؤكد الإحصاءات أنّ كتب السيرة الذاتيّة للمشاهير هي الأكثر مبيعاً في كل من الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وأوروبا، خاصّة أوروبا الغربية. ويتجه القرّاء إلى السير الذاتية لعدة أسباب أهمها استكشاف الحقائق التي كانت مجهولة عن حياة أصحاب السير لفترة طويلة من الزمن، المليئة بالتشويق والإثارة بالنسبة للقارئ، خاصّة مع معرفته أنّ الأحداث حقيقيّة وليست من خيال المؤلف كما هو الحال بالنسبة للروايات، ويعتبر النقاد أن أول كتاب يوضع في السيرة الذاتية ما كتبه جان جاك روسو بعنوان اعترافات، وقد لاقى قدراً كبيراً من النجاح في قارّة أوروبا وخارجها لمساهمته في تحريك مشاعر القرّاء نحو المكاشفة ومحاسبة النّفس، وانتقلت السيرة الذاتية إلى اللغة العربية على يد طه حسين بوضعه كتاب الأيام الشهير الذي يعد سراجًا ينير طريق المكفوفين في العالم كله.

[1] تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا،ج3، ص594.

إن فن كتابة السيرة الذاتية نوع قديم من الأدب وهو قد مر بتغيرات مع مرور الوقت لأن العرب كانوا يعرفون هذا الفن في العصر الجاهلي أيضا . وهذا يعني أن هذا الفن ليس حديثا في الأدب العربي بل إنه نوع معروف من الأدب العربي. وكذلك شهد فن كتابة السيرة الذاتية تطورات مع مرور الزمن،وهو لا ينحصر في كتابة تراجم الكتاب والمؤرخين بل إنه برز في أنواع مختلفة من الأدب مثل التاريخ، واليوميات،والمذكرات، والاعترافات، والقصة، والرواية . واتصف هذا الفن بمواصفات شخصية ونفسية[1].

السيرة في اللغة العربية هي الطريقة والسنّة والمنهج، وحالة الشخص ووصفه وسط الناس، فيقال أن فلاناً سيرته حسنة كإشارة إلى حسن خلقه وفعله، أمّا من حيث المصطلح فإنّ السيرة الذاتيّة هي أحد الأنواع الأدبيّة التي يعتمد كاتبها على انتقاء الأحداث الحقيقيّة وترتيبها وعرضها بصورة شيّقة وفنيّة لكن دون تزييف أو محاولة خلط للحقائق.

ترجع أصول كتابة السيرة الذاتية إلى الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو، حينما أصدر كتابه الاعترافات في عام ألف وسبعمائة، وتبعه العديد من الكتاب والمفكرين في أوروبا، حتى انتقلت كتابة السيرة إلى اللغة العربية على يد الشيخ أحمد فارس الشدياق، ولكنّه قد أصدر كتابه في باريس في عام ألف وثمانمائة وخمسة وخمسين. أصدر عبد الرحمن شكري في ألف وتسعمائة وستة عشر سيرة ذاتية أسماها الاعترافات في مدينة الإسكندريّة، ومع ذلك يعد طه حسين رائد كتابة السيرة الذاتية العربيّة بإصداره كتاب الأيام الذي عُد الأشهر في الأدب العربي المعاصر، ومن بعده أصدر العديد من الأدباء والمفكرين سيرهم الذاتيّة كأحمد أمين، وإبراهيم المازني، وعباس محمود العقاد، كما قامت الشاعرة نازك الملائكة برواية سيرتها الذاتيّة للكاتبة حياة شروات التي نشرتها بعنوان سيرة من حياة نازك الملائكة.

[1] عبدالمجيد البغدادي: فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي، مجلة القسم العربي العدد الثالث والعشرون 6201م190، إسلام آباد.

وفي جانب الأدب الأفريقي نجد أنه قد "ساهم الساسة بجهود ملموسة في هذا المجال. فقد كتب نكروما مسيرته الذاتية ومزجها بكفاح بلده من أجل الحرية سياقاً وعنواناً على السواء، فجاءت بعنوان (غانا : سيرة ذاتية) وسار كينيث كواندا على نهجه فكتب سيرته الذاتية بعنوان (زامبيا ستكون حرة " Zambia shall be free) وكذلك فعل توم مبويا في سيرته الذاتية بعنوان (الحرية وما بعدها، Freedom and After) وهكذا. وفي هذه السيرة الذاتية ذات الطابع السياسي نلتقي أصحابها من خلال تجربتهم السياسية والنضالية، لكننا لا نعدم التشويق وحسن العرض وطلاوة الأسلوب، كما لا نعدم التفاصيل الدقيقة في تجاربهم الذاتية في الحياة. فهذا مبوياً مثلا يروي في سيرته كيف نشأت في أسرة فقيرة لأب يشتغل عاملا في كينيا ويتقاضى جنيها في الشهر. ومع هذا كافح مبويا، وبدأ حياته من أسفل السلم الاجتماعي وراح يرتقى فيه حتى وصل إلى منصب مفتش صحة، ثم انخرط في الحركة العمالية والنقابية في بلده، وشدته الحركة الوطنية فساهم فيها بقسط كبير من جهوده، إلى أن أصبح وزيرًا للعدل بعد ١٢ عاماً من عمله بالصحة[1]، والإشارة جلية إلى الزعيم الراحل محمد أنور السادات الذي كتب سيرته الشهيرة بعنوان: البحث عن الذات قصة حياتي.

السيرة الغيرية: تُعرّف السيرة الغيريّة بأنها إحدى أنواع التعبير الأدبي الكتابي، والتي تختص بالحياة الشخصيّة لشخصٍ ما، حيث يقوم المؤلّف بإعادة بناء حياة الشخص الذي يكتب عنه بتفاصيلها بناءاً على وجهة نظره الشخصيّة، بالطبع بالاعتماد على الدلائل الموجودة سواء أكانت مُصوّرة، محكيّة أو مكتوبة. غالباً يتم النظر للسير الغيريّة بأنها إحدى أنواع التاريخ، خصوصاً تلك التي تتحدّث عن الحياة الشخصيّة لأحد الشخصيات البارزة، ولايخلو الأمر من بعض العوائق أثناء كتابة السير الغيرية، وبالذات تلك المُتحدّثة عن أشخاص قد فارقوا الحياة، بسبب قلّة المصادر وصعوبة التحقق من صحّتها، إذ أنّ التحدي

[1] علي شلش: الأدب الأفريقي، الأدب الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة رقم 171، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م، ص176.

الأكبر خلال كتابة السير الغيريّة هو الحصول على المعلومات بشتى الأساليب والطرق والتأكّد تماماً من صحّتها[2].

تمتلك السيرة الغَيريّة عدداً من الخصائص أهمّها: أنّها تتحدّث عن شخص حقيقي وليس من وحي الخيال، حيث تختلف عن المُذكرات التي بالإمكان إدخال بعض الخيال إليها.

أنّها تتحدّث عن شخص حقيقي وليس من وحي الخيال، حيث تختلف عن المُذكرات التي بالإمكان إدخال بعض الخيال إليها. تُعتبر المعلومات التي تحتويها صحيحة لاتشوبها شائبة، إذ لابد من تَحرّي الأمور قبل كِتابتها. يتم كِتابتها تِبعاً للوقت الزمني الذي عاش فيه الشخص المكتوب عنه، مع الحرص على التسلسل الزمني منذُ الولادة حتى الوفاة. يتم كتابتها بأسلوب شيّق، حيث يتم سرد الأحداث بشكل أقرب للرواية. تُعتبر كتابتها أسهل من كتابة السيرة الذاتيّة، إذ أن الحديث عن الأشخاص الآخرين أسهل من الحديث عن أنفُسنا بسب صُعوبة الكِتابة بموضوعيّة عند كتابة الفرد عن نفسه. يتم الكتابة عن شخص واحد فقط، والدخول بكافة تفاصيل حياته [1].

تشتمل السيرة الغيريّة الناجحة على عدّة عناصر يتم كتابتها بشكل متسلسل وبأسلوب ممتع هي: تاريخ ولادة الشخص ومكانها، بالإضافة لتاريخ الوفاة في حالة الكتابة عن شخص قد فارق الحياة. معلومات عن عائلة الشخص المكتوب عنه. الإنجازات والأحداث الهامّة في تاريخ حياة الشخص. تأثيرات الشخص التي قدّمها للمجتمع. للحصول على سيرة غيريّة ناجحة لابد من الاستناد في كتابة المعلومات للأدلة والحقائق، بالإضافة لكتابتها بشكل مثير للاهتمام، خصوصاً في الجملة الأولى للسيرة، إذ يجب كتابتها بطريقة تحفيزيّة جذّابة ومثيرة للاهتمام [2].

---

[2] Paul Murray Kendall: "Biography" ،www. Britannica. com, Retrieved 29-9-2018.

[1]Richard Norquist (29-3-2018), "Biographies: The Stories of Humanity" ، 29-9-2018.

[2]Grace Fleming (7-8-2018), "How to Write an Interesting Biography" 29-9-2018.

يتناول فن السيرة جانبا من جوانب الأدب العالمي، وله أهمية كبيرة فيما يعود علينا من معلومات وأخبار لأبرز الأعلام، فلولا فن السيرة كان هؤلاء من الغابرين، فمثلا سيرة الرسول صلى اللّه عليه وسلّم حفظت لنا الكثير من التفاصيل عن شخصيته وأخلاقهَ وآثاره، ولولا هذا الفن بقيت ملامح هذه الشخصية العظيمة غامضة، وظل العالم جاهلًا عظمة هذه الشخصية وفضلها على الإسلام والمسلمين.

التعريف اللغوي: جاء في لسان العرب لابن منظور:"السيرة:الطريقة، يقال:سار بهم سيرة حسنة، والسيرةالهيئة"[3]، وفي القاموس المحيط لفيروز أبادي : "والسيرة :بالكسر: السنة والطريقة، والهيئة والميزة "[4]، وفي المعجم العربي الأساسي: "سار يسير: مشى، وسار سيرة حسنة: سلك سلوكا حسنا"[5]، ومن ثم فالسيرة في تعريفها اللغوي هي الطريقة والهيئة.

التعريف الاصطلاحي: "السيرة علم وفن، فهي علم تاريخيا ومعرفيا، وأدب نوعا وشكلا، فمن الناحية الأولى تتحرى تصوير الحقائق والوقائع التاريخية، ومن الناحية الثانية تصاغ في أسلوب راق وبخصائص فنية متميزة.

يعرفها "محمد صابر عبيد بأنها "نمط سردي حكائي، ينتظم في فضاء زماني ومكاني محدد"[1]، فهي تساهم في تحقيق التواصل بين جميع بلدان العالم على مر الأجيال، لذلك لا تخلو أمة من الأمم من التراجم لأبطالها فهي : "نوع من الأنواع الأدبية التي تتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر، تعريفا يطول أو يقصر أو يتعمق أو يبدو على السطح، تبعا لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة وتبعا لثقافة كاتب الترجمة ومدى قدرته على رسم صورة واحدة دقيقة منَ مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له"[2].

---

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط4، 2005، مج7، ص: 317.

[4] الفيروز أبادي، قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط:3، 1999م، 2 / 120

[5] المنظمة العربية للتربية والثقافة، المعجم العربي الأساسي، د ط، د ت، ص: 251

[1] محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية، عالم الكتب الحديث، إربد، ط:1، 2007م، ص: 109

[2] محفوظ كحوال، الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، دار نوميديا للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2007م، ص 75.

وتسمى أيضا: ترجمة حياة" ويعرفها عز الدين اسماعيل بهذا المصطلح: "هي الكتابة عن أحد الأشخاص البارزين لجلاء شخصيته والكشف عن عناصر العظمة فيها" [3] فالسيرة هي بحث يستعرض فيه الكاتب حياته أو حياة شخصية بارزة من خلال ما تحقق في مسيرة حياة المتحدث عنه. ويعرفها أنيس المقدسي" بتعريف موجز وجامع فيقول:"نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصية"[4]، فهي نوع أدبي يجمع بين التاريخ والقصص من خلال التحري والمتعة. ولما كثرت تسميات هذا اللون الأدبي الفني وتعددت، ما بين "الترجمة"، و"ترجمة حياة"، و"قصة حياة"، وغيرها من التسميات، لما كثرت هذه التسميات كان لزامًا أن يحدد البحث في هذا الموضع بعض الفروق بين السيرة وغيرها من التسميات الأخرى.

الفرق بين الترجمة والسيرة: يعرف الباحثون الترجمة بأنها ذلك النوع الأدبي الذي يتناول التعريف بحياة شخص تعريفا يختلف باختلاف العصر والشخص الذي تدور حوله الترجمة. أما السيرة فهي "ضرب من الترجمة، تنفسخ أمامها وتزخر بالحديث الموسع، فالترجمة إذا طالت تسمى سيرة، وكانت كلمة سيرة وثيقة الصلة بما كتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم لكنها خرجت عن هذا الحيز المخصوص إلى آفاق واسعة"[5]، وبهذا فإن التعريف بشخص إذا كان قصيرا فهو ترجمة، وإذا طال فهو سيرة، فالتقسيم يعتمد على الطول والقصر، ويؤكد هذا التقسيم كثير من الباحثين في مجال الدراسات الأدبية، فيقول أحدهم: "والسيرة ترجمة مطولة تنفرد بمصنف على حده، وهي تختلف عن الترجمة في كون حجمها أطول وأوسع بكثير عن الترجمة"[1]. ثم يورد خصائص تفرق بين السيرة والترجمة، حيث وضع لكل منهما خصائص تميزه عن الأخرى:

---

[3] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، د ط، د ت، ص: 203

[4] أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط:6، 2000م، ص547

[5] محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص: 215

[1] محفوظ كحوال، الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، ص: 76

للسيرة مجموعة من الخصائص التي تميزها عن غيرها من الألوان الأدبية الأخرى، ومن ذلك أنها تورد الأحداث وفق تسلسل زمني، حسب ما أوردتها المصادر القديمة، وتتحري الدقة والموضوعية وتعتمد على الأدلة والبراهين القوية، ومنها اعتماد العقل والبعد عن الهوى والتقيد الصارم بالحقيقة، واتخاذ الأسلوب القصصي الذي يقوم على السرد وإتباع المنهج المشوق، مع ضرورة ربط أشخاص السيرة ببيئتهم، وكذا حياتهم السياسية والدينية لمعرفة التأثير والتأثر، والاعتماد على التحليل النفسي، لإجلاء المواقف الغامضة والوصول إلى الأحكام الحقيقية، ثم عرض الروايات المختلفة إن وجدت، مع ترجيح الرواية الأكثر صدقًا مع التدليل والبرهنة[2].

ويمكن إجمال هذه الخصائص في أن السيرة تعتمد التسلسل الزمني مع تحري الدقة والموضوعية وتغليب العقل على العاطفة، كما أنها تربط الشخصية بمحيطها الاجتماعي والسياسي والديني، بخلاف الترجمة فهي تقتصر على حياة الشخصية المترجم لها، وهذا ما نلاحظه في خصائصها، من أنها تتناول الترجمة الشخص المترجم له ابتداء من ذكر اسمه وكنيته ونسبه ونشأته، وتعلمه وأسفاره. . . . ووفاته، وتعتمد على بعض الدلائل المادية من روايات وآثار قصد تأكيد الأحكام الصادرة في حق المترجم له، وتستعين ببعض الدراسات النفسية لتفسير بعض المواقف وبعض السلوكيات الغامضة، كما أنها ترد في حلة أنيقة، خاصة التراجم المكتوبة من طرف الأدباء[3].

إن الذي يكتب الترجمة يحرص على تسجيل الأحداث والوقائع ورصد حقائق العصر التاريخية والسياسية والاجتماعية بأسلوب فلسفي يكشف عن دلالات العصر، أما كاتب القصة فيقدم على تسجيل تسلسل الأحداث الخاصة بحياة الشخصية من ولادتها إلى وفاتها، يقول محمد صالح الشنطي: " إن الذي يهم كاتب الترجمة هو تأمل الأحداث والمواقف

[2] **السابق**، ص: 81

[3] **السابق**، ص: 81، 82.

واستنطاقها والكشف عن دلالاتها الخاصة والعامة، ووضعها في سياق فكري فلسفي يميط اللثام عن حقائق الشخصية وعالمها، وتسليط الضوء على المرحلة التاريخية التي عاشت فيها. . . وليس الهدف من الترجمة مجرّد الرصد والتسجيل وجمع المعلومات وتأليفها وإنما ذلك من شان قصة الحياة التي تعنى بالتسلسل الخطي لحياة الشخصية منذ ولادتها وحتى وفاتها" [1].

والسيرة إما ذاتية، وإما غيرية، فأما السيرة الذاتية: فيعرفها عبد العزيز شرف بقوله: " السيرة الذاتية تعني حرفيا ترجمة حياة إنسان كما يراها هو"[2]، أما فيليب لوجون فقد وضع تعريفا اكثر دقة ووضوح فقال: "هي حكي إستعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته"[3]. ويبين يحي إبراهيم عبد الدرايم أهمية اتباع النسق الفني في الكتابة بقوله: "وأخص ملامح الترجمة الذاتية التي تجعلها تنتمي إلى الفنون الأدبية أن يكون لها بناء مرسوم واضح يستطيع كاتبها من خلاله أن يرتب الأحداث والمواقف والشخصيات التي مرت به ويصوغها صياغة أدبية محكمة" [4]، ويؤكد هذه الأهمية أنيس المقدسي فيقول: "فهي لسيت مجرد أخبار تاريخية لا هي مجرد تحليلات نفسية أو اجتماعية، بل هي كل ذلك مسبوكا في قالب فني ذي طلاوة ورواء"[5]. كما أن لكاتب السير الذاتية خصوصية تميزه عن غيره، فهو قريب إلى قلوبنا لأنه إنما كتب تلك السيرة من أجل أن يرجد رابطة ما بيننا وبينه وأن يحدثنا عن دخائل نفسه وتجارب حياته[6]. وتنقسم السيرة الذاتية إلى أقسام كثيرة، منها السيرة الشعرية، والسيرة الذاتية القصصية، والسيرة الذاتية الروائية، والسيرة الذاتية النقدية.

---

[1] محمد صالح الشطي، فن التحرير العربي، ص: 216

[2] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط:1، 1992م، ص27.

[3] فيليب جون، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1994م، ص8.

[4] يحي إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص81.

[5] أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، ص551.

[6] إحسان عباس، فن السيرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، سلسلة فنون أدبية رقم 4، بدون تاريخ ، ص101.

وأما السيرة الغيرية، وتسمى أيضا الموضوعية، وهي الشكل الآخر من أشكال السيرة، فهي السيرة التي يترجم فيها الكاتب لغيره من الشخصيات البارزة، "أي ترجمة حياة الآخرية، فإنها نقل عن طريق الشواهد والشهادات والوثائق . . . ومترجم غيره يقف موقف الشاهد لا القاضي"[7]. فهي بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير فيسرد حياته ويفصل المنجزات التي حققها وأدب إلى شهرته وذيوع صيته وأهلته لأن يكون موضعا لهذه السيرة، ومن بين كتب السيرة الغيرية الموضوعية الأصمعي لعبد الجبار جومرد، خليل مطران لعلي أدهم، والحسن البصري لإحسان عباس. . . . إلخ، وتنقسم السيرة الغيرية الموضوعية إلى أقسام كثيرة منها: السيرة الغيرية الشعرية، والسيرة الغيرية القصصية، والسيرة الغيرية الروائية.

وفارق كبير بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية، فقد اختلف الباحثون حول الفرق بين السيرتين، فذهب بعضهم إلى التشابيه بينهما، ومن ذهب الآخر إلى الاختلاف، خاصة في الغاية والمنهج، يقول محمد صالح الشنطي: "فالترجمة الذاتية تعبير مباشر فيه قدر كبير من الذاتية، والترجمة الغيرية توثيق وتحقيق وضبط واستنتاج فيه قدر كبير من الموضوعية، دون غياب للجانب الذاتي والحقيقة تظل نسبة في كليهما"[1]. إلا أن عز الدين إسماعيل ينفي الحقيقة التي تقول بأن: "أصدق حياة يمكن أن يكتبها الإنسان هي ترجمته لحياته الخاصة لأنه أعرف الناس بها"، فيقول معلقا على هذه المقولة: "ولكن يبدو أن هذا غير صحيح في كثير من الأحوال، ففهم الإنسان لنفسه أمر مشكوك فيه، فربما كانت قدرته على فهم الآخرين أكبر من قدرته على فهم نفسه"[2]، ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن معرفة الإنسان بنفسه لا تستوجب الصدق في التعبير عنها وتصويرها، فربما مال الكاتب إلى تبرير تصرفاته وتجميلها، ورما كان على العكس فيميل إلى جلد ذاته، وهذه أمور نسبية تتوقف على شخصية المؤلف سواء كان يكتب عن نفسه أو عن غيره، لان كتابة السيرة تتطلب

---

[7] السابق، ص112.

[1] محمد صالح الشنطي، فن التحرير، ص222.

[2] عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، ص210.

صدقا وضميرا متيقظا، ولا سيما فيما يكتبه الإنسان عن نفسه، كما يتطلب موضوعية وتحريا دقيقا وجمع المعلومات الكافية من مصادر موثوقة فيما يخص كتابة السيرة الغيرية، ويلخص إحسان عباس هذا الفرق بدقة وإيجاز فيقول: "أن السيرة الذاتية ذاتية مع شيء من الموضوعية، وأن الغيرية موضوعية مع ذرات صغيرة من الذاتية"[3].

ويرتبط ظهور فن السيرة في الآداب الإفريقية بظهورها في الأدب الانجليزي، فيربطها علي شلش ربطًا وثيقًا باللغة الإنجليزية إذ يقول: "ولكن السيرة الذاتية في الإنجليزية تختلف–كما وكيفا–عن زميلتها في اللغات المحلية، والأوربية الأخرى. ففي الإنجليزية نشأت، وفيها أيضا تطورت، وازدهرت، حتى شكلت ظاهرة خاصة لافتة للانتباه. فمن الجدير بالتأمل أن الأدب الأفريقي في اللغات الغربية ولد في حضن السيرة الذاتية. وكانت الإنجليزية قابلته. ففي عام ١٧٩٠ م، صدرت في لندن أول سيرة ذاتية لأفريقي خارج مجال العربية. وكان عنوانها طويلا على عادة المؤلفين القدماء في وضع عناوين الكتب : (القصة الشيقة لحياة أولاده إكويانو أوجوستافوس فاصا الأفريقي، كتبها بقلمه عام ١٧٩٠ م ". أما مؤلفها فلا توجد تفصيلات كثيرة عنه أكثر مما كتبه هو عن نفسه[1]

ومشاركة السياسيين فش كتابة هذا الفن في الأدب الأفريقي جلية، وسبق الحديث عنها في موضع سابق من هذا التمهيد، أما السيرة الذاتية التي يكتبها الأدباء المتفرغون فلا تخلو بدورها من السياسة، ولكنها تجعلها جزءا من الأرضية التي تدور عليها تجربة الحياة، بدلا من أن تكون كل الأرضية كما هي الحال في سير الساسة والزعماء الذاتية.

ومن أوائل هذه السير سيرة الكاتب الجنوبي بيتر أبراهامز التي صدرت في بداية الخمسينيات بعنوان : "قل للحرية"، ومن الجنوب تأتي سيرة مفاليلي بعنوان" في الشارع الثاني"، وثالثة لبلوك موديزيني وتحمل عنوانا طريفا هو لمني على التاريخ Blame me

(3) إحسان عباس، فن السيرة، 110.

(1) إحسان عباس، فن السيرة، ص215

on History) وقد صدرت عام ١٩٦٤ م، وفيها يقترب كاتبها من مفاليلي في مزجه السيرة بالرواية، وإن سيطر عليها إلى حد ما الأسلوب الصحفي بحكم عمل صاحبها الذي يعيش بدوره في لندن. وهي سيرة تنبض بالحزن والألم اللذين يقتات عليهما الأسود في جنوب أفريقيا [2]

ولعل أبرز سيرة بالإنجليزية في السنوات الأخيرة هي سيرة الأديب النيجيري النوبلي وولي شوينكا. وقد ظهرت في لندن عام ١٩٨١ م، بعنوان (آكيه) وظهر تحت هذا العنوان الغامض عنوان آخر صغير يفسره: (سنوات الطفولة) وفيها ربط شوينكا بين تاريخ طفولته وتاريخ بلاده، وصور الكثير من أحداث هذين التاريخيين ابتداء من مولده عام ١٩٣٤ م كابن بكر لأبويه، حتى مظاهرات الحركة الوطنية والحركة النسائية عامي ١٩٤٧ – ١٩٤٨م، أي ما يساوي ١٢ أو ١٣ عاما من حياته وحياة نيجيريا. وقد سجل التاريخيين معا بأسلوب شاعري أقرب إلى أسلوب التقطيع السينمائي الذي يتحرك بحرية بين الماضي والحاضر وزواج بين ضمير المتكلم المفرد وضمير المتكلم الجمع، ولاسيما حين يروي مواقف متعلقة بأترابه وأصدقاء طفولته. وحاول أن يسجل هذا كله من منظور الطفل، وهو هنا طفل ذكي، عنيد مشاكس، متقلب المزاج، خفيف الروح. كما ألقى الكثير من الضوء على بعض الشخصيات الحقيقية التي شغلت رواياته ومسرحياته بعد ذلك[3] .

العقد السيري أو الميثاق:

يوجد في كل سيرة فنية ما يسمى بالميثاق السير ذاتي، وهو ما يفيد "تحديد هوية النص بأنه سيرة ذاتية من خلال النص ذاته، دون اللجوء إلى عوامل خارجية لإثبات هذه

[2] علي شلش: الأدب الأفريقي، ص219

[3] السابق، ص224

الهوية"[1]، والميثاق يمثل حد الفصل بين الأجناس الأدبية، ويضع النص السيري تحت جنس السيرة الذاتية، ويعتبر اتفاق وعهد ضمني من المؤلف إلى القاري، أو هو العقد على حد تعبير فيليب لوجون الذي يقول: "مصطلح عقد يستتبع ويفرض وجود قواعد صريحة ثابتة ومعترف بها لاتفاق مشترك بين المؤلفين والقراء بحضوؤ الكاتب الشرعي الذي يتم التوقيع عنده على نفس العقد، وفي نفس الوقت"[2]، فهو إذا الرابط بين القارئ والمؤلف. وقد أعلن المؤلف "تريفور كلارك" نفسه عن هذا الميثاق، وعقد العقد مع القراء من عنوان الكتاب، والعناوين أنساب للمضامين، فلم يترك من شك ولا اجتهاد في توضيح جنس العمل المكتوب في الكتاب موضوع البحث، وتصنيفه تحت جنس السيرة الفنية، فإذا به يعنون له بعنوان: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا.

ومن مراجعة العنوان يتضح التداخل الكبير بين التاريخ والسيرة، ولعل الكاتب أراد أن يجعل من سير أبي بكر تافاوا باليوا تأريخًا وتاريخًا للإنسان المسرود له، وللأرض المسرود فيها في آن واحد، فكان الخلط الذي وقع فيه، بأن ظهر الكتاب باعتباره كتاب تاريخ لفترة في حياة الأرض، أكثر من كونه سيرة للمسرود له. ولكن الحق يقال، بأن الكاتب عندما عطف "أزمان" على "سيرة" في العنوان إنما كان يعني أنه يورد نصًا أدبيًا يندرج تحت فن السيرة الفنية، وهو تاريخ لنفس المسرود له في نفس الوقت. والكاتب بهذا العنوان أبرم الميثاق السير ذاتي الذي يقوم على العقد المبرم مع القراء لغاية التأكيد على التطابق بين البطل كشخصية رئيسية في الكتاب، وبين المسرود له أبي بكر تافاوا باليوا، والرجوع بكل شيء إلى الاسم الشخصي المكتوب على الغلاف، وهذا اللون تحقق في رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، إذ نلاحظ التطابق بين المسرود له والشخصية الرئيسية في الكتاب.

---

[1] أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م، ص205.

[2] فيليب لوجون: السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص13.

يفضل لوجون مصطلح الميثاق على مصطلح العقد، بقوله: "لقد استهواني مصطلح ميثاق السيرة الذاتية، لأن الميثاق يثير صورًا خرافية مثل المواثيق مع الشياطين التي تغمس فيها ريشتنا في دمنا من أجل بيع الروح، في حين يحيل العقد على دلالة أكثر نثرية، وأن مصطلح عقد يفرض وجود قواعد صريحة ثابتة معترف بها"[1]، وعند تقصي الميثاق السير ذاتي في كتاب: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا نجده يبدأ من العنوان ذاته كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ثم لا ينفك يظهر بين الحين والحين في ثنايا الكتاب، فهذا المترجم يقدم للكتاب في ترجمته وتحقيقه فيقول: "هذه هي السيرة الذاتية الأولى للحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، رئيس وزراء نيجيريا المستقلة، والكتاب يعد دراسة وافية لحياة الرجل وأزمانه، فضلًا عن كونها أيضًا تبصرًا جديدًا في تاريخ أكثر الدول الإفريقية سكانًا في القرن العشرين، وربما تكون أهم الدول الإفريقية على حد قول البعض. الكتاب قصة فريدة لرجل فريد يرويها واحد من أولئك الذين يعرفون أبا بكر حق المعرفة"[2].

وفي موضع آخر يقول: "وأنا لا يسعني هنا سوى القول إن كل أولئك الذين تحاورت أو رجعت إليهم في كل من نيجيريا وبريطانيا كانوا شغوفين لمساعدتي بما لديهم من ذكريات عن أبي بكر تافاوا باليوا، كما قدموا لي أيضًا كثيرًا من النصح والإرشاد" [3].

وأحيانًا ينقل الكاتب بعض آراء المعارضين للمسرود له ليبين موضوعية عرضه لأحداث سيرة أبي بكر تافاوا باليوا، وذلك حتى لا يتهم كما أشار في غير ما موضع بأنه يكتب سيرة قديس من القديسين، فها هو يقول: "كتب هذا المؤرخ يقول: لو أن رئيس الوزراء الراحل كانت فيه ذرة من السمات والصفات التي عزيت إليه من باب المبالغة في الكرم، لما تطلب الأمر انقلابًا أو حكمًا عسكريًا لإزالة الفوضى الناجمة عن عدم الكفاية، والحكم

(1) فيليب لوجون: السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ص59.
(2) تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، ص المقدمة.
(3) السابق: ج1 ،ص33.

السيء، والسرقات، والخيانة التي قامت بها الحكومة. افتقار رئيس الوزراء الراحل إلى الرؤية، والشجاعة والإقناع، اللهم باستثناء متابعته للمزايا السياسية الضيقة، باعتبارها على النقيض تمامًا من الالتزام السياسي بالأهداف الوطنية وأهداف الوحدة الأوروبية، أمر لا يصدقع عقل... " [4]، ولا يعدم القارئ ردًا موثقًا مرة ومنطقيًا مرة من المؤلف على كل اتهام تم توجيهه إلى المسرود له.

الدوافع:

لكل سيرة حافز أو مجموعة من الحوافذ الدافعة لكتابتها، وقد تكون الحوافز داخلية أو خارجية أو هما معًا، وقد يسيطر أحد هذه الدوافع على غيره، مما يجعله هو الغالب، وهذا لا يعني إلغاء بقية الدوافع، "وأول ما يهدف إليه كاتب السيرة الذاتية إيجاد رابطة بينه وبيننا، لأنه يثير فينا رغبة في الكشف عن عالم نجهله"[1]. والكاتب ربما يخالف البطل أحيانًا، فيبدوا موضوعيًا في سرده، مجافيًا لرغبات المسرود له، فها هو يقول: "ربما كان الحاج السير أبوبكر، شأنه شأن أليفر كرمويل، يريد أن نرسم له صورة بملامحه الغليظة، وبثرائه، وفاسافيسه السغيرة وكل شيء، نحن لم نتستر في هذا الكتاب على أي شيء مما يتمكن البحث من اكتشافه بغض النظر عما إذا كان مشينًا أو غير مشين"[2]، وهذا يتوافق مع الميثاق السيري، ويبين اختلاف الدوافع لدى كل من السارد والمسرود له.

ولكن الكاتب، وإن كان في بعض الأحيان يميل إلى مناصرة المسرود له إلا أنه أحيانًا يجد نفسه مضطرًا إلى الصدق، سواء كان الصدق الداخلي مع نفسه، أو الصدق المفروض عليه من الخارج، فهو الذي يقول: "يزداد على ذلك أن السواد الأعظم من المتشككين فين خصومه الذين عاصروه لم يذموه مطلقًا على أنه مواطن من نوع خاص، ومع ذلك عثر المعلقون أصحاب الفكر الحر الذين لم يحظوا مطلقًا بمتعة امتياز قيادة الحكومة وإغراءاتها

---

[4] السابق: ج 4،ص232.

[1] إحسان عباس: فن السيرة، ص94.

[2] تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، ج4، ص237.

وأخطارها، على الكثير الذي يمكن أن يستنكروه، وهنا يتعين علينا أن نورد مثالًا على هذا النوع من الإدانة، مخافة أن يحسب الناس هذا الكتاب نوعًا من سير القديسين.. "[3] .

إبراز الصفات النفسية التي كان عليه المسرود له هدف كبير سعى إليه السارد، فهو المعجب بأبي بكر تافاوا والمبهر بصفاته، وبشجاعته، والحزين أيضًا على نهايته، ولم يكن الكاتب وحده بهذا الشعور، فهذا أحد شهوده يقول: "ولا يسعني هنا إلى أن أشير إلى قول آخر من أقوال هذا الرجل: "إذا لم يعد هذا الشعب راغبًا في وجودي، فكل ما عليه هو أن يعطيني مهلة ساعيتين فقط، وهما تكفيان لحزم متعلقاتي هنا ثم الريل عن هذا المكان على الفور"، ومن سوء الطالع أن الرجل لم يعط هذه الفرصة فقد كان الرجل يعني ما يقول"[1].

وأخيرًا فإن الكاتب هدف بهذه السيرة إلى إعطاء المخلصين من أبناء نيجيريا مثالًا يحتذى به في مستقبلهم، يقول: "هؤلاء اللذين يحبون هذا البلد يتشوقون إلى معرفة المزيد عن واحد من أحسن أبناء هذا البلد"[2]. وفي موضع آخر يقول: "كان عدد كبير من أصدقائي البريطانيين يعرفون هذا الرجل، معرفة حميمة، قبل معرفتي له بوقت طويل، وشأني شأن هؤلاء الذين عرفوا ذلك الرجل، وجدتني أغير حكمي عليه بصورة مطردة، وبحكم كوني إداريًا مبتدئًا وجدتني لا أتأثر إلى بإخلاص هذا الرجل وولائه وأحسست بعد ذلك بأنه صديق بحق وفي النهاية وجدتني معجب بأمانته الفريدة في الحياة العامة وفي السياسة"[3].

الصدق والحقيقة:

من أسس بناء العمل السيري الناجح الصدق والحقيقة والصراحة، فجميعها من الشروط الواجب توافرها في كتابة السيرة الفنية الغيرية، وذلك لارتباطهم بالميثاق السيري سابق

---

[3] السابق: ج4، ص238.

[1] تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، ج1، ص27.

[2] السابق: ج1، ص31.

[3] السابق: ج1، ص32.

الذكر، ولتميز السيرة بشكل دقيق بهده الأسس عن غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى كالرواية والقصة، لذلك فيجب على السارد أو كاتب السيرة "أن يبني ما يكتبه على أساس متين من الصدق التاريخي، فإذا ضعف عنصر الصدق في السيرة فإنها لا تسمى سيرة لأن الخيال قد يخرجها مخرجًا جديدًا يجعلها قصة منمقة ممتعة"[4]، فالصدق والحقيقة ومطابقة التاريخ ... كل ذلك يحد من ثورة الخيال، ويلملم أطراف السرد السيري داخل حدود الفن الخالص المميز ن غيره من الفنون الأخرى، فإن كان "القصصي حر في الخلق والبناء... فإن كاتب السيرة لابد له من مذكرات ورسائل وشواهد وشهادات من الأحياء، أحيانًا، يعتمد عليها في كل خطوة"[5]، ويطرح النقاد سؤالًا حول مدى قدرة التزام الكاتب السيري بالصدق والصراحة المطلقة، ومطابقة التاريخ والأحداث المعروفة، ويجيبون عن هذا بقولهم: "الجواب عن هذا التساؤل سهل لا يحتاج إلى كثير من التدقيق، فالصدق الخالص أمر يلحق بالمستحيل، والحقيقة الذاتية أمر نسبي، مهما يخلص صاحبها في نقلها على حالها ولذلك كان الصدق في السيرة الفنية محاولة لا أمرًا متحققًا"[1].

وبمراجعة السيرة موضوع البحث يتبين لنا أن السارد أو المؤلف قد التزم الصدق التاريخي، على الأقل من وجهة نظره، في سيرة أبي بكر تافاوا باليوا، حتى أن الكتاب يعد عند الكثير كتاب تاريخ أكثر منه كتاب أدب وسيرة، كما التزم بإيراد الأدلة والشهادات التاريخية على صدق ما يورد من أخبار المسرود له، وكأنما أراد من الكتاب أن يكون دليلًا ومرشدًا على هذا العصر الذي عاشت فيه نيجيريا في أيام المسرود له، بأحداثه، وتطوراته، وإيجابياته، وسلبياته، فتراه يستشهد بما كتبه اللورد هوم وكيل الوزارة لعلاقات الكمنولث في الفترة من 1955 إلى 1960 للشئون الخارجية في الفترة من 1960 إلى 1963 رئيس وزراء بريطانيا العظمى في الفترة من 1963 إلى 1964، والذي كتب عن المسرود له وأشاد به

[4] إحسان عباس: فن السيرة، ص74.
[5] السابق: ص76.
[1] إحسان عباس: فن السيرة، ص113.

في كتاباته وشهاداته لقرابة الثلاث صفحات"[2]. وتصديرات أخرى لـ "هوم هرسل، وكولد ستريم، وبيرويك شاير، والسيد آديتوكوينو أدمولا جوكون قاضي قضاة نيجيرا في الفترة من 1958 وحتى 1972م ورئيس مؤسسة الكمنولث"[3].

الأحداث:

الأحداث الفنية في السيرة هي العنصر الأبرز في الحكاية السيرية، وذلك بعد الشخص المسرود له بالطبع، فالحكاية هي مادة السيرة، وهي العالم الذي يقدمه النص السيري، وهي الشخوص والأحداث والزمان والمكان. وأدق تعريفات للحادثة قول "ميك بال" بأنها تمثل "الانتقال من حال إلى حال "[4]. وقد يعتمد السارد في عرض الحدث على طريقة من طرق كثيرة، وتلك الكثرة مردها إلى الحرية التي تسمح بها طبيعة بناء السيرة، تلك الحرية لا تحدها القواعد كل التحديد. فالعبقرية هي التي تعينه على الإفادة من الطريقة التي يختارها، أو على الانتفاع بكثير من الطرق، فقد يبدأ المؤلف سيرته من أول حوادثها، فيصف نشأة الشخوص، وميلاد علاقاتهم بعضهم ببعض. ويتبع في ذلك منهجًا زمنيًا في عرض الأحداث، وقد يبدأ من مشاهد النهاية، ثم يسرد الأحداث بعد ذلك في شكل الاسترجاع. وقد يبدأ من فترة خاصة من حياة الشخصية الرئيسية. في منظر صامت، يعتمد على الوصف اعتمادًا كبيرًا، ثم يقف ليرجع إلى الوراء سنين طويلة، يشرح بهذا الرجوع المنظر الذي قدمه أولًا. ولكن على الكاتب أن يحتاط في السرد حينئذ، فيبرر الحكاية بما يحيط بها من مجال، لتكون مقنعة من الناحية الفنية[1].

---

[2] تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، ج1، ص23.

[3] السابق: ج1، ص25.

[4] محمد عناني: المصلحات الأدبية الحديثة دراسة ومعجم إنجليزي-عربي، سلسلة أدبيات، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة 1996م، ص27.

[1] محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، 1987م، ص513: 517.

الحدث في السيرة الفنية له طابع فني متميز، "فليس مجرد مجموعة الأحداث الجزئية المتتابعة التي تقع لشخص واحد، دون علاقة منطقية بينها، وليس كذلك مجموعة من الأحداث المتجاورة المتشابهة التي لا ترابط بين أجزائها بحيث إذا سقط الجزء لا ينفرط عقد الكل، وإنما هو حدث كلي يشكل كائنًا عضويًا ناميًا متآزرًا، بحيث لو حذف منه جزء أو تغير موقعه في النسق التعبيري اختل الكل؛ ومن ثم فإنه لا يمكن للجزء أن ينفرد بأداء وظيفة معينة مستقلة عن الأجزاء الأخرى، لأنه يستمد وظيفته وتأثيره من تفاعله وعلاقاته ببقية أجزاء الحدث. . . ومعنى هذا أنه لا بد من خضوع الأحداث الجزئية لمنطق خاص يحدد وجهتها، ويلم شتاتها، ويحكم حلقاتها، وهو منطق السببية، حيث ترتبط الأسباب بالمسببات، وتؤدي المقدمة إلى النتيجة، وهذا يتطلب تركيز الأحداث حول شخصية محورية وهي شخصية المسرود له، تستقطب ما عداها من الشخوص الثانوية، بحيث ترتبط بها الأحداث، وتدور في فلكها، ويكون وجودها ذاته هو منطقة الجذب للفعل ومناط التبرير والإقناع"[2]. وقد دارت السيرة مادة البحث حول الشخصية المحورية التي تدور في فلكها الأحداث وتستمد وحدتها منها وهي شخصية أبي بكر تافاوا باليوا.

بدأ الكاتب سيرة باليوا بمولده في مدينة باوتشي، ثم تعليمه، وتتبع حياته حتى عمل مدرسًا في مدرسة في باوتشي، ثم تتبع حياته تتبعًا تاريخيًا من الأقدم إلى الأحدث حتى اغتياله رحمه الله على أيدي بعض الموتورين من ليجوس، ومرورًا بكل المراحل والصراعات السياسية التي عايشها المسرود له حتى ترأس وزراء نيجيريا في فترة ما قبل اغتياله.

المنهج:

التزم الكاتب الموضوعية بقدر كبير في السيرة، فلم يجامل المسرود له، وإن كان يدافع عنه كثيرًا، لكنه كان يورد آراء الخصوم في كثير من المواطن، وهو فخور بأنه يرى التاريخ

[2] عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، بدون تاريخ، ص44، 45.

يصحح نفسه في موقف الناس من المسرود له بعد وفاته، فيقول: "يجري تصحيح الوقائع التاريخية، وهذه هي صورة الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا لا تزال تظهر على العملة الورقية النيجيرية، لا يزال الرجل يكرم من قبل معاصريه الذين لا يزالون على قيد الحياة، وعلى اختلاف أعراقهم، بما فيهم أيضًا أولئك الذين كانوا خصومًا له في يوم من الأيام، أما جيل الشبان، الذين سنحت لهم الفرصة بالتعلم أو بالعمل في الخدمة العامة في ولايات بعيدة عن مواطنهم، ومساقط رءوسهم، فقد أصبحوا يقرون الآن أن قصة آبائهم قبل الاستقلال لم تكن قصة مذرية مثلما أكد المنقحون، هذا الجيل يعترف أيضًا أن أبا بكر كان بحق وحقيقة واحدًا من أبناء بلدهم العظماء، وواحدًا من المؤسسين الحقيقيين لأمتهم"[1].

وكان من منهج الكاتب أن يصحح المغالطات التاريخية في حق المسرود له، يقول:"حاولت تحاشي بعض المغالطات التاريخية التي ارتكبها بعض الباحثين الاجتماعيين وذلك عن طريق إصدار بعض أحكام بمعايير أزمان لاحقة لزمن ذلك الرجل" [2].

وقد اتبع الكاتب في سيرته الغيرية عن أبي بكر تافاوا باليوا طريقة ثابتة، فقد قسم السير إلى تسع وأربعين فصلًا، وعنون لكل فصل بمثل هوساوي يقصد من معناه أشياء كثيرة يستبينها القارئ في ثنايا قراءة الفصل، ويتساءل المترجم، ونتساءل معه، لماذا لجا المؤلف إلى ذلك؟ وقد وجد المترجم الرد على هذا السؤال في المثل الهوساوي الذي يقول: Alfarma na Kano, Sarauta na Sakkwato, Yaki na Zariya, Karin Magana na Bauci بمعنى: "اقصد كانو بحثًا عن المظهر الخارجي، واقصد سكتو بحثًا عن السلطة، واقصد زاريا بحثًا عن الشجاعة في الحرب، واذهب إلى باوتشي طلبًا للأمثال"[3]. ولكن يمكننا القول بأن الكاتب لجأ إلى هذا تقربًا للقارئ النيجيري بشكل عام، والقارئ الهوساوي بشكل خاص،

---

[1] تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، ج4، ص237.

[2] السابق: ج1 ،ص33.

[3] السابق: مقدمة المترجم، ج1، ص21

إذ يتسع نطاق انتشار لغة الهوسا إلى دول غرب إفريقيا كاملة، وكأن الكاتب أراد استمالة آراء الناطقين بالهوسا إلى آرائه حول المسرود له، وتلك من حيل الإقناع لدى الكاتب، ولا مانع من أن هذا يتوافق مع طبيعة الكاتب الاسكتلندي الجنسية والثقافة، وقد انتشرت كتابة الأمثال في بلاده.

الشخصيات:

الشخصية هي كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبًا أو إيجابًا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخوص، بل يكون جزءًا من الوصف. الشخصية عنصر مصنوع، مخترع، ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها، ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها"[1]. والشخصية هي مركز الأفكار العامة، والمعاني الإنسانية التي تدور حولها الأحداث في السيرة، فلا يمكن للأديب أن يعرض لقضاياه العامة وأفكاره إلا ممثلة في أشخاص، ولا يمكن للأفكار أن تحيا بدون الأشخاص، فبدون الشخصية لا يمكن أن توجد السيرة الفنية، "فالأفكار تحيا في الشخصية، وتأخذ طريقها إلى المتلقي عبر أشخاص معينين لهم آراؤهم، واتجاهاتهم، وتقاليدهم في مجتمع معين وفي زمن معين"[2]. والحديث عن الشخصية يقود إلى مسألة البطل في السيرة، ومفهومه، وموقف كتاب السيرة المعاصرين منه. ذلك أن في كل سيرة شخصًا أو أكثر يقومون بدور رئيس فيها إلى جانب شخوص أخرى ذات أدوار ثانوية. ولا بد أن يقوم بينهم جميعًا رباط يوحد اتجاه السيرة ويتضافر على إثمار حركتها، وعلى دعم الفكرة أو الأفكار الجوهرية فيها، وذلك بتلاقيهم في حركتهم نحو مصائرهم، وتجاه الموقف العام في السيرة. وكلا النوعين من الشخوص مأخوذ من الحياة. وإذا كانت الشخوص ذات الأدوار أقل في تفاصيل شئونها فليست أقل حيوية وعناية من السارد. وكثيرًا ما تحمل الشخوص الثانوية آراء المؤلف، أو تقفز في بعض مواضع السيرة

(1) لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مرجع سابق، ص113.
(2) عبد الفتاح عثمان: بناء السيرة دراسة في السيرة المصرية، مرجع سابق، ص107.

إلى المحل الأول، وكل شخصية في السيرة ذات رسالة تؤديها على الوجه الذي يريده منها القاص[3].

لعل من المناسب أن تكون الشخصية المسرود لها هي الشخصية الرئيسة في السيرة، وهذا ما تحقق في الكتاب موضوع البحث، فنجد الشخصية البطل دومًا هي شخصية صاحب السيرة، واسمه بالكامل أبوبكر تافاوا باليوا، وهو من مواليد شهر ديسمبر من العام الميلادي 1912، وتوفي في اليوم الخامس عشر من شهر يناير من العالم الميلادي 1966، هذا يعني أن الرجل مات وهو في ريعان شبابه إذ كان عمره حوالي 44 سنة. كان السير أبو بكر تفاوا بليوا أول رئيس وزراء في نيجريا المستقلة. تلقى تعليمه كمدرس، ثم أصبح زعيماً مفوهاً لمصالح الشماليين كواحد من القلة النيجيرية المتعلمة آنذاك. وكان كذلك رجل دولة عالمي، يحظى باحترام واسع في القارة الأفريقية كأحد الزعماء الذين شجعوا تشكيل منظمة الوحدة الأفريقية.

وُلِد أبو بكر في باوتشي، وكان أبوه باگري، أي رئيس مقاطعة مسلمة، وهي مقاطعة في باوتشي. بدأ تعليمه الابتدائي في مدرسة قرآنية في باوتشي ومثل معظم أقرانه، درس في كلية كاتسينا بعد ذلك حتى حصل على دبلوم المعلمين. عاد إلى باوتشي ليدرس في مدرسة باوتشي الإعدادية. وفي 1944، مع قلة من المعلمين المثقفين من الشمال، تم اختياره للدراسة في الخارج لمدة عام في معهد التعليم في جامعة لندن، ولدى عودته إلى نيجريا، أصبح مفتشاً على المدارس لإدارة الإحتلال ولاحقاً دخل خضم السياسة. تم انتخابه عام 1946، لمجلس عموم الشمال للمستعمرة، ثم للمجلس التشريعي في 1947. وكمشرِّع، كان نصيراً مفوهاً لحقوق شمال نيجريا، وبسبب فصاحته وتمكنه من أدوات الخطابة وآلاتها, لُقّب تافاوا باليوا بـ"صوت أفريقيا الذهبي"، وكان له رواية كتبها ونُشر في عام 1955 بعنوان Shaihu Umar أو شيهو عمر. في يناير عام 1960، مُنح "باليوا"

[3] السابق، ص533.

من قبل الملكة إليزابيث الثانية وسام الفارس القائد للإمبراطورية البريطانية .(KBE) وحصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة شيفيلد في مايو 1960م[1].

ومن الانتقادات التي وجّهت إلى باليوا أنه موالٍ للغرب ومفضّل لديهم, حتى وإن كان باليوا نفسه انتقد بشدة سياسات التمييز العنصري في جنوب أفريقيا وخُطط فرنسا لاختبار الأجهزة النووية في الصحراء الكبرى الأفريقية. وكان آخر تصرف علني له أن عقد مؤتمر لرابطة الكمنولث في لاغوس لمناقشة الإجراءات اللازم اتخاذها ضد إعلان البيض (إعلان من جانب واحد) باستقلال روديسيا (زيمبابوي حاليا) [2]

في 15 يناير عام 1966 ، أُختطف "باليوا" من مقر إقامته الرسمي من قبل الجنود الذين نفذوا أول انقلاب عسكري في نيجيريا. وكان الحاج "باليوا" مفقودا لعدة أيام. وبالرغم مما أُشيعتْ أنه على قيد الحياة وأنه في قبضة الجنود المتمردين وسيتم إطلاق سراحه كجزء من صفقة تبادل السجناء – بما فيهم السجين (الزعيم) أوبافيمي أوو لوو, إلا أن جثته عُثِر عليها بعد بضعة أيام، ملقاة في جانب من طريق لاغوس–أبيوكوتا, دُفن الحاج الزعيم في قبرٍ أُعلن نصبا تذكاريا وطنيا في بَوْتشي (ولايته التي ولد فيها), ويضم القبر مكتبة ومسجدا. وأعيد تسمية ساحة السباق الشهيرة في مدينة لاغوس باسمه تخليدا لذكراه. كما تم وضع صورته في إحدى العملات النيجيرية (فئة 5 نايرا), وسميّت جامعة أبو بكر تافاوا باليوا في بوتشي على شرفه [1].

تمت الإطاحة به وقتل في انقلاب عسكري في 15 يناير 1966 ، كما كان الحال مع العديد من القادة الآخرين ، بما في ذلك رفيقه القديم السير أحمدو بيلو . ملابسات وفاته لا

---

[1] تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، مقدمة المترجم، ج1، ص8، بتصرف.

[2] Federal Ministry of Information (1964), Abubakar Tafawa Balewa, Mr. Prime Minister: A Selection of Speeches Lagos, Nigeria.

[1] Balarabe Abubakar Tafawa Balewa (1994), Governing Nigeria: History, Problems, and Prospects. Malthouse Press, Lagos.

تزال دون حل. تم اكتشاف جثته على جانب طريق بالقرب من لاغوس بعد ستة أيام من إقالته من منصبه. تم دفن Balewa في . Bauchi أثارت أنباء اغتياله أعمال شغب عنيفة في جميع أنحاء شمال نيجيريا وأدت في النهاية إلى الانقلاب الدموي المضاد في يوليو 1966[2]

في عام 1934 ، كتب باليوا شيخ عمر ، وهي رواية قصيرة عن مسلم تقي استجابة لطلب ترويج أدب الهوسا من قبل روبرت إيست ، رئيس مكتب الترجمة الاستعماري كتب في شكل عظة نثرية. تناولت الأحداث والموضوعات في الرواية تجارة الرقيق والعلاقات الأسرية والمواضيع الإسلامية المتعلقة بالخضوع لإرادة الله، وتم عرض شيهو عمر على شكل مسرحية في السبعينيات ونشرت لأول مرة عام 1955م[3]

مرتبة الشرف: في يناير 1960 ، منحت جلالة الملكة إليزابيث الثانية أبو بكر تافاوا باليوا وسام فارس من وسام الإمبراطورية البريطانية. حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة شيفيلد في مايو 1960 كما حصل على درجة الدكتوراه الفخرية في القانون من جامعة نيويورك في يوليو 1961 .

الحياة الشخصية: وصف ثروة باليوا بأنها متواضعة عند وفاته ، شملت أصوله الرئيسية منزله في باوتشي ومزرعة مساحتها 50 فدانًا حيث كان يقضي إجازته عندما يريد الاسترخاء. كانت المزرعة تقع في الطريق إلى قرية تافاوا باليوا على بعد حوالي تسعة

---

[2] أ ب ج ساني ، عمر ، محمد .(2006) الإسلام والاستعمار: الردود الفكرية لمسلمي شمال نيجيريا على الحكم الاستعماري البريطاني . ليدن: بريل. رقم. ISBN 900413946X. OCLC 62554253

[3] جوزيف، ريتشارد (6 فبراير 2014) .الديمقراطية والسياسة السابقة في نيجيريا: صعود وسقوط الجمهورية الثانية كامبريدج. ص. 34. ردمك. 9781107633537. OCLC 864086426

أميال خارج بوتشي ؛ تم اتخاذ العديد من القرارات الرسمية أثناء وجوده في المنصب في المزرعة. تزوج باليوا من أربع نساء أنجبن له تسعة عشر طفلاً .[1]

ومما قيل في طهارة يد باليوا أنه تحاشى محاباة ذوي القربى من أهله وناسه، فقد كان لأبي بكر أخ غير شقيق اسمه إينوا فايس، أمضى إينوا وقتًا طويلًا مع أبي بكر وفتح له أبو بكر محلًا تجاريًا وأعطاه خمسين جنيها على سبيل الهدية، تحرك البعض من أجل توظيف إينوا في أحدى شركات المقاولات المقيمة في البلاد، لكن أبا بكر علم أن أخاه غير الشقيق تحاشى العمل في هذه الوظيفة لأسباب تتعلق بالقرابة[2].

ألف أبوبكر باليوا عندما كان في لندن كتابا عن مستقبل نيجيريا واستطاع فيه التنبؤ بأن نيجيريا المستقلة سوف يرجع لها النهوض على الرغم من الخلافات القبلية والفساد القبلي، هذا الشاب "الصغير الذي لا يزال غرًا في المجتمع الدولي والذي كان لا يزال على طريق اكتساب الخبرة والحكمة وقدر له تحمل الكثير من الالتزامات المتزايدة، التي تمثلت في الحكم المحلي في البداية ثم بعد ذلك في الحكم المركزي وإن شئت فقل في العاصمة ليجوس التي كانت غريبة وأجنبية عليه" [3]

وتكثر الشخصيات في الكتاب موضوع البحث، ولكنها شخصيات ثانوية، وعلى رأسها شخصية السارد نفسه، والشخصيات المتصارعة سياسيًا مع المسرود له، والشخصيات الشاهدة، وحتى شخصية المترجم تظهر أحيانًا في ثنايا الكتاب، فهو الذي يقول: "ونحن لا

---

[1] كالو إيزيرا، التطورات الدستورية في نيجيريا: دراسة تحليلية لتطورات صنع الدستور في نيجيريا والعوامل التاريخية والسياسية التي أثرت على التغيير الدستوري ، 1960م

[2] تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، ج1، ص16 .

[3] السابق: ج1، ص18 .

نبالغ إن قلنا إن أبا بكر تافاوا باليوا أهم الشخصيات البارزة في غرب إفريقيا بصفة عامة، وفي نيجيريا على وجه الخصوص"[4].

الحيز المكاني:

يمثل الحيز المكاني في السرد السيري عنصرًا هامًا في البناء الفني السيري، ويتصل اتصالًا مباشرًا، بقدرة السارد على تكوين موضوع السيرة، وصياغته، والربط بينه وبين المسرود له والأحداث واللغة بروابط الزمان والمكان، بغية الوصول إلى الهدف الذي يقصده الكاتب بسيرته. وإلى ذلك أشار النقاد إلى أنه لا يجوز للسيرة أن تكون بمعزل عن الحيز الذي هو عنصر هام في تشكيل العمل السيري حيث يمكن ربطه بالعناصر الفنية الأخرى. ولا يقصد بالحيز المكاني أو المكان دلالته الجغرافية المحدودة المرتبطة بمساحة محدودة من الأرض في منطقة ما، وإنما يراد دلالتها الرحبة التي تتسع لتشمل البيئة بأرضها، وناسها، وأحداثها، وهمومها، وتطلعاتها، وتقاليدها، وقيمها، "فالمكان بهذا المفهوم كل زاخر بالحياة والحركة يؤثر، ويتأثر، ويتفاعل مع حركة الشخوص وأفكارها، كما يتفاعل مع الكاتب ذاته[1].

في حي إسلامي في مدينة باوتشي ولد أبو بكر تافاوا باليوا، وعمل مدرسًا في باوتشي، تلك الولاية التي تشيع فيها روح الحياة الفقيرة، صاحبة الأغلبية المسلمة، وذات الأراضي الزراعية الواسعة، التي يتعين على كل واحد فيها أن يزرع قطعة من الأرض حتى لو كان موظفًا، "يجب التنويه هنا إلى أن الناس في هذا المجتمع بدءًا من رؤساء الأحياء وكبار المسئولين وصولًا إلى عمال المدارس يتعين على كل واحد من هم القيام بزراعة قطعة من الأرض تمنح له أو قد يجري تأجيرها له طبقًا لمنظومة شبه إقطاعية من الناحية التأجيرية، هذه الفئة من الناس كانوا يبنون بيوتهم على قطع الأرض التي كانوا يعملون عليها على شكل منحة

(4) السابق: ج1، ص21.

(1) عبد الفتاح عثمان: بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، ص59.

من الأمير أو رئيس الحي وهم الذين كانوا يقومون ببناء مجتمعاتهم السكنية بعون من بقية أفراء العائلة والجيران"[2].

وهنا يظهر المكان روح التعاون والارتباط بالأرض مصدر الخير والنماء والعطاء اللامحدود، فيما يظهر بعد ذلك في شخصية المسرود له، ويؤثر عليه، فالمكان في السيرة صاحب دور كبير في تفسير الكثير من تصرفات المسرود له، وتبرير ردود أفعاله في الصراع السياسي، إذ كان يميل إلى لم الشمل النيجيري خاصة في فترة ما بعد الاستعمار البريطاني، وتوحيد الصف الأفريقي في غرب إفريقيا كله بحسب ميوله التوسعية المغروسة فيه بحسب مكان النشأة.

يستخدم النقاد المحدثون مصطلح "الحيز المكاني" للتعبير عن مستويين مختلفين للبعد أو "الفراغ" المكاني: أحدهما محدد يتركز فيه مكان وقوع الحدث، ويمكن تسميته بـ "المظهر الخارجي المباشر" أو "المظهر الجغرافي"، والأخر أكثر اتساعًا، ويعبر عن الفراغ المتسع الذي تتكشف فيه الأحداث الفنية، ويمكن أيضا تسميته بـ"المظهر غير المباشر للمكان أو المظهر الخلفي"[1]. فأما المظهر الجغرافي المباشر للمكان: فهو ذلك المكان الذي يبدو مطلًا في النص السيري من خلال الوصف الجغرافي إلى حد ما للحيز الذي يدور فيه الحدث، فيصف الكاتب الأرض، والبناء، والشوارع، والبيت، والحجرة، وهكذا باستخدام الكلمات التي تدل على المكان والمساحات والأشكال والألوان. وأما المظهر الخلفي غير المباشر للمكان: وهو ما يعبر عنه بتعبير غير مباشر ويكون له دلالات المكان، كقول السارد: "رحل، خرج، دخل، سافر، ركب البحر، سمع المنادي لصلاة الصبح،. . . فمثل هذه الأفعال أو الجمل تحيل القارئ إلى عوالم لا حدود لها، وهي كلها أماكن وأحياز في معانيها، فالذي يسافر، يتحرك وينتقل من حيز إلى حيز آخر، ومن مكان إلى مكان آخر.

---

[2] تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، ج1، ص9.
[1] سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، مرجع سابق، ص74: 78.
وانظر أيضا: عبدالملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد،مرجع سابق، ص143: 146.

يطل المكان بروح الصراع كلما جاء ذكر ليجوس، والصراع السياسي فيها، وبروح البريق والتطلع إلى الصيت الواسع، والكلمة المسوعة في الشمال، يقول الكاتب: "عاد أبو بكر إلى كادونا مرة أخرى، التي أكد فيها المستشار السياسي الرئيسي الموافقة على آرائه الجديدة بعد تعديلها، هذا يعني أن المجلس التنفيذي في الشمال هو وكبار الأمراء كانوا قد أطلقوا يد الرجل باعتباره الزعيم الفيدرالي المناب، وجرى التصالح مع استمرار الدور الذي كان يلعبه الردل في ليجوس"[2].

الحيز الزماني:

يمكن تحديد مفهوم الزمن السردي السيري بأنه: سير الأحداث المتتابعة، وفق نظام لغوي يعتمد على الترتيب والتواتر والدلالة الحينية، وذلك بهدف التعبير عن الواقع الخيالي الذي يعيشه السارد، وهذا التتابع في سير الأحداث لا يرتبط بالأحداث الفنية وحدها دون غيرها من العناصر الفنية للسرد السيري، بل يمتد إلى كل العناصر، إذ لم يعد الزمن مجرد خيط وهمي يربط الأحداث بعضها ببعض، ويؤسس لعلاقات الشخصيات بعضها مع بعض، ويظاهر اللغة على أن تتخذ موقعها في إطار السيرورة، ولكنه اغتدى أعظم من ذلك شأنا، وأخطر من ذلك ديدنا، إذ أصبح الأدباء الكبار يعنتون أنفسهم أشد الإعنات في اللعب بالزمن، مثل إعنات أنفسهم في اللعب بالحيز، واللغة، والشخصيات. . . حذو النعل بالنعل[1].

الزمان السيري نوعان؛ زمان خارج النص، وهو زمن موضوعي، وزمان داخل النص، وهو زمان تخيلي خاص منفصم عن الزمان الموضوعي، متداخل مع النسيج السيري تداخلًا شاملًا، وله أهمية كبيرة في بناء النص السيري، إذ يحدد عوامل فنية مرتبطة بالخطاب السيري أو كانتقاء الأحداث.

---

[2] تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، ج2، ص18.

[1] عبدالملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، مرجع سابق، ص225.

وقد كانت البنية الزمانية للسيرة الكلاسيكية تخضع لمبدأ التتابع، حيث تتوالى الأحداث السيرية بطريقة خطية، يأخذ الزمن منحى تصاعديًا من بداية السيرة إلى نهايتها، والسارد يرتب أحداثه ترتيبًا تاريخيًا لا مجال فيه لتداخل الأزمنة، أما في السيرة الحديثة، فيشترط للانتقال من العالم الخارجي إلى العالم السيري بخاصية الزمن، فالسيرة الحديثة تعامل الماضي بشكل مألوف، أي كما لو كان ماضيها الخاص. والذي يحدد السيرة عند أصحاب هذا الرأي إنما هو التجربة والمعرفة والممارسة في الزمن، والزمن عنده ليس زمنًا بالمعنى الضيق للكلمة وإنما هو أحد مستويات التراتب للأزمنة والقيم[2].

وقد التزم الكاتب الترتيب الزمني التاريخي في حياة المسرود له، فبدأ مع ميلاده في شهر ديسمبر من العام الميلادي 1912، وتتبع الأحداث مطابقًا للتاريخ حتى وصل إلى نهاية حياته إذ توفي في اليوم الخامس عشر من شهر يناير من العالم الميلادي 1966، هذا يعني أن الرجل مات وهو في ريعان شبابه إذ كان عمره حوالي 44 سنة. وكثيرًا ما يذكر الكاتب اليوم والشهر والسنة في ذكر الحدث وذلك توثيقًا لما يورد من أخبار أبي بكر تافاوا باليوا من ناحية، وليتابع التسلسل الزمني المنطقي للحيز الزماني السيري في سيرته.

قائمة المراجع

1- تريفور كلارك: رجل شريف ماجد سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا، ترجمة الدكتور صبري محمد حسن، الطبعة الأولى، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، عدد رقم 1531، الطبعة الأولى عام 2010م.

2- أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م.

3- إحسان عباس: فن السيرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، سلسلة فنون أدبية رقم 4، بدون تاريخ .

[4] باختين، الكلمة في الرواية، ترجمة يوسف الحلاق، دمشق وزارة الثقافة، لسنة 1988، ص33: 39.

4- سمير سعيد حجازي: المناهج المعاصرة لدراسة الأدب، دار الكتاب الجامعي، الكويت، 1996م.

5- شوقي محمد المعاملي: السيرة الذاتية في التراث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ .

6- عبد الملك مرتاضي: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة رقم 240، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م.

7- عز الدين بوبيش: في نظرية السرد وتحليل الخطاب، الموقف الأدبي ع 380 كانون 2002م.

8- علي شلش: الأدب الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة رقم 171، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م.

9- كريم زكي حسام الدين ،الزمان الدلالي، مكتبة الأنجلو المصرية1991م .

10- ماهر حسن فهمي: السيرة تاريخ وفن، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م .

11- فيليب لوجون: السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

12- محفوظ كحوال، الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، دار نوميديا للنشر ، الجزائر، د ط، 2007م.

13- عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة، بدون تاريخ.

14- مارتن هيدجر: مفهوم الزمن، ترجمة فريق الترجمة والمراجعة في مركز الإنماء القومي، بيروت.

15- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، 1987م.

16- هانز ميرهوف: الزمن في الأدب، ترجمة أسعد رزق، مراجعة العوضي الوكيل، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة . نيويورك سنة 1972م .

17- Federal Ministry of Information (1964), Abubakar Tafawa Balewa, Mr. Prime Minister: A Selection of Speeches Lagos, Nigeria.

18- Max Siollun (2010), Nigeria's Forgotten Heroes: Alhaji Sir Abubakar Tafawa Balewa.

عبد الله الأمين، محمد سعيد العباسي، عمر البنّا ما بين الاصالة والمعاصرة

إعداد:

د /إيمان الطريفي عبد الرحمن محمد
أستاذ مشارك جامعة البحر الأحمر قسم اللغة العربية

د/ سامية حسين سعيد عبد الحفيظ
أستاذ مشارك جامعة البحر الأحمر قسم اللغة العربية
ايميل emanhbi@gmail.com

مقدمة:

الشعر في السودان، قديم قدم تاريخه. وقد أشارت مصطفى عوض الله بشارة في تحليل للوحات الأثرية أن الشعر السوداني عريق في تاريخه، ويدلُّ على ذلك ما وجده علماء الآثار من كتابات عن مناشط الحياة المختلفة في المناطق القديمة حيث كان يتم إنشادها وغناءها في مناسبات الفرح وحفلات تتويج الملوك إبّان الممالك النوبية القديمة في السودان قبل ميلاد المسيح عليه السلام.[1]

وجاءت العصور اللاحقة حيث شهد عهد السلطنة الزرقاء (1504 . 1821م) شعراً سودانياً تم تدوينه ووصل إلينا، بكل ما فيه من إيجابيات وسلبيات، ثم كان العهد التركي (1821 . 1885 م) ثم عهد دولة المهدية (1885 1898م) حيث وصل إلينا أيضاً منهما شعر مكتوب.

وتواصل العطاء في ظل المستعمر الإنجليزي مع بداية القرن العشرين، ونبغ في تلك الفترة حتى الثلاثينيات شعراء يشار إليهم بالبنان، عرفوا في مصر والسودان على السواء.

[1] مصطفى عوض الله بشارة، مواقف ورؤى في الشعر السوداني المعاصر، شركة مطابع العملة، ط1، 2008م، ص9.

وظهرت ملامح نهضة أدبية التزمت بأسس الشعر العربي المعروفة مع بعض التجديد في الرؤى والمعاني والموضوعات، في فترة لم يكن الشعر السوداني قد تأثر فيها بعد بالمدارس الأدبية.

لقد أطلق عبد المجيد عابدين على تلك الفترة تعبير (العصر الحديث) وقال عنها: "أما الشعر الحديث فكثير في السودان كثرة ملحوظة، وشعراء هذا الاتجاه قد يخطئهم العد لكثرتهم. ولكن أكثرهم لم يطبعوا دواوينهم ولم يتح لهم أن ينشروها للناس"[1]. وقال إن حُكمه واستشهاده في بحثه مستمد من دواوين الشعر السوداني التقليدي وأهمها في نظره ثلاثة: ديوان العباسي للشاعر محمد سعيد العباسي، ديوان البنا للشاعر عبدالله محمد عمر البنّا، وديوان الفجر الصادق للشاعر عبدالله عبد الرحمن الأمين.[2] هذا مع تأكيده على وجود أكثر من خمسة وأربعين شاعراً أحصاهم عبدالله حسين في كتاب (تاريخ السودان).[3] ومن شعراء العصر الحديث حمزة الملك طنبل وتوفيق صالح جبريل وعبد الرحمن شوقي ومدثر البوشي وصالح عبد القادر[4] وأحمد محمد صالح ويوسف مصطفي التني، وكثيرون عاشوا مرحلتين متداخلتين: مرحلة ما قبل التأثُّر بالمذاهب الأدبية ومرحلة بدايات تأثر السودانيين بالرومانسيّة.

الدراسة الإجرائية:

واقع التعليم في فترة ما قبل المستعمر وأوّل عهده وتأثيره على الشعراء:

الشعراء الذين تستهدفهم هذه الدراسة في، هم شعراء فترة ما قبل التأثُّر بالمذاهب الأدبية، عايشوا واقعاً تعليمياً محدَّداً كان سائداً في السودان لفترة طويلة؛ أي منذ عهد الفونج، مروراً بالتركية السابقة، ثم المهدية؛ ألا وهو تعليم الخلاوي. فنظام التعليم كان نظاماً موَحَّداً في تلك الفترة حتى بدايات القرن العشرين، يرتكز في جملته على التعليم

[1] عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان، دار الثقافة، ط2، 1976م، ص223.
[2] المرجع السابق ، ص224.
[3] نفسه، ص224.
[4] صلاح الدين المليك، شعراء الوطنية في السودان، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، ط1 ، 1975م، ص 161.

الديني الذي هو امتداد لنظام التعليم الذي كان سائداً في معظم أنحاء العالم الإسلامي.[1] وعندما جاء الإنجليز في بداية عهدهم حاولوا مقاومة نظام الخلاوي لأنه يستند على التعليم الديني، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك، فاضطروا لمسايرته ودعم الخلاوي النموذجية. ولكنهم بدأوا في إنشاء النظام الذي يريدونه في تعايشٍ مع الخلاوي، وهو نظام المدارس الحديثة. والخلاوي التي أعانها الإنجليز كانت مصدراً لمدٍّ كثير من المؤسسات التربوية في ذلك الوقت بطلبتها مثل كلية تدريب المعلمين ومدرسة العرفاء والقضاة الشرعيين أو المدرسة الصناعية الفنية. وقد ظلَّت هذه الخلاوي تمدُّ المدارس الأولية بطلبتها إلى عام 1930م حيث بلغ عدد هذه الخلاوي النموذجية المعانة 768 خلوة تستوعب ما يقرب من 29.000 دارس.[2]

لقد تلقَّى شعراء تلك الفترة تعليمهم أولاً في الخلاوي، حيث الاهتمام الكبير بالقرآن الكريم وعلوم الدين واللغة العربية وآدابها، وتجد ذلك في السيرة الذاتية لهؤلاء الشعراء الذين حفظ معظمهم القرآن الكريم.[3] وقد أثَّر ذلك عليهم في شعرهم من حيث المعاني والأسلوب واختيار الألفاظ والجُمل. ومن هنا كان الأثر الديني قوياً في هذا الشعر، وقد كان أكثر شعراء تلك الفترة من رجال الدين الفقهاء، ويهتم الكثيرون منهم بالمدائح النبوية والإشادة بالدين إلى جانب النَّظم في الأغراض الأخرى كالمدح والغزل والوصف والرثاء، وأكثرهم يمزجون الشعر بدعوات الوعظ والإرشاد. ويتجلَّى ذلك بصورة أوضح في ديوان الفجر الصادق[4]، إذ نجد الشعر يميل إلى التوجيه والنصح والوصية والإصلاح.

ومن يتصفَّح دواوين الشعراء في تلك الفترة يجد أنها قد التزمت بأوزان الخليل ابن أحمد، وبكل مواصفات الشعر العربي القديم من تشطير وقافية، وبعضها بدأ كعادة الشعراء العرب القدماء بالغزل في عدد من الأبيات ثم الولوج من ذلك إلى الموضوع الأساس،

[1] عون الشريف قاسم، الإسلام والعروبة في السودان، دار الجيل بيروت، ط1، ص 111 ، 112.
[2] المرجع السابق، ص 113.
[3] محمد سعيد العباسي في مقدمه ديوانه، ديوان العباسي، الدار السودانية، ط3، 1968م.
[4] عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص224.

وتجد ذلك حتى في المديح[1] وبخاصة عند الشاعر عبد الله عبد الرحمن الأمين، وقد أضاف بعض الشعراء مثل محمد سعيد العباسي (التخميس) في تشطير الشعر.

أما القضايا التي تناولها هؤلاء الشعراء فقد كانت تعبّر عن روح عصرهم ومشكلاته، وتطلُّعات الشعب السوداني في تلك الفترة. فهم قد أكثروا من المديح النبوي ومن شعر المناسبات الدينية كالمولد النبوي واستخدموا تعبير (النبويّات) في تصنيف أشعارهم، وبخاصة عبد الله البنا وعبدالله عبد الرحمن، ولكنهم لم ينسوا قضايا عصرهم في تلك الفترة، مثل التعليم وملجأ القرش ونوادي الخريجين والقضايا الوطنية السياسية كالمعاهدة الإنجليزية المصرية وقضايا الأدب. وتناول هؤلاء كذلك الطبيعة في أشعارهم، ووصفوها بأجمل الأوصاف، مثلما فعل محمد سعيد العباسي وعبدالله عبد الرحمن الأمين. واهتم هؤلاء بالمراثي والمديح والاجتماعيات وقضايا متفرّقة. كما كانوا يقسّمون دواوينهم إلى أبواب مثل: النبويّات، الاجتماعيات، الرثاء، المتفرّقات..إلخ.

إن ما ميّز تلك الفترة من تاريخ السودان، التي تمتد من مطلع القرن العشرين إلى بداية الثلاثينيات منه، إن الأدباء فيها لم يتأثّروا بعد بالمذاهب العالمية المعروفة في الأدب والفن. وقد كانت جُلُّ المؤثِّرات عليهم تأتي من تراث أمتهم وثقافتها ودينها وشعرها القديم. وبذلك كانت أشعارهم في طريقة نظمها متأثِّرة بالشعر العربي التقليدي القديم وبالفكر الإسلامي.

وفي قوة تأثير الإسلام في السودان يقول عون الشريف قاسم: "إذن يستطيع الإنسان أن يقول إن كل السمات الاجتماعية التي يمتاز بها شعب السودان، وكل القيم والمؤسسات الاجتماعية والثقافية التي تُكسب المجتمع السوداني شخصيته المحددة، هي نتيجة لفعل الإسلام في حياة المجتمع السوداني لقرون طويلة، بمعنى أن الشخصية السودانية الأصيلة التي تتمتع بمزايا محددة، وهي مزايا قد تتغيّر قليلاً أو تختلف بعض الشئ بتغيّر الظروف الاجتماعية، هي وليدة التراث الإسلامي النابع من القرآن الكريم والسُّنَّة المشرفة."[2] ونتيجة

[1] عبد الله عبدالرحمن، الفجر الصادق، ط1947م، ص1.
[2] عون الشريف قاسم، الإسلام والعروبة في السودان، ص 23.

لتمسك أدباء السودان في تلك الفترة بالإسلام، كان تمسكهم باللغة العربية، ودفاعهم عنها، كما سيأتي تفصيله فيما بعد.

أما من ناحية المضمون، فالمعروف أن تطوُّر الحياة بكلِّ جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، كان يؤثِّر منذ نهاية العصر الإسلامي الأول على مضمون الشعر وموضوعاته. وجاءت فترة الأندلس لتدخل تطوراً على الشعر في موضوعاته وبعض أشكاله بإضافات لم تخرج عن أوزان الشعر العربي التقليدي المعروفة وأسسه التي يقوم عليها. ومن هنا كان من الطبيعي أن نجد مضامين وموضوعات مستجدة في أشعار تلك الفترة التي أطلق عليها عبد المجيد عابدين صفة (العصر الحديث).

وعندما تختار الباحثة ثلاثة شعراء، من تلك الفترة لتأخذهم بوصفهم نماذجاً، وتسلّط الضوء عليهم، وهم محمد سعيد العباسي وعبدالله عبد الرحمن الأمين وعبدالله محمد عمر البنا، فإن ذلك يأتي لأنهم الأشهر، ولوجود اعتراف بهم من معظم الباحثين على أساس أنهم أهم أعلام تلك الفترة، وقد اشتهروا وذاع صيتهم في مصر والسودان على السواء، ونُشِرتْ أعمالهم في حينها في الصحف في البلدين، لا سيما وأن معظم دواوين الشعر السوداني كانت تتم طباعتها في ذلك الحين في مصر. وكذلك كان تعلّق أدباء وشعراء تلك الفترة وحبُّهم لمصر كبيراً، لأنها تمثّل في نظرهم مصدر إلمهم وإشعاع ثقافي.

الشاعر عبد الله عبد الرحمن الأمين:

عبدالله عبدالرحمن الأمين، وُلِد في جزيرة توتي (عام 1892م، وتُوفيَّ عام 1964م)، وتلقَّى تعليمه الأوّلي على يد أبيه وجده، فتعلَّم القرآن الكريم، والفقه وعلوم العربية، ثم واصل حياته التعليمية حتى تخرَّج في كلية غردون، بالخرطوم (1911م). عمل بتدريس اللغة العربية في كلية غردون. وكان عضو مؤتمر الخريجين ولجنته التنفيذية والستِّينية، كما كان عضو حزب الأشقاء، والوطني الاتحادي، وعضوًا مراسلاً لمجمع اللغة العربية في القاهرة. أهم أشعاره احتواها ديوان (الفجر الصادق) الذي اعتبره عبد المجيد عابدين أهم ثلاثة دواوين في تلك الفترة[1].

[1] عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص223.

ديوان (الفجر الصادق) قدّم له السباعي بيومي أستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم جامعة فؤاد الأوّل. ويتكوّن الديوان من خمسة أبواب، بدأها بالشعر الديني الذي تمثَّل فيما كان يقول من (نبويَّات) في ذكر مولد الرسول (صلى الله عليه وسلّم). وقد كتب في ذلك عشر قصائد تلمَّس فيها يقينهُ القوي وروحه الديني يفيضان عليه ما يُكْسِبُ الشعر قوَّة التأثير ويُضْفي عليه ثوب الجلال. وتمتد الناحية الدينية لتشمل كثيراً من قصائد الديوان مثل قصيدته عند افتتاح جامع جوبا، وقصيدته عند افتتاح جامع جده الضرير.

والباب الثاني اتخذه للوطنيات وفيه جال وصال. وهو أروع أبواب الديوان. وقد نصب لنفسه فيه أربعة أهداف، صوَّب إليها نباله وألّب من أجلها قومه حتى يحقِّقوا للوطن آماله فيعزُّ جانبه ويرتفع شأنه. كان أوَّل هذه الأهداف العلم، وهو أكثر مَنْ حضَّ الأمة عليه وسعى بها إلى افتتاح دُورِهِ حتى جاوزت قصائده في ذلك العشر. وأمّا ثاني هذه الأهداف فمباركته لأندية الخريجين التي انتشرت بأمّهات مدن السودان. والباب الثالث من أبواب الديوان جاء في الاجتماعيات، حيث دعا إلى ملجأ القرش فكرةً حتى إذا استجاب له قومه سجّل ذلك النجاح بقصيدته ملجأ القرش. ولم يفته أن يسجَّل قضايا الشؤون الاجتماعية التي تخالط نفسه بعناوين مبتكرة طريفة[1]. أما الباب الرابع فهو في المراثي والباب الخامس للمتفرقات. والملاحظ على الديوان أنه لم يشتمل على المدح الشخصي الرخيص ولا على الهجاء. فشعراء تلك الفترة كانوا صادقين في مشاعرهم ومتمسكين بآداب دينهم.

وإذا تتبّعنا الديوان بعد ذلك بشيء من التفصيل، نجده .كما أسلفنا .بدأ بأشعار عن الرسول الكريم (صلى الله علية وسلّم) الذي يشكِّل القدوة، بعنوان (النبويات). وبالطبع كعادة الشعراء العرب القدامى بدأها بشيء من الغزل، ثم عرَّج إلى الموضوع الأساس قائلاً:

وما حفِلتْ مشارقُها بعِيدٍ كما حفِلت بميلادِ النبيّ
نبيٍّ كان للدنيا جمالاً وذخراً للعديم وللغنيّ
نبيٌّ قد يُجيرُ على الليالي إذا ما جِئْنَ بالأمرِ الفريّ

[1] عبد الله عبد الرحمن، ديوان الفجر الصادق، مقدمة السباعي بيومي ، ط 1947م.

لعمركَ ما النبيُّ فدتْهُ نفسي بمنطلقِ اللسانِ على البذيِّ

ثم يعرج بعد ذلك إلى (الهجريات) وهي قصائد في الاحتفال بالعام الهجري وجاءت القصيدة الأولى بعنوان حيِّ الهلال:

حيِّ الهلالَ وذكِّرنا بماضيهِ واشرعْ يراعَكَ في حقٍّ تُؤدِّيهِ

وأقذفْ بشعرِكَ في النادي تهزُّ بهِ شعورَ قومِكَ إنَّ الشِّعرَ يُذْكيهِ

والمتتبِّع لديوان عبد الله عبد الرحمن وغيره من شعراء تلك الفترة يصل إلى حقيقة أنهم كانوا يهتمون غاية الاهتمام بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف والاحتفال بمطلع العام الهجري في كل عام حيث يرد ذلك بوضوح في قصائدهم، وحيث أنهم مستوعبون لحقيقة أن المقصود بالاحتفال ليس الاحتفال بحدّ ذاته، ولكن المطلوب هو التذكير، فالذكرى تنفع المؤمنين، التذكير بضرورة الالتزام بآداب الدين الحنيف وبقيمه، والتذكير بالبرِّ بكلِّ نواحيه، وهم يريدون سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلّم من أجل الاقتداء به، وهذه المعاني كلُّها تجدها في أشعارهم.

ومما اهتم به شعراء تلك الفترة اللغة العربية وضرورة الاهتمام بها وتعلُّمها وعدم إهمالها. فهم مشفقون عليها. كيف لا وهي لغة القرآن الكريم. ولذلك كتبوا قصائد بهذا المعنى، وكذلك فعل الشاعر عبد الله عبد الرحمن حين كتب قصيدة يقول فيها:

بنِي وطني إن قمتُ للضَّادِ داعياً فإنَّيَ أدعُو للتِّي هِيَ أقومُ[1]

لقد وثَّق اللهُ الروابِط بيننا فلا تنقُضُوا باللهِ ما اللهُ مُبْرِمُ

أرى الضادَ في السودانِ أمستْ غريبةً وأبناؤها أمستْ لهم تتجهَّمُ

وساءتْ مقاماً فهي ثَكْلَى حزينةٌ وعيَّتْ جَواباً فهي لا تتكلَّمُ

حتى يقول:

أنا والليالي العشْرِ والفجرِ طالعاً وما الفجْرُ في الإسلامِ إلا محرّمُ

إذا لم تحسُّوا داءَها وهو فاتكٌ تهونوا وفي غيرِ العروبةِ تُدْغَموا

فعضُّوا عليها بالنواجزِ إنّها سلاحكمو إن تخلعُوهُ هزمتموه

[1] انظر سورة الإسراء (إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشرُ المؤمنين الذِّين يعملون الصالحاتِ أنَّ لهم أجراً كبيراً..) الآية9.

سلامٌ عليكم إنْ فقدتُم بيانها سلامٌ على الفصحى سلامٌ ليكمو
أُصَلِّي عليه ثم أذكِّركم بِما يقرّبُكم منْه فصَلُّوا وسلِّمُوا[1]

ونلاحظ في هذه القصيدة، ليس فقط دعوة للتمسُّك باللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم، ولكن أيضاً نلاحظ أن الأخذ من القرآن والتأثُّر به واضح. فعبارات مثل (أدعو للتي هي أقوم)، (والليالي العشر والفجر) و(لا تنقضوا) و(ساءت مقاماً) و(صلُّوا وسلِّموا) و(عربياً غير ذي عِوَجٍ) كلُّها مفاهيم وألفاظ وجُمل مأخوذة من القرآن الكريم من آيات مشهورة. وهنالك ما هو مأخوذ من السنَّة مثل: (فعضُّوا عليها بالنواجزِ).

نقف بعد ذلك عند قصيدة بعنوان (الإسلام وطن) لها ما لها من المعاني، ومن التأكيد على الرابط الإسلامي بوصفها رابطاً أساساً يرقى فوق كل الروابط الأخرى، والتأكيد أيضاً على أهمية اللغة العربية وأهمية التمسك بها، وفيها أيضاً الأخذ والاقتباس من القرآن الكريم حيث يقول:

ألا فاسْألوها لو تردُّ جوَابا من عهدِها بالناطقين صَوابا[2]
متى عهدُها بالذائدينَ عن الحِمَى وبالطاردينَ الخيلَ فيه عرَابا
وبالمُحسنين الكاظمين لغيظِهم[3] وبالطيبين الطاهرين ثيابا
وبالفاتحينَ الغائظينَ عدوَّهم ومُتْرِكي أرضَ العدوِّ يبابا

ويختمها بالقول:

تعالُوا فرُدُّوا للكتابِ أموركم[4] يثيبكُمُو ذو العرشِ منه مثابا
فلا دينَ حتى يألم الفردُ منكُمو لما تألَمُ الأفرادُ منه ويأبى[5]
محمّدٌ يرضاكم كراماً أعزّةً أيبغُون عن غابِ الشريعةِ غابا[6]

[1] عبد الله عبدالرحمن ، ديوان الفجر الصادق، ص8.

[2] المرجع السابق، ص9.
[3] انظر **سورة** آل عمران ». (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ.واللهُ يحبُ المحسنينَ) . **الآية** 134.
[4] انظر سورة النساء: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ **فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ** وَالرَّسُولِ... الآية 59.
[5] انظر سورة النساء: وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ **إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ** فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا **تَأْلَمُونَ** الآية 104.
[6] انظر سورة الفتح: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعاً .) الآية 29 ، **سورة المائدة: (...أَعِزَّةٍ** عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...) الآية**54** .

وفي قصيدة(وهجري كل عام نقيمه) يمزج الشاعر بين حبه لوطنه وحبه لدينه الحنيف الذي هو وطن له، ويصف بني قومه بالصفات الحسنة وبحسن الجوار ويؤكد أيضاً في هذه القصيدة أسباب احتفالهم بالعام الهجري وهي .كما أسلفنا . الدعوة للأخوة وإصلاح النفس، حيث بدأ كالعادة بالغزليات ثم يقول:

أُحبُّ بلادي حبَّ مجنونِ عامرٍ وأذكُر ميثاقاً لها وعهُودا[1]

وما بلدي إلا الحنيفُ وأهلُهُ بنفسيَ آباءً بـه وجدُودا

إلى أن يقول:

وهجريٌّ كلّ عامٍ نقيمُه ونجعلُ منهُ للأخوَّةِ عيدا

ونُصلِحُ عاداتٍ سَمِجْنِ وأنفساً أطلْنَ على غير المقيدِ قعودا

ونُرجِعُ أربابَ العلومِ لرشدِهم فما كلُّ من أُوتِيَ العلومَ رشِيدا

ومن الموضوعات المهمة التي تناولها الشاعر الدعوة إلى العِلْم، وهو أكثر مَنْ حضَّ الأمة عليه وسعى بها إلى افتتاح دُورِهِ حتى جاوزت قصائده في ذلك العَشْر. وقد تناول افتتاح المدرسة الأهلية وملجأ القرش ومدرسة الأحفاد ومؤتمر السودان وحفل كلية غردون السنوي، ونذكر مثالاً قصيدة بعنوان (اليوم تنتشلون من أحفادكم) ألقاها في حفل افتتاح مدرسة الأحفاد عام 1936م :

اليوم لا شِيَعٌ ولا أحزابُ ذهب الهوَى فجميعُنا أحبابُ[2]

بالأمسِ قد شيّدْتُها أهليةً دُفِعَ الملامُ بها ورُدَّ العابُ

وبنيْتُ بالقرش الصغير ملاجئاً للبرِّ في جنباتِها تسكابُ

واليوم تنتشلونَ من أحفادِكم متساندينَ لكم بهِم إعجابُ

وفي مجال الطبيعة تغنَّى الشاعر ببعض مناطق السودان، ويبدو مفتوناً بمظاهر الطبيعة في تلك البقاع[3] حيث قال:

كم للطبيعةِ في السودانِ من فتنٍ وكم لأطيارها من سحر ألحانِ

[1] عبدالله عبد الرحمن، الفجر الصادق،ص 17.

[2] عبدالله عبد الرحمن، الفجر الصادق، ص34.

[3] صلاح الدين المليك، شعراء الوطنية في السودان، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، ط1، 1975 م.

ما أكثر الملهماتِ الشعر فيه وما أجدّها للأديبِ الهادمِ الباني
الرملُ عند ضفافِ النيلِ تحسبُهُ لعس الشفاهِ جلاها بيضُ أسنانِ
ما للكهاربِ سلطانٌ على قمرٍ ولا على الشمسِ سلطانٌ لبنيانِ

وعندما نتصفَّح ديوان الشاعر بتؤدة نجد بجانب ذلك قصائده عن الاجتماعيات والثقافة وتسجيل الإنجازات التي تمت في عهده مثل جسر النيل الأبيض وظهور المذياع والتمثيل والمطابع، وجاء بذلك ديوانه متنوّعاً يتناول مختلف ضروب الحياة في عصره.

الشاعر محمد سعيد العباسي:

هو محمد سعيد العباسي بن الشيخ محمد شريف بن الشيخ نور الدائم بن الشيخ أحمد الطيب مؤسس الطريقة السمانية بالسودان، ويعد قطباً عند أهل التصوُّف. كان والده الشيخ محمد شريف نور الدائم خليفة للطريقة السمانية وكان زعيماً طائفياً كبيراً تتلمذ على يديه كثير من الأئمة والعلماء، ويذكر بأنه قد كان أستاذاً لمحمد أحمد الذي صار يعرف فيما بعد بالمهدي.

ولد العباسي بمنطقة النيل الأبيض عام 1880م وتُوُفِّيَ عام 1963م.[1] التحق لمدة عامين بالكلية الحربية بمصر، ثم تركها قبل التخرُّج، وتتلمذ في مصر على يد الشيخ الزناتي، وكان يكنُّ له حباً عظيماً وقد رثاه بقصيدة رائعة.

كان العباسي صاحب ثقافة عربية ودينية واسعة، وكان يعرف بحبه وعشقه لمصر، وكتب فيها قصائد كثيرة وجميلة. ويعد العباسي من رواد النهضة الأدبية الشعرية في العصر الحديث.

للعباسي ديوان شعر بعنوان: (ديوان العباسي) به الكثير من القصائد جيدة الصنع، بديعة التكوين، ذكية التعبير، وعميقة المعنى.

ديوان العباسي:

[1] ترجمة حياة الشاعر مأخوذة من مقدمة ديوانه (العباسيات) ، ومن صحيفة الخرطوم الإلكترونية من بحث قدّمع حفيده أسعد الطيب العباسي ، ومن ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

هذا الديوان[1] تم طبعه عدة مرات، وهو يأخذ نفس نسق الدواوين التي كانت تصدر في تلك الفترة، أي النصف الأول من القرن العشرين، حيث كان يتم تقسيمها إلى أبواب على حسب موضوع القصيدة، ولذلك جاء الديوان في شكل أبواب.

الباب الأول في ديوان العباسي كان تحت عنوان (اجتماعيات). وهو باب يتناول قضايا متعددة عبر 29 قصيدة، تناولت المدن السودانية التي تعلّق بها قلب الشاعر، مثل مليط وسنار والنهود ووادي هور والأبيض وغيرها، كما تناولت ذكريات الشاعر، وحبَّه لمصر، واهتمامه بالتعليم وغيرها من القضايا. أما الباب الثاني فقد كان عن المرائي، حيث رثى والده والإمام عبد الرحمن المهدي وآخرين بلغ عددهم أحد عشر من أحبابه. ويجئ الباب الثالث تحت عنوان (مقتطفات) وفيه (التخميس) وقضايا متفرّقة. وفي هذا يقول العباسي: "جعلتُ من الديوان ثلاثة أبواب: الباب الأول في الاجتماعيات، والثاني في الرثاء، والثالث في مقطوعات لها وقعها لما وُضِعتْ له وختمتُ كل هذا بتخميس لي للقصيدة الرائية المشهورة المنسوبة لسيدي أبي مِدْيَن الغوث رضي الله عنه في آداب المريد السالك طريق القوم ونشرت معه تخميسين أحدهما لإمام العارفين سيدي محيي الدين بن عربي، وثانيهما لسيدنا وأستاذنا الحجة العارف بالله والدال عليه والدي الشيخ عبد المحمود نور الدائم."[2]

هذا الديوان يتميّز، كغيره من دواوين رفيقيْه اللذَيْن اخترناهما معه لهذا البحث، بأنه يقوم على أسس الشعر العربي القديم المعروفة من أوزان الخليل بن أحمد والتشطير والقافية، ولكن التجديد شمل الموضوعات والرؤى وبذلك فهو يعتبر من المجدِّدين في (العصر الحديث)، حيث تمت تسمية عصره بذلك للتفريق بينه وبين ما سبقه من عهود المهدية والتركية السابقة والسلطنة الزرقاء. والديوان يتميّز بسلامة وسلاسة اللغة، فهو من المتمسِّكين باللغة العربية، وقد تلقّى تعليمه أوّلاً في الخلاوي، حيث حفظ القرآن وقواعد النحو والحديث والشعر العربي القديم. وفي هذا يقول أسعد الطيب العباسي: "وأدخله والده خلوة عمّه الشيخ زين العابدين الشيخ أبي صالح عندما بلغ من العمر سبعة أعوام، ثمّ خلوة الشيخ عوض الكريم الأزهري، وتنقَّل بين الخلوات حتى بلغت العشرين عدّاً، وفي التاسعة

[1] محمد سعيد العباسي، ديوان العباسي، 1968م.
[2] محمد سعيد العباسي، ديوان العباسي، 1968م .

كان يحفظ القرآن الكريم كاملاً، وكان والده محمد شريف أستاذ الإمام محمد أحمد المهدي يأمره بحفظ متن الأجرومية، ويحثّه على قراءة متن الكافي في عِلمَيْ العروض والقوافي، ويجلب له بعض العلماء فيأخذ منهم ما تيسّر."[1]

وإذا كان العباسي تقليدي النزعة في تراكيبه الشعرية، ويبدو للناظر التزامه الصارم بشكل القصيدة العربية الأصيلة غير أنّ مبعث ذلك لم يكن من نظره إلى الأوائل إنّما كان من شكل حياته التي عاشها بين البوادي والتي تشبه في بيئتها بيئة الجزيرة العربية، فعندما يتحدَّث العباسي عن الناقة يتحدَّث عن تجربة حقيقية وليست مجازية أو تقليدية فقد كانت الأيانق هي وسيلته في التنقل، وقد مازجت تجربته الشخصية الأطلال والأطيار ووعورة الدرب.[2]

المدن السودانية في شعر العباسي:3

الشاعر العباسي غزاه حبُّ البادية وعشقها فأخذ في اجتياب سهوب غرب السودان وكردفان على ظهر ناقته، فينيخ في مواضعها ومدنها، كوادي هور، ووادي الربدة، والأبيض، وملط، والنهود، ودارة الحمراء، ومنها يعود إلى سنَّار، وقد كان لهذه المدن والمواضع حظها الماسي عندما وقعت بين يدي العباسي وفي هواه فأصابها منه الخلود عندما أجزل لها عطاءه الشعري بمحبة ومودّة. وهذه قصيدته (مليط يقول فيها:[4]

حيّاكِ (ملّيطُ) صوبُ العارضِ الغادي وجاد واديكِ ذا الجنّاتِ من وادِ
فكم جلوتِ لنا من منظرٍ عَجَبٍ يُشجي الخليَّ ويروي غُلّةَ الصادي
أنسَيْتِني بَرْحَ آلامي وما أخذتْ منّا المطايا بإيجافٍ وإيخادِ
كثبانُكِ العفرُ ما أبهى مناظرَها أُنسٌ لذي وحشةٍ، رِزقٌ لمرتادِ
فباسقُ النخلِ ملءُ الطرفِ يلثم من ذيلِ السحابِ بلا كدٍّ وإجهادِ
كأنه ورمالاً حوله ارتفعتْ أعلامُ جيشٍ بناها فوق أطوادِ

[1] أسعد الطيب العباسي، الخرطوم، صحيفة إلكترونية، بحث منشور بتاريخ 2011/11/2م.
[2] المرجع السابق.
[3] نفسه.
[4] محمد سعيد العباسي، ديوان العباسي، ص 41.

وأعينُ الماءِ تجري من جداولها صواراً عرضوها غيرَ أغمادِ
والوُرْقُ تهتفُ والأظلالُ وارفةٌ والريحٌ تدفعُ ميّاداً لميّادِ

إن الباحثة عندما تتأمَّل في أبيات هذه القصيدة ترى أنها أوّلا قدّمتْ وصفاً مُهيباً للطبيعة، فيه ما فيه من التصوير، حتى وكأنّ الشاعر ينطق من الخيال لروعة المشهد الذي تكاد تراه (رأي العين) بفعل عمق التصوير. وثانياً استخدم الشاعر مفردات وألفاظاً سهلة جزلة، فيها ما فيها من الحلاوة والجمال، حتى وكأنّ هنالك (شيطان حقيقي اسمه شيطان الشعر) أوحى له بهذه الألفاظ والمفردات غير العادية، وعندما تتعانق تلك المفردات مع بعضها تعطي نغماً جميلاً ليس له مثيل. وثالثاً تتمتّع القصيدة ببناء لغوي محكم ينم عن قدرات عالية في النظم.

أما قصيدته عن النهود فقد بدأها كعادة الشعراء العرب القدامى بالنسيب، أي الغزل، وقد مزج الغزل بالمدينة بما يوحي بالغزل في فتاة، وعلى العموم جاءت القصيدة في غاية الروعة حيث يقول في مطلعها:

باتتْ تبالغُ في عذْلي وتفنيدي ** وتقتضيني عهودَ الخُرَّدِ الغيدِ[1]
وقد نضوْتُ الصّبا عني فما أنا في ** إسار سعدى ولا أجفانها السُّودِ
سئمتُ من شرعة الحبَّ اثنتين هما ** هجر الدلالِ وإخلاف المواعيدِ
لا تعذليني فإني اليومَ منصرفٌ ** يا هذه لهوى المهريَّةِ القودِ

والشاعر العباسي في هذه القصيدة بالتحديد قد تحدّث عن الإبل التي هي وسيلة تنقُّلِهِ في تلك الفترة، فقد كان يتجوَّلُ بها كما ذكرنا في مختلف مناطق السودان. وهي التي حملته ليطوف بتلك المدن التي تغنّى بها. وقد كان الشعراء العرب في العصر الجاهلي وما بعده ينشدون للناقة ويطلقون عليها الأوصاف والأسماء. وقد تجد قصيدة في غرض من الأغراض يبدأها الشاعر بالغزل في محبوبته، ثم التحدُّث عن الناقة، ثم يدلف لموضوع القصيدة. ونجد ذلك هنا في قصيدة العباسي عن النهود حيث قال عن الناقة:

[1] المرجع السابق، ص 98.

لم يبْقَ غير السرُّرَى ما تُسَرُّ له ** نفسي وغير بناتِ الصيدِ من عيدِ
المُدنياتي من رهْطي ومن نفري ** والمُبعداتي عن أسْري وتقييدي
أثرتها وهي بالخرطومِ فانتبذتْ ** تكادُ تقذفُ جلموداً بجلمودِ
توْمٌ تلقاءَ من نهوى وكم قطعت ** بنا بطاحاً وكم جابتْ لصيْخودِ
نَجِدٌ يرفعُنا آلٌ ويخفضنا آلٌ ** وتلفظنا بيدٌ إلى بيدِ[1]

التعليم في شعر العباسي:

قصيدة العباسي بعنوان (يوم التعليم) أكّدت عمق إيمانه بتعليم النشء، وصار أحد أبيات هذه القصيدة من الأبيات الشهيرة التي سارت بها الركبان في كل مكانٍ وزمان، ولا زال هذا البيت تملأ شهرته الآفاق، وهو البيت القائل: (فعلِّموا النّشْءَ علماً تستبينُ به سُبُلُ الحياةِ وقبل العلمِ أخلاقا) ومصدر شهرته أنه ربط العلم الذي وصفه بأنه كالنور (تستبينُ به سُبُلُ الحياةِ) بالأخلاق التي أعطاها الأولوية، والمعروف أن الوزارة المعنية بهذا الشأن يُطلق عليها في السودان (وزارة التربية والتعليم) وذلك لأهمية تربية النشْء وقد جاء في القصيدة:

العلمُ يا قومُ ينبوعُ السعادةِ كم هدَى وكم فكَّ أغلالاً وأطْواقا[2]
فعلِّموا النّشْءَ علماً تستبينُ به سُبُلُ الحياةِ وقبل العلمِ أخلاقا
إن الشعوبَ بنورِ العلمِ مؤتلِقاً سارت وتحت لواءِ العلم خفّاقا

الذكريات وحب مصر لدى العبّاسي:

حب مصر أمر متواتر في شعر العباسي وشعر غيره من السودانيين. فقد كانت مصر قبلة العالم الإسلامي منذ عصور، وكان نضالها في العقد الثاني من القرن العشرين ملهماً للشعوب العربية وقائداً لأشواقها وتطلعاتها. وحين كتب العباسي هذا الشعر كان الشباب السوداني يستشهد في معارك الكفاح ويقف أمام محاكم الاستعمار ويذوي داخل السجون باسم وحدة وادي النيل ومن أجلها. وقد تختلف دوافع العباسي عن دوافع أولئك الشباب،

[1] محمد سعيد العباسي، ديوان العباسي، ص98.
[2] نفسه، ص87.

ولكنه مُتَّحِدٌ معهم في الهدف[1]. للعباسي في ديوانه قصيدة هي من أروع ما قال، فيها ما فيها من تعبير عن مشاعره ومواقفه وآرائه الجريئة، حيث عبّر فيها عن حبه لمصر وعن ذكرياته فيها، وقد غادرها وهو شاب ثم عاد لها ثانية وهو كهل. وفي هذه القصيدة قدّم النصح والرأي ونبّه للدروس والعبر، وقال ما في نفسه أن يقول حين أنشد:

أقصرتُ مذ عاد الزمانُ فأقْصَرا وغفرتُ لما جاءني مُستغفِرا[2]
مِصْرٌ وما مصرٌ سوى الشمسِ التي بهرتْ بثاقب نورِها كلَّ الورى
ولقد سعيتُ لها فكنتُ كأنما أسعى لطيبةَ أو إلى أُمِّ القُرى
فارقتُها والشَّعرُ في لون الدجى واليومَ عدتُ به صباحاً مُسْفِرا
كذب الذي ظنّ الظنونَ فزفّها للناس عن مصرٍ حديثاً يُفترى
والناسُ فيكِ اثنان شخصٌ قد رأى حُسْناً فمهم به، وآخرُ لا يرى

تلك وقفات مع الشاعر محمد سعيد العباسي كان القصد منها إضاءات لبعض الجوانب في شخصيته وأشعاره وهمومه في ذلك العصر الذي أعقب فترة الثورة المهدية، وكان في الشعر كأنه عصرٌ وسيطٌ بين ما مضى، وما هو مقبل من تأثُّر بالمذاهب الأدبية.

عبد الله محمد عمر البنّا:

ولد الشاعر عبد الله محمد عمر البنَّا بمدينة أم درمان عام 1890م، وحفظ القرآن في الخلوة بأم درمان والعمارة، ثم درس في كتّاب رفاعة ومنها إلى كلية غردون قسم المعلمين والقضاة (1906 . 1912م) وتخرَّج فيها معلِّماً. والده الشيخ محمد عمر البنا من شعراء المهدية المشهورين.

وكان في دراسة الشاعر عبدالله البنا وحفظه للقرآن الكريم، واطلاعه على كتب التراث، وديوان الشعر العربي، خير معين على شاعريته التي تتسم بالجزالة اللفظية.[3]

[1] محمد المكي إبراهيم، الفكر السوداني أصوله وتطوره، ط2، 1989م، ص 50/49 .
[2] محمد سعيد العباسي، ديوان العباسي، ص 98.
[3] علي المك، مقدمة ديوان البنا (الجزء الأول)، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط2، 1976م، ص10.

ديوان البنا تمت طباعته ثلاث مرات: الطبعة الأولى، مطبعة الحضارة، الخرطوم 1922م. الطبعة الثانية (تحقيق علي المك)، دار جامعة الخرطوم للنشر 1976م، أما الطبعة الثالثة فصدرت عن دار البلد للطباعة والنشر والتوزيع في عام 1999م. ونشر شعره في مجلات: الفجر، حضارة السودان، الخرطوم، صوت السودان، الرأي العام[1]. ويعد ضمن الطبقة الأولى من شعراء السودان في العصر الحديث بعد شعراء المهدية. في شعره قوة أسر وجمال أسلوب، مع صدق العاطفة وثراء الخيال، وتغنٍ بأمجاد العروبة والإسلام، مع تناول عميق لمختلف القضايا الاجتماعية والسياسية. اشتهر بوصفه البديع للبادية، ويظهر في شعره المنحى التعليمي؛ لأنه من كبار معلمي العربية والأدب الإسلامي[2].

ديوان البنّا، مثله مثل ديوان رفيقه عبدالله عبد الرحمن الأمين ، يبدأ بالنبويات وهي عبارة عن عشر قصائد تحدّث فيها عن خصال الرسول الكريم، محمد (ص)، وهو في ذلك يسير على خطى السلف الصالح من شعراء المديح النبوي، وفيها صدىً لذات المعاني التي كان قد طرقها أولئك.[3] أما الباب الثاني فقد جاء بعنوان (الاجتماعيات) وهو بالطبع يقصد قضايا المجتمع عموماً وليس مجتمعه الخاص. فهو في هذا الباب قد دعا قومه إلى الوحدة ولمّ الشمل، ودعا إلى تعليم المرأة في وقت كانت فيه مثل هذه الدعوة تلاقي معارضة من أغلبية أولياء الأمور، وكانت هنالك طليعة من السودانيين تقود هذه الدعوة بغرض خلق التوعية. كما دعا إلى الاهتمام باللغة العربية، وإلى التمسك بالأخلاق الحميدة. وخصّص الشاعر الباب الثالث لسيدنا عثمان بن عفان، حيث تحدّث عن سيرته وأخلاقه وفضائله، وعن الفتنة وأسبابها حتى مقتله عليه رضوان الله. وفي هذا الباب تسجيل للتاريخ. وجاء الباب الرابع في المدح لزعماء وأعيان عهده: الإمام عبد الرحمن المهدي، والسيد عبد الله الفاضل المهدي، والسيد حسين شريف، وصاحب الفضيلة شيخ علماء السودان الأستاذ أبو القاسم أحمد هاشم والسيد محمد شريف، وغيرهم مِمَّن يحظون عنده بالإجلال والتقدير. الباب الخامس أطلق عليه تعبير الأدبيات، أما السادس فهو في الشعر القصصي، والسابع في المراثي.

[1] سعد عبد الله الحميد، موقع شخصي على الانترنت، 2011/1/27م.
[2] المرجع السابق.
[3] علي المك، مقدمة ديوان البنا (الجزء الأول)، ص 14.

أمجاد العروبة والإسلام في شعر البنا:

تغنّى البنّا شعراً بأمجاد العروبة والإسلام كأن لم يتغنّ بها أحد، ونجد ذلك في شعره بكثرة ولكن قصيدة تحية العام الهجري 1339 هـ كانت قمة هذا التغنّي. هذه القصيدة من الملاحم الشعرية المهمة للبنّا، وهو في ذلك يسير على خطى شعراء عصره وفي مقدمتهم عبد الله عبد الرحمن الأمين في الاحتفاء بالعام الهجري، كما يحتفي بالمولد النبوي أيضاً. وهذه القصيدة عبارة عن ملحمة شعرية تاريخية تحكي أمجاد العروبة والإسلام وشمائل وخصال قادتها الأُوَل في فجر الإسلام. وهو يأسى فيها على حال الأمة وكيف تبدّل، وعلى حالها في هذا الزمان، ويدعو أمته للإحسان والعلم والأخلاق الفاضلة لكي تتجاوز محنتها، والقصيدة فيها دروس وعظات وعبر، وفي مثل هذه القصائد قال صلاح الدين المليك: "إن هذه القصائد التي ألقوها سلاح امتشقوه حين فقدوا أسلحتهم جميعاً وهي مجال تبصرة وإثارة وعي. ومنها النونية المشهورة التي نظمها عبد الله البنا[1]" حيث يقول في مطلعها:

يَا ذا الهِلالَ، عَنِ الدُّنيَا أَوِ الدِّينِ حَدِّثْ، فإنَّ حَدِيثاً مِنكَ يَشفِينِي[2]
طَلَعتَ كالنُّونِ لاَ تَنْفَكُّ في صِغَرٍ طِفلاً، وَإنَّكَ قدْ شَاهَدتَ ذَا النُّونِ
سَايَرْتَ نُوحاً وَلَمْ تَركَبْ سَفِينَتَهُ وَأنتَ أَنتَ فتىً فِي عَصرِ زبلِينِ
حدِّثْ عنِ الأَعصُرِ الأُولَى لِتُضحِكَنِي فإنَّ أَخبَارَ هذا العَصرِ تُبكِينِي

وهنالك بجانب هذه الملحمة، قصيدة أخرى عن سيدنا عثمان بن عفّان (رض). وفي هذا يقول علي المك: "فموضوع الخلفاء الراشدين موضوع محبَّب، فإن كانت شخصية عمر بن الخطاب قد استهوت حافظ ابراهيم، فإن البنا قد آثر عثمان بن عفّان ليكون موضوعاً لقصيدته الطويلة. والقصيدة تسرد تاريخ الخليفة عثمان ولمحات من التاريخ الإسلامي، كل ذلك في سياق قصصي، كأنما الشاعر يذكر مهمته ودوره الوطني الذي

[1] صلاح الدين المليك، شعراء الوطنية في السودان، ، ص 154.
[2] عبد الله البنا، ديوان البنا الجزء الأول، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط2، 1976م، ص64.

ارتضى، وهو أن يعلِّم الناس."[1] وممّا قاله في فضل الخليفة عثمان أبيات تحت عنوان (منزلته عند النبي (صلى الله عليه وسلم):

أحرزْتَ مِن ثقةِ الْمُختارِ أوثَقَها حِصنًا وأكمَلَها حُسنًا وإحسانَا[2]

فكنتَ زوجَ ابنتَيْهِ وهْيَ منْزلةٌ ما نالَها أحَدٌ في الكونِ مَن كانَا

لذاك سُمِّيتَ ذا النُّورين حين بدا سناكَ بالصِّهر مقرونًا ومُزْدانَا

تعليم المرأة:

ومما اشتهر به البنا دعوته لتعليم المرأة وفي هذا يقول عنه محمد المكي إبراهيم: "ويتجلّى هذا الموقف الحصيف في معركة تعليم الفتاة التي بدأها الشاعر عبد الله محمد عمر البنا، فلم يناقش الموضوع على صعيد إنساني واجتماعي، إنما لجأ إلى أسلوب التحبيب والترغيب فشن هجوماً ضارياً على النساء الجاهلات كأنما هُنِّ المسؤولات عن جهلهنَّ[3]:

واهجرْ سبيلَ الجاهلاتِ فإنّما بالجهلِ تمتهنُ البلادُ وتخربُ

هُنِّ اللواتي جارهنَّ مروّعٌ مما يقُلْنِ وقولهنِّ مكذَّبُ

هنّ اللواتي زوجهنَّ مهددٌ بالفقر يُنفَقُ مالهُ أو يُنهَبُ"

نتائج الدراسة:

تخلص الباحثتان من هذه السياحة المحدودة في دواوين ثلاثة شعراء من العصر الحديث إلى أن الشعر في تلك المرحلة قد كان يتسم بما يلي:

أولاً: هؤلاء الشعراء الذين أعقبوا الثورة المهدية وشكّلوا بداية العصر الحديث في الشعر السوداني، تلقُّوا تعليمهم أوّلاً في الخلاوي، قبل أن يلتحقوا بالمدارس الحكومية التي أسسها الإنجليز. وفي هذه الخلاوي تعلّموا القرآن الكريم، وعلوم الدين والفقه، والسيرة النبوية الشريفة، واللغة العربية وآدابها، واطلعوا على دواوين فحول شعراء العرب في العصر

[1] عبد الله الله البنا، ديوان البنا (الجزء الأول)، ص16.
[2] المرجع السابق، ص110.
[3] نفسه، ص80.

الجاهلي وفجر الإسلام وضحاه، وكانت بذلك ثقافتهم عربية إسلامية تمسّكوا بها وأثّرت على أشعارهم، ولم تكن لهم صلة بالمذاهب الحديثة في الأدب والفن التي نشأت وانتشرت في الغرب وبدأت في الانتقال للشرق.

ثانياً: ترسّم هؤلاء الشعراء خطى الشعر العربي التقليدي الموزون المقفَّى المشطّر وفْق أوزان الخليل بن أحمد، مع إضافات تتعلّق بالتخميس، ولكنهم جددوا في موضوعات الشعر وفي الصور الشعرية، واستخدموا مفردات الحداثة في اللغة وفق عصرهم.

ثالثاً: أعلن هؤلاء حبَّهم للغة العربية، لغة القرآن الكريم، ودافعوا عنها ودعوا الناس إلى التمسك بها، وتحسّروا على ضعف الاهتمام بها. وتلك سِمة لم تقتصر على السودان وحده، بل نجد في الأقطار العربية الأخرى مثل تلك الدعوات.

رابعاً: اعتزّ هؤلاء الشعراء بأمجاد العرب والمسلمين، وعملوا على تذكير الناس بها، ودعوا إلى العمل على وحدة الأمة وعدم تفرُّقها وتشتُّتِها إلى أحزاب وطوائف، لأن في وحدتها قوةً وفي تفرّقها ضعفاً، وكتبوا عن حبِّهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) ومدحوه، وكانوا يحتفلون شعراً بالعام الهجري وبمولد المصطفى (صلى الله عليه وسلّم).

وأخيراً، كان وجه الشبه كبيراً بين الشاعرين عبد الله عبد الرحمن الأمين وعبد الله محمّد عمر البنا، في العديد من نواحي شعرهما وموضوعاتهما، وكلٌّ منهما افتتح ديوانه بالنبويّات، واهتمّ بالعام الهجري وبالمولد النبوي الشريف، وكلاهما كان معلِّماً. أما الشاعر محمد سعيد العباسي فقد اشترك معهما في ظروف النشأة الأولى وتعليم الخلاوي، قبل أن يذهب إلى مصر ويتعلّق قلبه بها، وفي السمات الأساسية من طريقة النَّظم والتمسُّك باللغة العربية، وكذلك الموضوعات الجوهرية والدعوة للتعليم والتجاوب مع المشكلات والهموم الوطنية العامة، وهو بالطبع من مدرستهما، ولكنه من حيث الموضوعات كان له اهتمام أكبر بالطبيعة والجغرافيا، من حيث تنقّله بالبادية وكتابته عن المدن والأماكن السودانية التي زارها. ومن ناحية أخرى تميّز عبد الله البنا بإفراده باباً للشعر القصصي. وضمَّن شعره المميِّزات التي ذكرناها لهما، فهم أبناء منهلٍ واحد

مراجع الدراسة :

[1]-مصطفى عوض الله بشارة، مواقف ورؤى في الشعر السوداني المعاصر، شركة مطابع العملة، ط1، 2008م، ص.9

2- صلاح الدين المليك، شعراء الوطنية في السودان، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، ط1، 1975م، ص 161.

3- عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان، دار الثقافة، ط2، 1976م، ص.223

4- عون الشريف قاسم، الإسلام والعروبة في السودان، دار الجيل بيروت، ط1، ص 111، 112.

5 – محمد سعيد العباسي في مقدمه ديوانه، ديوان العباسي، الدار السودانية، ط3، 1968م.

6 – عبد الله عبد الرحمن، الفجر الصادق، ط1947م، ص1.

7 – ترجمة حياة الشاعر مأخوذة من مقدمة ديوانه (العباسيات)، ومن صحيفة الخرطوم الإلكترونية من بحث قدّمع حفيده أسعد الطيب العباسي، ومن ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

8- –محمد سعيد العباسي، ديوان العباسي، 1968م.

9- أسعد الطيب العباسي، الخرطوم، صحيفة إلكترونية، بحث منشور بتاريخ 2011/11/2م.

10- على المك، مقدمة ديوان البنا (الجزء الأول)، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط2، 1976م، ص10.

11- سعد عبد الله الحميد، موقع شخصي على الانترنت، 2011/1/27م.